



## في رحاب عاشوراء

الشيخ محمد مهدي الآصفي



هذا الكتاب

طبع ونشر إلكترونياً وأخرج فنياً وعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

وتولّى العمل عليه ضبطاً وتصحيحاً وترقيماً

قسم اللجنة العلمية في الشبكة

الصفحة 1

في

رحاب عاشوراء

تأليف:

سماحة العلامة

الشيخ محمد مهدي الآصفي

الصفحة 2

في رحاب عاشوراء

المؤلف : ..... الشيخ محمد مهدي الأصفي

تحقيق و نشر : ..... مؤسسة ( نشر الفقاهة )

الموضوع : ..... تزيخ

الطبعة : ..... \*

المطبعة : ..... \*

الكمية : ..... 1000

التزيخ : ..... \*

صفء الحروف والإخراج الفني : ..... أبو علي الهمداني

( جميع الحقوق محفوظة للنأشر )

### الصفحة 3

( في هذا الكتاب )

\* عاشوراء في مرآة التزيخ

\* تأر الله

\* خطاب الاستنصار الحسيني

\* الولاء والوأة في مرآة عاشوراء

\* المتخلفون عن ثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )

\* قيمة الوراثة في حياة الإنسان

\* الأبعاد السياسيّة والحركيّة لثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )

\* عاشوراء ( وُدٌّ ) و ( قُتُوَّة )

#### الصفحة 4

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا وراث آدم صفة الله

السلام عليك يا وراث نوح نبي الله

السلام عليك يا وراث إبراهيم خليل الله

السلام عليك يا وراث موسى كليم الله

السلام عليك يا وراث عيسى روح الله

السلام عليك يا وراث محمد حبيب الله

السلام عليك يا وراث أمير المؤمنين ولي الله

#### الصفحة 5

مقدمة المؤلف

هذه الحلقة الثانية من كتاب ( وراث الأنبياء (عليهم السلام) ) ، تحدّثت فيها عن ( ثقافة عاشوراء ) ، وهي

ثقافة ( الصِراع ) و ( التحدي ) و ( العمل ) .

ونحن اليوم في ساحة مواجهةٍ وصراعٍ وتحديٍّ .

وهذه الثقافة التي ورثناها من الحسين ( عليه السلام ) ، والتي ورثها الحسين ( عليه السلام ) من الأنبياء ( عليهم السلام ) ، هي من أهم ما يجب أن نقدمه لشبابنا في هذه الساحة .

فإن ثقافة الصراع والمواجهة من أهم أسباب مقاومة ( الفئة القليلة المستضعفة ، للفئة المستكورة والظالمة ) ، ومن دون هذه الثقافة لا نتمكن أن نحقق أهداف رسالة الله ، في هذه المعركة الضلرية بين التوحيد والشوك .

وهذه الثقافة نجدها في القرآن ، وفي يوم عاشوراء .

ويوم عاشوراء حافل بثقافة المواجهة والتحدى والمقاومة والصبر ، وتجسيد لما في القرآن من وعي وثقافة في هذا الشأن .

وفي ( رحاب عاشوراء ) نجد نحن الكثير مما نحتاجه من وعي المعركة والمواجهة .

ويوم عاشوراء مرآة صافية للتاريخ ، زى من خلال هذه المرآة صراع الحق والباطل ، ومقاومة الحق واندحار الباطل ، وقيم الحق وسقوط

## الصفحة 6

الباطل ، وسنن الله في هذا الصراع .

ولابد أن يتناول ( المنبر الحسيني ) المعاصر هذه الدروس التي نستوحىها من يوم عاشوراء ، بصورة تحليلية دقيقة ، تتطابق مع حياتنا السياسية المعاصرة ، وصواعنا السياسي والحضري .

وهذه المقالات التي يجمعها هذا الكتاب ، محاولة بهذا الصدد ، أسأل الله تعالى أن ينفع به المنبر الحسيني الذي لا زال سراجاً لجمهورنا ، ونواصلاً لهم في صواعهم مع الباطل ، ورفضهم لسلطان الظلم .

محمد مهدي الآصفي

قم المقدّسة

1 رجب / 1419 هـ . ق

الصفحة 7

عاشوراء في مرآة التاريخ

\* عاشوراء في وعي الجمهور ووعي النخبة

\* موقف السلاطين والحكام من عاشوراء

\* عاشوراء مرآة للتاريخ

\* كلُّ رُضٍ كربلاء وكلُّ يومٍ عاشوراء

الصفحة 8

الصفحة 9

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشوراء في مرآة التاريخ

## عاشوراء في وعي الجمهور ووعي النخبة :

فيما يلي نحاول أن نقف وقفة تأمل في رحاب يوم عاشوراء ، ونبحث عن العناصر والقيم والآفاق الواسعة لهذا اليوم العجيب ، هذه الساعات القليلة والمعدودة من يوم العاشر من محرم تنطوي على آفاق واسعة جداً ، وعلى معاني وقيم تستحق أن يتوقف الإنسان عندها طويلاً ، ويتأمل فيها كثيراً .

هذه الآفاق لم تلق بعد العناية الكافية من قبل الباحثين والمفكرين الذين أولوا (عاشوراء) اهتمامهم ، رغم كثرة الدراسات والأبحاث والجهود الفكرية ، التي تصب في الأحداث التي جرت على أرض كربلاء يوم العاشر من محرم من سنة (61 هـ . ق) .

وإنني لا أشك أن وعي الجمهور لعاشوراء وعمقه وآفاقه ، أكثر بكثير من وعي المفكرين الذين تناولوا هذا اليوم العجيب من التريخ بالواسعة والبحث .

إن الذي يتركه جمهور الناس بوعيه الفطري ، شيء أعمق بكثير مما يتلقاه الباحثون والمفكرون من هذا اليوم ، ولو أمعنا النظر في وعي الجمهور ليوم

### الصفحة 10

عاشوراء ، وجدنا أن الجمهور يسبق الباحثين والمفكرين في وعي هذا اليوم وآفاقه الواسعة ، وما ينطوي عليه من القيم والمفاهيم .

وأنا من الذين يتقون وعي الجمهور المؤمن وحسه الرهف الدقيق في التشخيص والتقييم ، وأعرض الذين ينتقصون من وعي الجمهور المؤمن وفهمه وتشخيصه . فالجمهور يملك حساً رهفاً ووعياً فطرياً وبصيرة نافذة . في حالات السلامة والصحة . لا يملكه أولئك الذين يتبعون الأحداث من خلال التأملات الفكرية والدراسات العلمية .

وهذا الحس الفطري الرهف يجعل الجمهور سباقاً إلى ترك وعي هذه الآفاق الربانية في حياة الإنسان .

وكتراً ما يتفق أن الباحثين والمفكرين يتبعون خطى الجمهور ، ويقتفون أثره في الوعي والتفسير

والتشخيص ، ومع ذلك فإنّ الوعي الفطوي للجمهور يبقى مُحْتَفِظًا لِنَفْسِهِ بِقُوَّةٍ كَبِيرَةٍ جَدًّا عَلَيَّ التَّشْخِيسِ ،  
والتقسيم ، ونفاذ البصيرة ، تقصر عنه أفكار وتقنونات الباحثين والمفكرين .

وهذا هو ما يتواءم لي فعلاً في ( عاشوراء ) ، فكلّما يمُعن الإنسان النظر في التعاطف الوجداني الكبير من  
قبل جماهير المسلمين مع حادث الطفّ في يوم عاشوراء ، وقياس ذلك إلى التفسير والتقييم العلمي المطروح على  
الصعيد الفكري ؛ يزداد إيماناً بأنّ الجمهور كان أقدر على استيعاب الآفاق الواسعة لهذا اليوم من الباحثين  
والمفكرين ، الذين تناولوا هذا الموضوع الخطير بالواسعة والبحث .

ويبدو أنّ الحسّ الفطوي لدى جمهور المؤمنين ، أسرع إلى فهمٍ ووعيٍ الحقائق من أولئك الباحثين ، الذين  
يعتمدون ( عصا ) التفسير والتحليل العلمي بالوسائل العلميّة المعروفة ، ويرى الجمهور . في حالة سلامة الفطرة .  
بنور الله ما لا يراه غيره .

## الصفحة 11

وهذا ما زاه فعلاً من حيوية ( عاشوراء ) في وجدان جمهور المسلمين وعواطفهم ، وتفاعل الجمهور  
الواسع والعميق مع عاشوراء خلال هذه الفترة الطويلة ، والتي تويد على ثلاثة عشر قرن من الزمان ، وعلى  
هذه المساحة الواسعة من الأرض .

وهذا أمر فوق العادة بالتأكيد ، ولا ينبغي أن نمرّ عليه مروراً سريعاً من دون وقفة تأملٍ وتفكير .

ولا نعرف نحن إلى الآن حدّاً ، يستقطب عواطف جماهير المسلمين بهذه الصورة من القوة والفاعلية  
كعاشوراء ، ولا نعرف أمراً في حياة المسلمين يستقطب الجماهير بهذه الصورة الواسعة والقوية إلا الحجّ .

وقد روي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أنه قال : ( **إِنَّ لِقِتْلَ الْحُسَيْنِ حَرَّةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا**

**تَبْرُدُ أَبَدًا** ) (1) .

## موقف السلاطين والحكّام من عاشوراء :

ولأمير ما ، كان يحسّ السلاطين والملوك أنّ في مظاهر الحزن والحداد على الإمام الشهيد شيئاً يضرّهم ،



ويسيء إلى سُلطانهم وملكهم ، وكانوا يواجهون الجمهور الحسيني بالجفاء والإنكار ، وأحيانا بالإهَاب والمطرُدة ، تماماً كما كان الجمهور يشعر أنّ في قضية الحسين ( عليه السلام ) شيئاً يربط بمصوره ومصير الإسلام .

وفي تليخنا . منذ العصر الأمويّ وعبر العصر العباسي إلى اليوم . الكثير من الأمثلة على تنكّر السلاطين وامتعضهم من إقبال الجمهور على زيارة الحسين ، والتعاطف مع قضية الحسين ، حتّى بلغ الأمر أن هارون الرشيد أمر بهدم القبر

( 1 ) مُستترك الوسائل : 2 / 217 .

## الصفحة 12

التّشريف وكوّبه (1) .

كما أمر المتوكّل العباسي بهدم القبر وما حوله من المنزل والنور ، وأن يبذرُ وَيَسْقَى مَوْضِع القبر ، ويمنع الناس من الزيارة (2) .

ومع كلّ هذه الضغوط السياسية ، والإهَاب الذي كان يملسه السلاطين بشأن قضية الحسين وعاشوراء ، فإنّ عاشوراء كانت تتفاعل ولا تزال مع عواطف الجماهير ومشاعورهم في حركة تصاعديّة .

وقد وضع علماء البلاط الأموي أخباراً وأحاديث كثيرة في يوم عاشوراء ، وأنه يوم بركة ؛ ( ليعدل الناس . كما يقول الإمام الصادق ( عليه السلام ) . من الجوع والبكاء والمصيبة والحزن في هذا اليوم ، إلى الفرح والسُرور والتبرك ) ، وقد بذل حكام بني أمية لذلك الجوائز والهدايا (3) .

ومع كلّ هذه الضغوط السياسية بشأن هذا اليوم ، وبشأن قضية الطفّ ، فقد بقت ( عاشوراء ) تتفاعل مع عواطف الجماهير ومشاعورهم ، في حركة تصاعديّة يستلمها جيل من جيل ، وتنتقل من جيل إلى جيل بنفس الحيويّة والقوة ، وتضيف إليها الأجيال المقبلة الكثير من عواطفها ومشاعورها وأحاسيسها .

ولا أكاد أتصوّر أنّ هذا التعاطف العميق والواسع من قبل جماهير المسلمين ، في رقعة واسعة من الأرض ،

وعبر تزيخ طويل ، تتكوّن وتستمر وتشتقّ تطريقها عبر مضايقات الحكام والسلاطين ، من دون أن يكون الجمهور قد وجد . بوعيه الفطري ، في هذه الساعات القليلة من يوم عاشوراء . من الآفاق الواسعة

( 1 ) تزيخ النياحة على الإمام الشهيد ، للسيد صالح الشهرستاني : 2 / 12 ، نقلاً عن : ( زهة أهل الحرمين ، للسيد حسن الصدر الكاظمي : 27 ) .

(2) الكامل ، لابن الأثير : 7 / 55 / في حوادث سنة 236 هـ .

(3) بحار الأنوار : 44 / 270 .

### الصفحة 13

والصور والمعاني ، والقيم المخوذة ، ما لم تتمكن من التقاطه وتسجيله ورسمه أقلام الباحثين والمفكرين .

فلا يسعنا أن نفهم مثل هذا التعاطف الجماهيري الواسع مع عاشوراء ، دون أن نقبل أن الجمهور قد تمكن أن يرى في هذا اليوم . بحسّه الفطري . ما لم تتمكنّ الواسات العلمية أن تسجله وترسمه في هذا اليوم .

والحجم المطروح لعاشوراء من قبل الباحثين والعلماء لا يئاسب . بالتأكيد . هذا التعاطف والتفاعل الواسع من قبل الجماهير ؛ وهذا هو الذي يدعو إلى القول بأنّ الجمهور له دور السبق في اكتشاف آفاق (عاشوراء) ، والباحثون . الذين عملوا في تحليل وتفسير أحداث هذا اليوم . كانوا يتحركون من وراء الجمهور ، ويضعون حُطاهم في التحليل والتفسير ، موضع خطى الجمهور .

وليس في هذا ضير ، إذا كانت أقلام الباحثين قارة على متابعة وملاحقة الجمهور ، في وعيه وبركته للقضية الحسينية ، وإنما البأس أن تتوقف أقلام الباحثين وأفكرهم عن اكتشاف وتسجيل ما اكتشفه الجمهور ، من الآفاق الوحبة لعاشوراء ، بحسّه الفطري .

**عاشوراء مرآة للتاريخ :**

من خلال هذا اليوم ، وساعاته القليلة الحاشدة بالأحداث الكبيرة ، يقوُ الناس التريخ البشري كله .

ومن خلال هذا اليوم ، نقوُ سننَ الله في التريخ ، ونفهم كيف تسقط أمةٌ ، ويستوجها الله تعالى ، ويعذبها ويهلكها ، وكيف يستبدلها بأمةٍ أخرى ، وكيف تسمو أمةٌ في التريخ وتسقط أخرى ، وكيف يجريُ الله قانون الابتلاء على أمةٍ فيضيّق عليها لتنموَ وتبلغ رشدها ، وكيف يستخرج أمةٌ أخرى

## الصفحة 14

ليُحلَّ عليها العذاب والنقمة ، وكيف يكون استبدال هذا بذاك .

(عاشوراء) مرآة صافية للتريخ ، تعكس التريخ بصورة صادقة وأمينة . ومن خلال قِراءة هذا اليوم يستطيع أن يقوُ الناس حركة التريخ كلّها ، منذ خلقَ الله تعالى الإنسانَ على وجه الأرض إلى اليوم .

ذلك أنّ التريخ هو مجموعة ( السننَ الإلهية ) في حركة الإنسان وصعوده وسقوطه ، ولا يجري في التريخ شيء بصورة اعتباطية وعقوية ، وإنما يجري كل شيء بموجب سنن وقوانين دقيقة وبالغة في الدقة ، كما يجري التغيير في الفيزياء والكيمياء والميكانيك ؛ تبعاً لمجموعة من القوانين والسنن الخاصة بهذه الحقول (1) .

والذي يفهم هذا القوانين والسنن بشكلٍ دقيق ، يفهم التريخ وحركته وما يجري في هذه الحركة من هبوط وصعود ، ومن هلاك واستبدال للأمم .

والصواع بين الحقّ والباطل ، وبين جند الله وجند الشيطان ، هو المرآة التي تعكس هذه السنن والقوانين بصورة دقيقة وكاشفة .

ذلك أنّ ( الصواع بين الحقّ والباطل ، وحزب الله وحزب الشيطان ) هو العامل الأكبر تأثراً في حركة التريخ ، بخلاف النظرية الماركسية ، التي تعتبر ( الصواع الطبقي ) هو العامل المحرك للتريخ (2) .

والتريخ يتلخّص في معظم جوانبه في هذا الصواع ، الذي يقود طَوْفاً منه الأنبياء والمرسلون ، ويقود الطرف الآخر أئمة الكفر .

1) بالطريقة التي شرحناها في فصل ( المذهب التاريخي في الإسلام ) ، وبيئاً موضع رادة الإنسان واختياره في هذه الحركة ، في النظرية الإسلامية . من كتاب ( في رجب القآن ) .

2) والفرق الآخر : إن النظرية الملركسية تؤمن بالعامل الواحد في حركة التاريخ ، بينما النظرية الإسلامية لا تؤمن بنظرية توحيد العامل في حركة التاريخ .

## الصفحة 15

والصواع الطبقي حقيقة قائمة في ساحة التاريخ لا نفيها ، ولكنه لا يعتبر العمود القوي للتاريخ ، وإنما يحتل جانباً من جوانب حركة التاريخ ، ومهما كانت قيمة هذه المساحة التي يحتلها الصواع الطبقي في تاريخ الإنسان ، فلن يُعتبر العمود القوي للتاريخ . ولسنا الآن بصدد إثبات هذه الحقيقة القوانية .

فالتاريخ . إذن . يتلخص في معظم جوانبه في هذا الصواع التاريخي ، الذي يقود طرفاً منه الأنبياء والمرسلون والمؤمنون ، ويقود الطرف الآخر الطاغوت وأولياءه .

وفي هذا الصواع التاريخي تبرز أهم خصائص حركة التاريخ ، وتتكشف للإنسان جوانب واسعة من التاريخ ، لا يكاد يراها إلا في هذا الجوّ من الصواع بين أولياء الله وأولياء الشيطان .

ذلك أنّ الصواع يستخرج بصورة قوية خصائص كل أمة وكل فئة من الناس ، ويبرزها على حقيقتها ، ويفرز الناس إلى فئتين متمايزتين .

فقد توع الأمة المؤمنة في حالات اليسر والرفاه إلى الدعة والترف ، وإيثار العافية في حياتها ، وتنسى ذكر الله ( عز وجل ) . فإذا حل بها الابتلاء زعت إلى الله نزوعاً قوياً وقطعت ما بينها وبين هذه الدنيا من أسباب ، وذلك قوله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ) (1) .

والعكس أيضاً صحيح ، فقد يتمكن المنافقون والمتخلفون وأولياء الشيطان من إخفاء حقيقتهم ، وما تستبطن نفوسهم من حُبّ الدنيا والانقياد للأهواء ، والولاء للطاغوت والخوف والضعف في ساعات اليسر والأمن ، فإذا جدّ الجدّ ووقعت المواجهة والصدام ، طُفح على حياتهم ما كانوا يستبطنونه من خوف ونفاق .

## الصفحة 16

يقول تعالى : ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِذْ أَوْلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) (1) .

فيكشف الصراعُ الخصائص الحقيقية لكل أمةٍ من الناس ، ويفرز الناس إلى محورين متميزين ، ويعكس التناقضات القائمة في حياة الناس ، ويعكس السنن الإلهية التي تحوي في حياة الناس وحركتهم ، وصعودهم وهبوطهم وسقوطهم ، واستبدالهم بأممٍ أخرى ؛ فإن هذه السننُ جميعاً . أو في معظمها . تحوي في جو الصراع بين الحقِّ و الباطل ، بقوة ووضوح أكثر من أية حالة أخرى .

ولنقرأ هذه الآيات المباركات من سورة الأحزاب ، لنجد كيف تهتزُّ النفوس الضعيفة في القتال ، وكيف يجري فيها الزوال ، وكيف تریغ الأبصار وتقلِّب القلوب المؤمنة ، التي لم يستقرَّ قِيها الإيمان إلى الظن بالله ، وكيف يكشف القتال المنافقين ويلقي عليهم الضوء ، بعد أن كانوا يُخفون أنفسهم في صفوف المسلمين ، ومع ذلك كيف تتدخل المشيئة الإلهية لإسناد ودعم القلة المؤمنة الثابتة ، في هذه الساعات العسوة والحرجة .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَلرسلنا عليهم رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا \* إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ تَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَادْرَأَتْ أَبْصَارُ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرَ وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْواً شَدِيداً \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً \* وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ

## الصفحة 17

لَكُمْ فَلرَجُوا وَيُسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ) (1) .

تَرَى كَيْفَ يَكْشِفُ الْقِتَالَ وَالصَّرَاعَ الْمُنَافِقِينَ !؟

وكيف يدخل النفوس في ساعة القتال الظنّ والريب ، وكيف يهتزّ المؤمنون . الضعاف . من الأعماق !؟

وكيف يتحوّل دَور المنافقين في ساعة واحدة إلى التهريج والتثبيط !؟

وفي مقابل هُلاء ، الصادقون من المؤمنين الذين تطمئنّ نفوسهم إلى الله ، ويثبتون للأعاصير والعواطف ، ولا يدخل نفوسهم شكّ أوريب ، مهما اكفهرتّ الأجواء ، ومهما ضاقت الأحوال .

( وَلَمْ يَرَأِ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَهَذَا كَمَا قَالَ رَبُّنَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُجْرِمُونَ ) (1)   
 وَتَسْلِيمًا \* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ) (2) .

وتتدخل المشيئة الإلهية ، ويؤيد المؤمنون بجنود لم يروها :

( ... اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَلُسْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ... ) (3) .

ويردّ الله الذين كفروا بغيظهم ، ويقذف في قلوبهم الخوف ، ويورث المؤمنين رُضهم وديلهم :

( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ) (4) .

(1) الأحزاب : 9 - 13 .

(2) الأحزاب : 22 - 24 .

(3) الأحزاب : 9 .

## الصفحة 18

قَوِيًّا عَزِيمًا \* وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن سِيَّأُصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُمْ رُضَهُمْ وَدِيْلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَرِضًا لَّمْ تَطَّوَّفُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ) (1) .

كلّ ذلك يتمّ في أجواء الصواع والمواجهة والقتال .

تهتزّ النفوس ويصيبها الؤزال ، ويكشف النفاق عن نفسه ، ويجدّ المنافقون فُوصةً للتهويج والتثبيط ، وتثبت النفوس المؤمنة وتطمئنّ إلى وعد الله ، ويؤرل الله تأييده ونصوه على المؤمنين ، ويقذف في قلوب الذين كفروا لُعب والخوف ، ويهلكهم بأيدي المؤمنين ، ويورث المؤمنين رُضهم وديلهم .

كلّ هذه التحوّلات والانقلابات ، والسُنن والقوانين ، والصعود والسقوط والثبات والانهيّار ، يحدث في ساحات المواجهة والقتال ، وكلّ هذه الحركة القوية التلريخية ، والسُنن والقوانين الإلهية ، والفرز والتفويق والكشف ، يتمّ في جوّ الصواع .

إذن ، الصواع الحضري بين الحقّ والباطل ، يكاد أن يكون نموذجاً ممثلاً لمساحة التلريخ ، وللسُنن الإلهية الجلرية في هذه المساحة بشكلٍ كامل أو غالب . وما يجده الإنسان في امتداد التلريخ الطويل وعرضه العريض ، يجده بصورة مُختولة ومضوّة في الصواعات الحضرية الحقيقية ، التي يقف جند الله في مواجهة جند الشيطان .

... تماماً كما أن قَدَحاً من ماء المحيط يستطيع أن يعكس لنا بصورة مصوّة ومُختولة معظم الخصائص الموجودة في مياه المحيطات الكبيرة ، من التبخير والتجميد والتوجّج والتحرك ، وما يرسب فيه من الأجسام وما يعوم فيه ، وقانون المدّ والجزر ، والعناصر التي تشكّل الماء ، وما إلى ذلك من الخصائص الكيمالوية

( 1 ) الأخاب : 25 . 27 .

## الصفحة 19

والفيزيالوية لمياه المحيطات ، والمطالعة الدقيقة لقدح من الماء تعني عن مطالعة المحيطات الواسعة في معظم الخصائص الكيمالوية والفيزيالوية لمياه البحار .

وما يصحّ عن قانون الاخرال والتمثيل في الفيزياء والكيمياء ، يصحّ قي التلريخ والمجتمع .

فإنَّ شريحةً مُمثَّلةً من المكان والزمان ، يمكن أن تعكس معظم الخصائص والسننُ القائمة في التريخ والمجتمع .

وإنَّما نقول شريحةً زمانيةً ومكانيةً ممثلةً ؛ لأنَّ منَّ الشرائح الزمانية والمكانية والاجتماعية ما لا يحمل هذه الصفة التمثيلية .

فليس كلَّ الشرائح الفيزيوية الكيماوية والاجتماعية تحمل هذه القوة التمثيلية ، التي تستطيع أن تعكس بها الخصائص الموجودة في كلِّ المساحة التي اقتطفنا منها هذه الشريحة ، وهذه هي الشرائح غير الممثلة .

أمَّا الشريحة المُمثَّلة عن الزمان والمكان والتريخ والمجتمع ، فإنَّها تحمل هذه القوة التمثيلية ، وهي بالذات ما نقصده في هذا الموضوع .

ولا شكَّ أنَّ الصواع الحضري بين جند الله والطاغوت ، من أفضل الشرائح ( الزمكانية ) ، التي تتخول وتُمثِّل حركة التريخ ، وتعكس هذه الحركة بقوانينها وسننها الإلهية .

\* \* \*

و ( عاشوراء ) نموذج نادر من الصواع الحضري ، الذي تتجسّد فيها سنن التريخ بشكل قوي ومركّز ، وعيَّة ممثلة لمساحة التريخ ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ورواة صافية لحركة التريخ ، يجد فيها الإنسان الصواع القديم بين جند الله وجند الشيطان ، وأسباب وموجبات هذا الصواع ، وقيم كل من طوفي المواجهة ، وأساليبهم في هذا الصواع ، وحتمةً هذا الصواع ، ومعاناة طوفي .

## الصفحة 20

الصواع في هذه المعركة التريخية ، وما يستتبع هذا الصواع من سقوط وثبات ، وولادة وهلاك ، واستبدال واستتراج ، وتساقط العناصر الضعيفة وصعود وتسامي العناصر القوية المؤمنة ، ونصر الله للفئة القليلة المؤمنة وهلاك جند الشيطان ...

كلّ ذلك ينعكس في رواة عاشوراء ، في هذه الساعات القليلة الحافلة بالأحداث الكبيرة من يوم عاشوراء ،



والجمهور من المؤمنين يقرؤون كل ذلك ، وغير ذلك من قوانين وسنن التريخ والمجتمع والصواع في مآة  
عاشوراء .

بل ماذا أقول؟! إن جمهور المؤمنين يرون أنفسهم في مآة عاشوراء ، فإن الإنسان المؤمن ليس نسيج  
وحده ، وليس نبتة طفيلية مجتثة من فوق الأرض ما لها من قار ، وإنما هو حصيلة هذا الصواع التريخي بين  
الحق والباطل .

وكل هذا الصواع و ما استتبعه من معاناة وآلام ، ونصر وتأييد وثبات وصبر ، قد ساهم بصورة مؤتية أو  
غير مؤتية في ثباته وتكوين شخصيته ، وعاشوراء امتداد لكل هذا الصواع ، وتكريس لهذه المعركة التريخية ،  
ومآة لهذا التريخ الحافل بالصواع والمعاناة .

والمؤمنون يرون أنفسهم في مآة عاشوراء رؤية صافية صادقة وواضحة ؛ ولذلك يجذبهم عاشوراء ،  
ويشعرون بأنهم مدينون لعاشوراء ، وأن عاشوراء تمثلهم وتساهم مساهمة فعالة في تكوينهم ، وتشكل المآة  
الصافية التي تعكس وجودهم وكيانهم .

وهذا هو ما نعنيه عندما نقول : إن عاشوراء نافذة على التريخ ، يستطيع الجمهور بوعيه الفطري البسيط  
أن يطل على التريخ من خلال هذه الساعات القليلة من يوم عاشوراء .

رأيت كيف تمثل صفحة الخلطة الجوافية ، وتعكس إقليما وأسعا من مساحة الأرض!؟

كذلك عاشوراء تمثل مساحة واسعة من التريخ .

ونحن لكي نستوعب عينة ما ، استيعابا كاملا بصورة علمية ، نقوم عادة بواحد



## الصفحة 21

من اثنين ، حسب اختلاف العينة .

أما أن نكبر العين تحت المجهر ، حتى يمكن اكتشاف وفهم الجزئيات الدقيقة منها التي لا تخضع للعين المجردة ، أو نصغر المساحة مع الاحتفاظ بكل مقوماتها وأركانها ونختزلها ، حتى يمكن استيعاب المساحة الواسعة بنظرة واحدة ، وفي دائرة صغيرة .

و ( عاشوراء ) من النوع الثاني ( اختزال شديد لحركة التلرخ وما في هذه الحركة من السنن والقوانين ) ، وهذا الاختزال يتصف بالتمثيل الدقيق لمساحة التلرخ الكبيرة وسننها وقوانينها .

\* \* \*

ذلك أن ( عاشوراء ) من بين نماذج الصواع بين أولياء الله وأولياء الطاغوت ، نموذج نادر من الصواع الحقيقي الحاسم في التلرخ .

ففي هذه المعركة التلرخية الحاسمة يتقرر مصير الإسلام ، وبالتالي مصير رسالات الله تعالى ، الذي كاد أن يسقط في أيدي السلاطين الرسميين الذين كانوا يحكمون باسم الإسلام .

وهذه المعركة وحدها استطاعت أن تضع حداً للسلطة اؤمنية الحاكمة ، وتفصل بين ( الإسلام ) وما كان في قصور الخلفاء وأجهزتهم ، من لهو وسقوط في لذات الحياة الدنيا ، ومن ظلم واضطهاد واعتداء وتجاوز لحدود الله تعالى وأحكامه .

في ( عاشوراء ) ، يتقابل صفوة مؤمنة خالصة ، وعلى رأسهم ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) والصفوة الصافية من أهل بيته وأصحابه ، مع رؤوس الإجرام والنفاق .

وفي هذا التقابل والمواجهة لا أوي ماذا يحس الإنسان من بؤس شاسع وفاصل كبير بين نمطين من الناس ، وبين هذا السقوط إلى الحضيض والصعود إلى القمة ، بين النور والظلمة .

يشعر الإنسان بوجود نمطين مختلفين تماماً من الناس ، وبالفاصل الكبير

## الصفحة 22

الشاسع الذي يفصل في الأهداف والقيم ، والأخلاق والتربية والقرب والبعد من الله ، ثم يجد هذين النمطين من الإنسان في مواجهة حقيقية حاسمة في ساحة الطف .

يدعو أحدهما إلى الله تعالى ، وإلى إقامة الصلاة وإلى العودة إلى الإسلام ، وإلى الأخذ بأسباب العبودية .  
ويدعو الآخر إلى الطاغوت والانقياد له .

يطلب أحدهما وجه الله ومرضاته في هذه الحركة والصراع ويقول :

إِنْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمْ إِلَّا بِقَتْلِي يَا سَيُوفِ خُدَيْبِي

ويقول :

وَاللَّهِ إِنْ قَطَعْتُمْ يَمِينِي إِيَّيْ أَحَامِي أَبَدًا عَنْ دِينِي

ويطلب الآخر سَقَطَ المتاع في الحياة الدنيا ويقول :

املأركابي فضةً أو ذهباً إني قتلتُ السيدَ المهذباً

يُجسِدُ أحدهما في سلوكه وقاتله أسمى القيم وأنبأها ، حتى في القتال ، ويجسِدُ الطّرف الآخر أخط ألوان السلوك في ابتغاء الدنيا وفي الإحرام .

إنّ التقابل العجيب بين هاتين الفئتين اللتين تقأتلان في كربلاء وبين أهدافهما ، يعتبر واحداً من أغرب نماذج الصراع بين الحقّ والباطل في التاريخ .

لقد كان أحد الطرفين حقاً امتداداً لإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله (ص) ، ويحمل معه مراث هؤلاء الصديقين وهمومهم وطموحاتهم ، ويُعدّ الآخر حقاً امتداداً لقابيل وفوعون ونمرود ، والقتلة والمجرمين في

التاريخ .

وعلى نتائج هذا الصواع يتوقف مصير هذا الخطّ أو ذاك .

لقد كان أحد الخطّين يستجمع كلّ قيم وعطاء وتضحيات الأنبياء ، والخط الآخر يستجمع كل أوان الانحطاط والسقوط الذي يشهده الناس في التريخ لهذا الخطّ .

لقد كان مشهد ( عاشوراء ) مشهداً غريباً في نوعه ، ولم يكن يلتبس الأمر في

## الصفحة 23

تمييز الحقّ والباطل وتشخيصهما على أحد بين هذين المُعسكرين ، فقد بان الحقّ وبان الباطل وامتاز أمرهما ، ولم يبق موضع للالتباس لأحد .

فَمَنْ دخل مع هؤلاء ، دخل على بيّنة وبصيرة ، وما بعدها بينة وبصيرة ، ومن انساق من وراء أولئك ، كان ممّن أضلّه الله على علم .

فقد كان يوم عاشوراء يوماً من أيام الفوقان في التريخ حقاً ، افتوق فيه الحقّ والباطل ، ولم يعد لأحد فيها موضع للشكّ واللّبس .

## كلّ رُض كربلاء وكلّ يوم عاشوراء :

إذن ، عاشوراء مرآة لكلّ حركة التريخ ، وامتداد للصواع القائم بين الحقّ والباطل في التريخ .

والعكس أيضاً صحيح ، فإنّ كلّ صواع في التريخ بين الدعاة إلى الله وأولياء الطاغوت ، نسخة من عاشوراء ، على درجات مختلفة من التمثيل ، وهذا هو معنى الكلمة المأثورة والدقيقة المعروفة : ( كلّ رُض كربلاء وكلّ يوم عاشوراء ) .

ففي كلّ رُض وفي كلّ يوم صواع بين الحقّ والباطل ، بموجب قانون حتمية الصواع بين أولياء الله وأولياء الطاغوت ، ولا تخلو رُض من هذا الصواع ، ولا يخلو يوم من أيام التريخ منه .

وكلّ صواع في هذه السلسلة الطويلة من الصواع والحروب والقتال ، يُعتبر نسخة من ( كربلاء ) ومن (

عاشوراء ) ، على درجات مختلفة من التمثيل ، حسب سعة وعمق هذا الصراع وأبعاده في حياة الإنسان .

فالزمان : ( كل يوم ) ، والمكان : ( كل أرض ) ، أكثر من وعاءين لحضرة الإنسان .

إنهما وعاءان لحضرة الإنسان ، ومقومان لها أيضا ، يتفاعلان مع الإنسان ،

## الصفحة 24

يمنحانه ويأخذان منه . والإنسان في تفاعل مستمر مع الزمان والمكان ، يأخذ منهما ويمنحها ويؤثر فيهما ويتأثر بهما .

فالزمان والمكان . إذن . لا يُعتوان وعاءين لحضرة الإنسان فقط . بالمعنى المعروف للوعاء ، الذي ليس له

أي تأثير فيما تحويه . ، إن الزمان والمكان جزءان مقومان لحضرة الإنسان ، ويحملان شحنة وطاقات حضرية

مُعينة في تزيخ الإنسان ، وعندما نقول ( كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء ) ، يعني أن الصراع جزء حتمي

لا يتجزأ من حضرة الإنسان .

وهذا الصراع يمتد زماناً ومكاناً مع حضرة الإنسان ، وفي كل مراحله يعتبر نسخة ممثلة لكربلاء

وعاشوراء ، على درجات مختلفة من التمثيل .

فهذه ثلاثة أصول وثلاثة قوانين :

1 . حتمية الصراع .

2 . استمرارية الصراع على خطي الزمان والمكان .

3 . تمثيل عاشوراء ب درجات مختلفة .

\* \* \*

إن عاشوراء مرآة للتزيخ ، والتزيخ مرآة لعاشوراء ، ومن خلال عاشوراء نطل على حركة التزيخ ،

ومن خلال حركة التزيخ نطل على عاشوراء .

إنَّ عاشوراء تصغير واختزال شديد لمساحة التريخ الكوي ، وحركة التريخ الممتدة على بعديّ الزمان  
والمكان ، تكبير لعينة عاشوراء ، وتمديد لها . ولو وضعنا هذه العينة (عاشوراء) . تحت المجهر ، شاهدنا  
حركة التريخ ، ولو اختزلنا حركة التريخ وصغّرناها بدرجة عالية جداً ، التقينا بعاشوراء .

\* \* \*

إنَّ (عاشوراء) ينبغي أن يُنرس من خلال هذا الأفق التريخي الواسع ، من

## الصفحة 25

خلال حركة التريخ وسُنن الله في التريخ ، وسقوط الأمم وصعودها ، وصراع الحق والباطل الممتد في أعماق  
التريخ ، وفي ساحة التريخ الكوي .

وأعتقد أنَّ الجمهور يعي (عاشوراء) بمثل هذه الرؤية الشاملة ، من خلال وعيه الفطوي البسيط ، ومن  
خلال تفاعله الروحي والوجداني العميق مع عاشوراء .

أمّا طويقة بعض الباحثين في نواسة عاشوراء ، في اقتطاع هذا اليوم العجيب من مساحة التريخ ، ورواسته  
بمغول عن مساحة التريخ وحركة التريخ الكوي ، وبتره عما قبله وبعده ، وتكليس عاشوراء وتعظيم هذه الرؤية  
النافذة ، التي تنفذ بنا من خلال عاشوراء إلى مساحة التريخ الواسعة ، فهو من الظلم لهذا اليوم وقيمتة التريخية

ولابدّ من الاعتراف بأنّ جمهور الناس وُعي لقيمة هذا اليوم من بعض الباحثين ، الذين تناولوا هذا اليوم  
بهذه الطويقة التحزيبية .

وتبلغ السذاجة ببعض الكُتاب أن يتصور أنّ جنور معركة الطف تكمن في قضية (لُينب) ، وما تلف هذه  
القضية من ظروف ، أو الخلاف والتنافس التريخي بين (هاشم) و (أمية) .

إنّ عاشوراء أعمق بكثير من المستوى الذي يتناوله هؤلاء الكُتاب وأمثالهم .

## الصفحة 26

## الصفحة 27

### ثأر الله

\* رؤية قَآنية للنصر والهزيمة

\* القيمة الذاتية للشهادة

\* القيمة الحركية للشهادة

\* رحلة الشهادة في القآن الكريم

\* رحلة الشهادة في السنة الشريفة

## الصفحة 28

## الصفحة 29

### ثأر الله

- رؤية قَآنية للنصر والهزيمة -

من المفاهيم العميقة الوردية في زيارة الحسين ( عليه السلام ) مفهوم ( ثأر الله ) ، وهذا المفهوم يفتح علينا

آفاقاً واسعة للتفكير والتأمل ، وي طرح علينا مسائل من صلب الرسالة والعمل والحركة والجهاد ، وهي مسائل

بالغة الحسّاسية والأهميّة مما تواجهها أمتنا اليوم ؛ ولذلك فسوف نتوقف قليلاً عند هذه الكلمة ، لتأمل معطياتها

وإيحاءاتها .

## الجنور النُغوية للثأر :

يقول ابن سيده : ( الثأر : الطَّلَبُ بالدم ) (1) ، والثأر : الطالب بالدم ، وقيل : الثأر طلب المكافأة بالجناية ، والثأر : الطالب بالمكافأة بالجناية والدم .

ومنه حديث محمد بن مسلم يوم خيبر : ( أنا له يارسول الله المَوْتور الثأر ) ، أي : طالب الثأر ، وهو طالب الدم (2) . ولهذه الكلمة جنور تـرـيخـية وأصل قـآني ؛ فقد كان الدم يستثير أولياء المقتول ونـوـيه للقصاص والانتقام من القاتل ، وهذه

( 1 ) رُجَع : لسان العرب : 2 / 77 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

( 2 ) النهاية ، لابن الأثير : 1 / 204 ، دار إحياء الكتب العربية .

### الصفحة 30

سنة تـرـيخـية قديمة ، والعرب قبل الإسلام كانوا من أكثر الأمم والشعوب اهتماما بمسألة القصاص والانتقام . ( الثأر ) . وملاحقة المجرم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل تمثلت روحه بشكل طير يقال له : ( الهامة ) ، ووقفت على قوه وصاحت : ( اسقوني ) ، أي : اسقوني من دم قاتلي ، ولا زال كذلك حتى يثار أهل القتل من قاتله ، ومن المعيب على نوي المقتول أن يتركوا القاتل ينعم بالحياة ، دون أن يثاروا منه ويقتلوه .

يقول السموأل في مفاخر قومه :

وما مات منا سيد حنفاً أنفه ° ولا ظلّ منا حيث كان قتيلاً °

أي : لم يذهب دم قتيل منا هدراً تون أن نثار له .

والعرب في الجاهلية كانوا يتجاوزون في الثأر الحدود المعقولة ، حتى قتل ( مهلهل ) بأخيه ( كليبي ) من بكر بن وائل مقتلة كبيرة ، وكاد يُفني بكر بن وائل ، حتى جاء الإسلام وشوع القصاص والمسئولة والعدل في



الأخذ بالثأر .

### المعنى الاجتماعي للدم :

ولمسألة ( الثأر ) تزيخ ينفعنا أن نلمّ به في هذا العوض ، فقد كان الدم في حياة العرب القبليّة ، قبيل الإسلام ، مسألة اجتماعيّة تخصّ كرامة القبيلة كلّها ، ضد القبيلة التي صدر العدوان منها كلها .

فإذا اعتدى فرد من قبيلة على فرد من قبيلة أخرى ، لم يكن الدم يخصّ وليّ المقتول والقاتل فقط ، وإنما كانت القبيلة التي وقعت عليها الظلّامة هي صاحبة الدم ، والقبيلة التي كان المعتدي منها هي التي تتحمل مسؤوليّة الدم ، وليس شخص المعتدي فقط ، وكان كلّ فرد من القبيلة الأولى يعطي لنفسه الحق أن يثأر من كلّ فرد من القبيلة الثانية ، وإن كان الثأر بعيداً عن المقتول ، والفرد الذي يقتل به لا علاقة له قربة بالقاتل .

والسرّ في هذا الاهتمام والتعميم في مسألة الدم ، أن القبيلة العوبية كانت تعتبر

### الصفحة 31

الدم حقاً للجميع ، وعلى الجميع أن يعملوا لحماية دمائهم ، وللثأر من القاتل أو القبيلة التي تؤوي القاتل وتمنحه الحماية .

فالدّم للقبيلة وليس للفرد ، والدفاع عن الدم يقع على القبيلة وليس مسألة فديّة .

ولهذا التصوّر لمسألة الدم أصل صحيح في الإسلام في بعض الحدود ، وإن كان الإسلام يختلف في أمر الدفاع عن الدم وحمائيته والثأر من القاتل اختلافاً كبيراً عن قوانين الثأر في الجاهلية ، فالدّم مسألة تخصّ الجميع ، ولا تخصّ المقتول فقط ، يقول القرآن الكريم في التعقيب على أولّ عدوان وقع على يد قابيل ضد أخيه هابيل :

( مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ... ) (1) .

فالعنوان على شخص عنوان على الجميع ، أو كأنه عنوان على الجميع .

إلا أن الإسلام هذبَّ قانون الثأر ، ولم يسمح للجميع بالثأر ، وإنما خص أولياء الدم بذلك ، فإن لم يكن للمقتول وليّ تولّى ولي الأمر هذا الأمر ؛ وذلك لئلا يكون الأمر فوضى ، ولم يسمح مطلقاً بالقصاص والثأر من غير القاتل ، يقول تعالى :

( ... وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ) (2) .

فجعل الله تعالى لولي الدم الذي رُيق بغير حق سلطاناً ، ينتقم من الظالم ويقتص منه ، على أن لا يسرف في القتل ولا يتجاوز حدود الله ( تعالى ) ، يقول تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدَ بِالْعَبْدِ

(1) المائدة : 32 .

(2) الإسراء : 33 .

### الصفحة 32

وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ  
فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) .

فلكل دم رُيق بغير حق . إذن . ثأر ، ولولي الدم أن يطالب بإزالة العقوبة على المعتدي مقابل الجريمة ، فيؤكل الأمر إلى ولي الدم ليثأر للمقتول ، وإن لم يكن للمقتول ولي ، فولي الأمر ؛ لأن هذا الدم من حق الأسرة ووليّ الدم ينوب عن الأسرة في الثأر ، وإذا لم يوجد فولي الأمر يقوم بالثأر للأسرة والقصاص من القاتل .

وهذا كله يؤكد الصيغة الاجتماعية أو العائلية للدم ، وحق الأسرة في المطالبة بالثأر من خلال ولي الدم أو وليّ الأمر .

الثأر في أسرة التوحيد :

وعندما تكون راقية دم من أجل قضية التوحيد والعبودية لله وتحكيم رسالة الله في الأرض ، فإن الأمر يختلف

؛ فالدم هنا رُيق في قضية رسالية وليس في قضية شخصية ، والأمر يتعلق بأسرة التوحيد ، ولا يتعلق بالأسرة العائلية بمعناها الضيق .

وأسرة التوحيد بمجموعها ثائرة لهذا الدم ، وليس نوو الدم من الأسرة الشخصية للمقتول بمعناها المحدود والضيق ، وكما أن الظلّامة تقع على كل أُواد أسوة التوحيد ، كذلك العدوان يصدر من أسوة الشوك بأسرها ، وليس من فرد أو أُواد بخصوصهم ، ما دام يجمعهم الرضا بذلك ، فإن الأمر بالعدوان والمُنفذ له ، والذي يعد له أسبابه ومُقدّماته ، والمشاهد لساحة الظلم الراضي به ، كل أولئك يجمعهم الرضا بالظلم ، وكل أولئك مطالبون بهذا الدم : ( لعن الله أمة قتلتك ، ولعن الله

( 1 ) البقرة : 178 .

### الصفحة 33

أمة ظلمتك ، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به ) .

فالنّار . في مثل هذه القضية . لا يخصّ الأيدي التي تلطخت بالجريمة مباشرة ، وإنما يعم كل الراضين بذلك ، والناس يجمعهم ويُفرّقهم الحبّ والبغض ، والولاء والرواءة ، والرضا والسخط ، في مثل هذه الأمور التي ترتبط بالعقيدة والجهاد .

والناس في هذا الأمر ينقسمون إلى شطرين وولاءين وعقيدتين ، وأسرّتين :

أحدهما : أسوة ( التوحيد ) .

والأخرى : أسوة ( الشوك ) .

والدم الذي رُاق من أجل قضية التوحيد دم لا يخصّ ثوي المقتول فقط ، وإنما يعم كل أعضاء هذه الأسرة ، كما أنّ المطالبة بهذا الدم لا تتوقف عند القاتل والمعتدي فقط من أسوة الشوك والجاهلية ، وإنما تعم كل أطراف العدوان من تلك الأسرة ، ( الأمر والمنقذ والمعد ، وحتى المشاهد الراضي بذلك ) .

فالجريمة إذن من أسوة الشرك على أسوة التوحيد ، والتأثر لأسوة التوحيد من أسوة الشرك .

وحقّ الثأر هنا لا يتحدّد بعصرٍ أو جيل ، فما دامت الظلمة باقية ، وما دام هناك دم رقيقٌ ظلماً وعواناً على أسوة التوحيد ، وأسوة الشرك تتبني هذا العدوان وتدافع عنه وترضى به ، فإنّ الثأر حق لهذه الأسوة من أسوة الشرك والجاهلية ، وكلّ جيل من أجيال التوحيد لا بد أنّ يطالب بالتأثر ويسعى له ، ليرفع الظلمة .

والدم . وهو هنا دم الشهيد . لا يفتأ يستصوخ الضمائر ويستثير الهمم في أعضاء الأسوة للتأثر ، ولا زال يغلي في ضمائر المؤمنين من كلّ جيل حتى يثأروا له .

ثأر الله :

وإذا كان دم الشهيد يستصوخ كلّ الضمائر المؤمنة في كلّ الأجيال للتأثر ، وكانت مسؤولية دم الشهيد على عهدة كل عضو في هذه الأسوة ، ومن كل

### الصفحة 34

الأجيال ، حتى يتمّ الثأر ؛ فإنّ وليّ الدم هنا ليس من قبيل وليّ الدم في الدماء التي تراق في القضايا الشخصية ، فهناك وليّ الدم الأب والجدّ ، وإذا فقدوا فوليّ الأمر ، وهنا في دم الشهيد الذي راق من أجل قضية توحيد الله وحاكميته تعالى ، فإنّ وليّ الدم هو الله تعالى ، وهو وليّ أسوة التوحيد كلها :

( اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيّوهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) (1) .

والله تعالى هو الذي يتولّى الثأر لدم الشهيد ، ويضمن له أن يأخذ بثأره من بين سائر الدماء .

وهذا هو معنى ( ثأر الله ) الولد في زيلة ورث ، أي أنّ الله تعالى هو وليّ الدم والمتصدّي للثأر للشهيد ، وأنّ دم الشهيد ثأر الله . فإنّ الدم هنا لكل أسوة التوحيد ولكل الأجيال ، والله تعالى هو عميد هذه الأسوة ووليها الذي يطالب بالتأثر لدمها .

ومن هذا الباب ، نُخاطب الحسين بن عليّ ( عليهما السلام ) في زيلة ( ورث ) ، فنقول : ( السلام عليك

يا تار الله وابن تاره .

وقد كان من عادة العرب قبل الإسلام أن تنصبراية حواء على قبر القتل حتى يتم الثأر له ، وتبقى هذه الولاية ؛ لتذكر أواد القبيلة بالدم الذي ريق ظلماً ، ولتستصرخ ضمائر أواد القبيلة .

والذين يزورون موقد الإمام الحسين ( عليه السلام ) اليوم ، يرون على قبة الموقد هذه الولاية الحواء ، تُوفى لتذكر الأجيال من أسوة التوحيد بالثأر ؛ لئلا تنام هذه الأمة على الظلم ، ولئلا تقر لها عين ، ولما يثار المؤمنون بعد للدم الذي ريق بكوبلاء ظلماً وعواناً .

( 1 ) البقرة : 257 .

### الصفحة 35

#### موقع الثأر في الصراع الحضري بين التوحيد والشرك :

ولتقف قليلاً عند هذه الكلمة ؛ لننظر كيف يكون هذا الدم ( ثأر الله ) من دون سائر الدماء .

ليس المقصود بـ ( الثأر ) هنا القصاص ؛ فإنه تشويح عام لكل من قتلُ بغير حق ، إذا طالب أولياء الدم بذلك ، وليس للشهيد خصوصية في هذا المجال . كما ليس المقصود بذلك معاقبة القاتل والمعتدي في الآخرة ؛ فهو أيضاً حكم عام لا يخصّ عواناً دونّ عوان ، فلا بد أن يكون للثأر هنا معنى آخر ، غير المعنى المألوف الذي يعرفه الناس ، فالثأر هنا الله ، وهو تعالى وليّ الثأر .

فما عسى أن يكون معنى ( الثأر ) هنا ؟

وكيف يتولّى الله تعالى المطالبة بدم الشهيدين ، الولد والوالد ( ثأر الله وابن تاره ) ؟

وما هو المقصود من كلمة ( ثأر الله ) الوردية في هذه الآية ؟

إنّ الصراع هنا ليس صواعاً شخصياً ؛ ليكون ثراً من شخص . كما هو المألوف في الدماء والثرات . ،

وإنما الصواع صواع حضري ، فيكون الثأر ثراً للقضية والرسالة ، وانتقاماً من الخط الحضري الذي يريد أن ينال من خط الرسالة .

فالشهيد يقاتل في سبيل الله ، ولتثبيت كلمة الله على وجه الأرض ، ولإسقاط الطاغوت وإحباط ثوره وعمله في الأرض وفي المجتمع ، ولإزالة الفتنة التي تعيق الناس عن سبيل الله .

الجريمة هنا ليست جريمة على شخص ، وإنما جريمة على الخط والرسالة التي يقاتل من أجلها الشهيد ، وهي تحكيم شريعة الله في الحياة .

فلا بد أن يكون ( الثأر ) إذن من جنس الجريمة ومن جنس القضية ، ثراً

### الصفحة 36

للقضية وانتقاماً من الخط الحضري المنوئ لسبيل الله وللصواب المستقيم ، وانتصاراً للرسالة التي ضحى من أجلها الشهيد ، وإحباطاً لثور الطاغية وسعيه في الأرض .

فكما أن إزال العقوبة المكافئة للإجرام بشخص المجرم من الثأر والانتقام ، كذلك تسقيط الطاغية و ( المجرم ) وإحباط ثوره في الأرض ، والانتصار للرسالة وتأبيدها ودعمها وإسنادها ، يعد انتقاماً من الطاغية وثراً للشهيد .

والثأر الذي يطلب بدماء الشهداء من أسوة التوحيد ( الإبراهيمية ) ، ويتولى الانتقام من الظالمين والمجرمين ، والانتصار للشهداء ، هو الله تعالى ، فهو ولي الثأر وولي الدم ، والمنتقم الثأر .

### كربلاء الساحة النموذجية للصواع بين الحق والباطل :

هذا المعنى من الثأر والانتقام الإلهي قد تحقّق في الصواع التاريخي الذي حدث في كربلاء سنة ( 61 هـ ) ، بين سيّد الشهداء الحسين ( عليه السلام ) ، وزيد بن معاوية وجيشه .

لقد كانت هذه المعركة على صغر مساحتها العسكرية تجسّد صواعاً ضخماً بين معسكرين وحضرتين ، وفكرتين ومدرستين ، بين الإسلام والجاهلية ، والذي ينظر إلى هذه المعركة من بعيد تتراءى له أن المعركة

كانت بين طائفتين من المسلمين ، ولخلافات ومسائل داخلية وسياسية تتعلق بالحكم والسلطان في الحياة الدنيا .

ولكن الأمر أعمق بكثير من هذا البعد ؛ لقد اتخذت الجاهلية الأولى . بعد هزيمتها أمام انطلاقة الرسالة الإسلامية . دولة بني أمية مظلة إسلامية وآقية لها ؛ لتعود من جديد إلى صلب الحياة ، ولتصادر كل مكاسب

الإسلام في الحكم

### الصفحة 37

والإبرة والاقتصاد ، والتربية والتعليم والأخلاق والعقيدة . ونجحت هذه المحاولة الجاهلية نجاحاً كبيراً ، حتى استطاعت أن تتسلل من خلال آل أمية إلى الخلافة ، وهو قمة النجاح السياسي والحضري .

والذي ينظر بإمعان في تزيخ معاوية وابنه يزيد ، من غير تعصب ، لا يحتاج إلى عناء كبير ؛ ليلمس عودة الجاهلية الأولى من خلال ولايتهما على المسلمين ، في البذخ وتبذير أموال المسلمين ، وفي استعمال المحرمات من غناء وخموة وقمار ، وفي الاستهانة بحدود الله ، وفي تصفية قادة الأمة ( الحسين ) عليه السلام ( وأهل بيته وأصحابه ) ، وفي الاعتداء على معاقل العالم الإسلامي ( مكة المكرمة والمدينة المنورة ) ، وعشوات النماذج الأخرى التي تكشف عن هذه الحقيقة ، والتي لا يحتاج فهمها إلى أكثر من التجرد عن التعصب .

وكان الحسين ( عليه السلام ) يُترك هذه الحقيقة إواكاً جيداً ، ويرى رؤية واضحة عودة الجاهلية إلى صلب المجتمع من جديد ، تحت مظلة بني أمية ، ويرى غفلة الأمة عن هذه المأساة ، فلم يجد بداً من أن ينهض بأهل بيته وأصحابه ؛ ليكافح هذا التيار الجاهلي ، ويصنع هذه المقاومة بدمه ودماء الثلة المؤمنة التي واكبته في هذه المسورة ، ولينبه الأمة إلى ضخامة الجريمة والمؤامرة التي تتسج خيوطها في قصور بني أمية ضد الإسلام .

فكانت ( واقعة كربلاء ) مقاومة جريئة وفدائية وخالصة ، دلت رجاها حول مسألة حضرية مهمة هي : ( إيقاف الودّة الجاهلية ) إلى صلب المجتمع . بعد أن راحها وغزلها الإسلام عنه . وإيقاف التيار الجاهلي وصدّه من التقدّم وفضحه ، وكشف أبعاد هذه الجريمة ، وتنبيه الأمة إلى عمق المأساة وخطورة تلك الودة ، التي تسللت إلى موقع الخلافة من خلال يزيد بن معاوية ، ومن قبله أبيه معاوية بن أبي سفيان .

### الصفحة 38

إنّ الانتقام الحقيقي لدماء شهداء كربلاء ليس في إزال عقوبة ماديةٍ مُؤاتلةٍ بالقتلة ، وإنما الانتقام الحقيقي والمُكافئ للجريمة هو : تحقيق الغاية التي قاتل من أجلها أهل البيت ( عليهم السلام ) ، وكشف حقيقة ونوايا الجهاز الحاكم ، وإيقاف تيار الوردِ الجاهلية ، وإحباط المؤامرة الجاهلية .

هذه النقاط في الحقيقة هي النقاط الأساسية للانتقام من الظالم ، والانتصار للمظلوم ، وتحقيق رادة الشهيد وإحباط رادة الطاغية .

والله ( تعالى ) هو الذي يتولّى تحقيق هذه الغايات ، وتوفير هذه الضمانات جميعاً للشهيد ، فهو ولي الدم وصاحب الثأر والمُنْتَقَم من الطاغية ، والمنتصر للشهيد .

وهذا ( الثأر الإلهي ) من الظالم ، يعمّ كلّ الشهداء بوجات مختلفة ، فكل دم رُيق في سبيل الله دم مضمون القضية ، والله تعالى وليّ كل دم رُيق في سبيله ، وهذه الضمانة الإلهية لدم الشهيد تعطي دم الشهيد قيمة حركية كبرى في التزيخ ، فهو الدم المضمون والمؤمن الذي يتولى الله تعالى الثأر له وتحقيق قضيته ورسالته ، ودحض أعدائه وإسقاطهم وفضحهم ، وقلماً يتمتع شيء في حياة الإنسان بمثل هذه الحركية التي يمنحها الله تعالى لدم الشهيد .

### الضمانة الإلهية لدم الشهيد :

وهذه الضمانة الإلهية لمسورة الدعوة ، يرسمها القرآن الكريم في أكثر من آية بطريقته الخاصة ؛ ليعت في نفوس المؤمنين الثقة والطمأنينة بالعاقبة ، وليثبتهم على طريق ذات الشوكة .

وآيات القرآن تتناول هذه الحقيقة . الضمانة الإلهية للمسورة . بتعابير وصيغ مختلفة ، وبصورة مؤكدة ووثيقة ؛ وذلك إذا أخلص المؤمنون لله وصدقوا وثبتوا ، وانزعوا من قلوبهم حُبّ الدنيا ، وآثروا رضوان الله على كل شيء ، وابتغوا طاعة



( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصِرُوا اللَّهَ يُنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ) (1) .

( إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ) (2) .

( قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ... ) (3) .

( ... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) (4) .

( بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ) (5) .

( وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) (6) .

( ... وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) (7) .

( ... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) (8) .

( ... وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ) (9) .

( ... وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ) (10) .

وليست هذه الآيات المبركات ضمانات اعتبارية وخرجة عن دائرة السنن الإلهية، التي لا تتبدل ولا تتغير، وإنما تأتي هذه الضمانات الإلهية بموجب

(1) محمد : 7 .

(2) غافر : 51 .

(3) التوبة : 14 .

(4) الحج : 40 .

(5) آل عمران : 150 .

(6) الأنفال : 40 .

(7) الحجّ : 78 .

(8) المائدة : 56 .

(9) النساء : 45 .

(10) الفرقان : 31 .

### الصفحة 40

سلسلة من الأسباب والعِلل ، منها ما يرتبط بالقلب والجوانح ، ومنها ما يرتبط بالجرح ، وجملة هذه الأسباب هي التي تستقرّ النصر والقوة من عند الله تعالى للجماعة المؤمنة ، في صواعها مع قوى الكفر والجاهلية على وجه الأرض .

وأهمّ هذه الأسباب هو : الإيمان والتوكّل على الله والثقة به ، والجهاد والعمل في سبيله ، والإخلاص وابتغاء وجهه الكريم ، والانتصار لدينه ، والصبر والثبات ، والصدق في الموقف ، والإعداد الميداني للمعركة ، وغير ذلك من الأسباب التي تستقرّ النصر من الله تعالى ، وتؤمن الضمانة الإلهية للنصر في ساحات القتال والمواجهة .

والشهداء في طليعة المؤمنين ، إيماناً وثقة بالله ، وجهاداً وتضحية ، وعطاءً وبذلاً في سبيل الله تعالى ، وابتغاءً لوجهه الكريم ، وثباتاً وصدقاً في القول والعمل ، وصواً في مواجهة التحديات .

هذه كلّها مفاتيح النصر ، والأسباب التي تستقرّ النصر من عند الله تعالى ، ودم الشهيد يجمع هذه الخصال جميعاً ، ويشهد للشهيد بالصدق والصبر والعطاء .

**معنى النصر والهزيمة :**

وقبل أن نستقرّ في الحديث عن الضمان ة الإلهية لدم الشهيد ، ومواكب الشهداء في التاريخ ، ووعدّ الله

تعالى لهم بالنصر والتأييد والغلبة على معسكر الجاهلية ، لا بد أن نقف هنا وقفة قصيرة لنقول :

إنّ هذا النصر ليس بالمعنى العسكري للنصر ، فقد كان بنو أمية هم المنتصرين يوم الطف على معسكر الحسين ( عليه السلام ) ، لو كُنّا نقصد بالنصر هذا المعنى الذي يفهمه الناس من النصر عادة ، ولكننا عندما نتجاوز الشعاع المنظور للمعركة ، والأبعاد العسكريّة والسياسية القوية لها ، نجد أن الحسين ( عليه السلام ) قد

تمكّن من



## الصفحة 41

إسقاط يزيد وإسقاط القناع من وجهه كأمر للمؤمنين ، وفضحه ومُصاورة الشرعية التي حاول أن يسبغها على نفسه ، والقواعد التي كان يستند إليها ، وإنهاء خطة السياسي في تحريف الإسلام عن محواه الصحيح .

وهذا هو كل ما كان يريد سيد الشهداء ( عليه السلام ) في صواعه مع يزيد .

فلم يكن الحسين ( عليه السلام ) يطلب حُكماً أو سلطاناً عاجلاً . وقد كان على بينة من أمره هذا . عندما خرج من الحجاز إلى العراق ، وإنما كان يريد أن يُعري يزيد أمام المسلمين ، ويسقط القناع عن وجهه ؛ لئلا يتمكن من تحريف مسوأة الإسلام وتحويله إلى مُلكٍ عَصُوضٍ ، كما يقول رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وقد استطاع الحسين ( عليه السلام ) أن يُحقّق بالدقة كل ما يبتغيه من خروجه على يزيد .

إنّ المعركة التي خاضها سيد الشهداء الحسين ( عليه السلام ) لم تكن تستهدف أهدافاً عسكرية أو اقتصادية ؛ لِنقيس نجاح المعركة وفشلها بما حقّق من أغراض عسكرية أو اقتصادية ، وإنما كانت معركة حضلية .

فقد استطاعت الجاهلية الأموية التي هزمها الإسلام ، أن تتسلل إلى مراكز القيادة في المجتمع الإسلامي من جديد ، بكلّ أبعادها وتراثها الجاهلي ، وكان هدف الحسين ( عليه السلام ) هو إيقاف هذا المدّ الجاهلي الذي بدأ يمتدّ إلى جسم الإسلام ، وباسم الإسلام ، وصدّه وفضحه وتعييته .

وقد حقّقت ثورة الحسين ( عليه السلام ) كل ما كان يريد في هذه الحركة المباركة .

لقد أسقطت شهادة أبي الشهداء ( عليه السلام ) وأهل بيته وأصحابه القناع عن وجه يزيد ، وعوته تماماً للمجتمع الإسلامي وللتاريخ ، وانتعش منه وممن خلفه الشرعية التي كان يحرص عليها هؤلاء ، فلم يعد يزيد وخلفه . من حكام بني أمية . يشكّلون خطأ على أصول هذا الدين وفروعه ، وخطه ومقاييسه وتراثه .

وقد تولّى الله تعالى قضية هذه الدماء ورسالتها ، وثأر لها وحقّق قضيتها ، لو أننا

## الصفحة 42

فهنا النصر بمعناه العميق الحضري والتاريخي ، وليس الفوز في جولةٍ عسكرية ، وليس من الصحيح أن نقيس النصر والهزيمة بمقياس النجاح والفشل في جولةٍ عسكريّة .

ولو أردنا أن نفهم النصر والهزيمة في هذه الدائرة الضيقة ، وبمثل هذا الفهم المحدود ، لم نستطع أن نفهم حركة التاريخ وسُننَ الله في التاريخ ؛ فقد يربح أحد الأطراف جولة من المعركة ، ولا يكون منتصراً بالمعنى البعيد والحضري لهذه الكلمة ، وقد يخسر أحد الأطراف الجولة والجولتين في المعركة ، ولن يكون مهزوماً . وقد يربح الطرف الذي يُحسن اللعب على الحبال ، ويحسُن شِواء وبيع الضمائر ، ويحسُن الخيانة وتجاوز القيم ، ولكنه لن يكون منتصراً ، وقد يخسر الطرف الذي يثبت عند القيم والمبدأ الجولة الواحدة والثانية والثالثة في المعركة ، وتكون له العاقبة المحمودة والنصر .

إذن ، لا يُقاس النصر بهذه المقاييس الآنية والوقتيّة ، وإنما بتحقيق الأهداف والغايات الحضريّة ، والحسين ( عليه السلام ) . بهذا المقياس . قد انتصرَ على يزيد ، وقبله أخوه الحسن المُجتبى ( عليه السلام ) على معاوية ، وقبلهما أبوهم عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) على معاوية .

وهذا هو المقياس الصحيح لمعرفة النصر والهزيمة ، وهذا الذي نقصده نحن من النصر في الصواع الخالد بين الإسلام والجاهليّة ، الذي يضمنه الله تعالى للصالحين من عباده .

\* \* \*

## الصفحة 43

### ثأر الله

### القيمة الذاتية للشهادة

في هذه النقطة نتناول قيمة الدم ودوره في تكامل شخصية الشهيد وسلوكه إلى الله تعالى .

إنّ ( الدم ) في الوقت الذي يُعتبر من أقوى عوامل التحريك في المجتمع ، يعد من أهم عوامل بناء شخصية

المؤمن وتكامله وسلوكه إلى الله تعالى .

ولكي نفهم قيمة الدم ونوره في تكامل شخصية الإنسان وسلوكه إلى الله ، لابد أن نلمُ الإمامة سويعة بهذه الرحلة الطويلة والعسوة ، التي تنقل الإنسان من محور ( الأنا ) و ( الذات ) و ( الهوى ) ، إلى محور ( ولاية الله ) وتمثّل حركة الإنسان وسوره التكاملية إلى الله .

رحلة الإنسان إلى الله :

ويوجز القرآن الكريم هذه الرحلة بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَّاقِيَةٌ ) (1) .

وبالتأمل في هذه الآية الكريمة نلتقي بالنقاط التالية :

(1) الانشقاق : 6 .

## الصفحة 44

1 . إنّ هذه المسورة والنقطة هي الهدف والغاية من خلق الإنسان ؛ ولذلك يتوجه الخطاب في الآية الكريمة إلى ( الإنسان ) .

على غير طريقة القرآن في الخطابات التي تتوتّب على الإيمان بالله ، حيث يوجّه القرآن فيها الخطاب إلى ( الذين آمنوا ) ، وتوجيه الخطاب هنا إلى الإنسان ، دون تخصيص بالذين آمنوا فقط ، ينمّ عن أنّ هذه المسورة والرحلة هي الهدف والغاية من خلق الإنسان .

ومن دون أن يدخل الإنسان في هذه المسورة ، ويتعرّض لكدحها وعنائها لا يمكن أن يحقق الغاية والهدف من تكوينه وخلقه ، ولا يتحقّق النضج والرشد والكمال المطلوب منه .

2 . وتبدأ هذه المسورة بـ ( الأنا ) ، بما تكتنّف الأنا من الشهوات والأهواء والغوازل ، بصورة طبيعية ، وتنتهي إلى الله : ( ... إِلَىٰ رَبِّكَ ... ) . وهذا القوس الصعودي من الأنا إلى الله هو مسار حركة الإنسان ونموّه

وتكامله .

3 . ولا بُدَّ أن تتم هذه الحركة بصورة اختيلية وطوعية في حياة الإنسان .

وقيمة هذه الحركة أنها تتم بصورة اختيلية وطوعية وبلادة الإنسان . ولو أن هذه الحركة كانت تتم بصورة قهريّة ، لم تكن تُحقّق للإنسان هذا التكامل والنمو الذي سوف نشير إليه .

إنّ الموت ينتزع الإنسان بصورة قهريّة من محور ( الأنا ) ولذاته وشهواته وأهوائه ، وما يملك من متاع الحياة الدنيا ، ومن الأبناء والأزواج والأموال ، إلّا أنّ هذا الانفصال . حيث يتم بصورة قهريّة . لا يحقّق للإنسان لقاء الله الذي تُشير إليه الآية الكريمة .

ولعلّ صعوبة ( النزَع ) نابعة من هذه الأنواع القهري من الحياة الدنيا ، وكلما تكون علاقة الإنسان بالحياة الدنيا أكثر وأعمق ، تكون زَعات الموت عليه أصعب وأقسى ، وإنّ الإنسان ليفقد نواهم معنودات من المال أو بعض أغوائه ، أو

### الصفحة 45

بعض ما يملك من حُطام الدنيا فيشقّ عليه ذلك مشقةً بالغةً ، فكيف إذا قهره الموت ؛ لينتزع من كل علاقاته في الدنيا على الإطلاق ، ومرة واحدة .

وهذا الانتواع القهري الذي يحقّقه الموت ، لا يرفع من درجة الإنسان ، ولا يحقّق للإنسان كمالاً ؛ لأنه تمّ بصورة قهريّة ومن دون رادة الإنسان ، وإنّما يتكامل الإنسان عندما يسعى لانتواع نفسه من التعلق بالحياة الدنيا ومتاعها ولذاتها ، بصورة اختيلية ، وبشكلٍ تدريجي ، حتى يتحرر من حب الدنيا والتعلق بها ، ومن ( الأنا ) و ( الهوى ) بشكلٍ كامل .

ولعلّ الحديث المعروف : ( موتوا قبل أن تموتوا ) (1) يشير إلى هذه الحقيقة ، ويكون المقصود بالموت الأوّل هو : الموت الاختيلي ، وبالموت الثاني هو : الموت القهري والطبيعي .

وهذه الحركة الطوعية إلى الله ، تتطلب من الإنسان الكثير من الجهد والمعاناة ، وربما تشير الآية الكريمة

إلى هذه الحقيقة ، في قوله تعالى : ( ... إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ... ) .

4 . وهذه المسيرة مسيرة كمال الإنسان وعوجه إلى الله ، والغاية من هذه المسيرة هي أشرف الغايات

وأسمائها في حياة الإنسان على الإطلاق ، وهي : لقاء الله ، وإلى هذه الغاية العليا تشير الآية الكريمة : ( ...

فَمَلَأْتِيهِ ) .

فإن لقاء الله هو النتيجة التي تترتب على مسيرة الإنسان الكادحة إلى الله ، وحسب الإنسان في هذه الرحلة

الشاقة والكادحة أن ينال ( لقاء الله ) ، وتلك غاية لا ينالها إلا القليل ممن ارتضاهم الله تعالى واختارهم .

5 . وهذه المسيرة بقدر ما تحقق للإنسان الكمال والتسامي ، ونيل لقاء الله . الذي هو أشرف ما يناله الإنسان

في دنياه وآخرته . ، تتطلب منه الجهد والعناء والكدح .

(1) بحار الأنوار : 72 / 59 / الحديث الأول .

## الصفحة 46

وهذه الضريبة الحتمية في الطويق إلى الله ، هي التي تشير إليها الآية الكريمة : ( ... إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ

كَدْحًا ... ) .

رواسة للمنطق والغاية في حركة الإنسان :

منطلق الإنسان في هذه الحركة هو ( الأنا ) ، وغاية الإنسان في هذه الحركة هو ( الله ) تعالى ، والإنسان

يكبح بين هذا المنطلق وتلك الغاية .

والمنطق ( الأنا ) محفوف دائما بالشهوات والأهواء ، ويتطلب من الإنسان الركون إلى متاع الحياة الدنيا

ولذاتها ، والتسليم لها ، ويسعى لفض سلطانه على الإنسان ، وحبسه عن العروج والصعود إلى الله .

والغاية في هذه الرحلة هي الله تعالى ، وهو سبحانه يطلب من عباده الطاعة والانقياد ، والتسليم والرضا ،



والحُبِّ ، والنصر ، وتجتمع هذه المعاني جميعاً في كلمة ( الولاء ) .

والإنسان يتحرك كادحاً بين هذا المنطلق وتلك الغاية ، بين جاذبية المنطلق بما تحفه من الشهوات والغرائز ، وبين الكدح الشاق والعسير إلى الله تعالى .

ولابد أن نقف وقفة قصوة عند هذا المنطلق وتلك الغاية ؛ لنعرف قوانين وسنن هذه الحركة الصاعدة ( الكايحة ) إلى الله تعالى من ( الأنا ) .

## 1 . المُنْطَلَق :

أول شيء يُوقننا في هذه المسورة نقطة المنطلق ، وهي : ( الأنا ) والذات الإنسانية .

وتكتنف ( الأنا ) ثلاثة أنواع من العوامل : اثنان منهما يتجاذبان الإنسان ويسحقانه كحجري الرحي ، ويشدان الإنسان إلى الحياة الدنيا شداً وثيقاً ، ويقيدانه ويعرقلان تحركه وإطلاقه ، ويتقلانه بحب الدنيا ومتاعها ولذاتها .

## الصفحة 47

وأجمل تعبير عن هذا الانشداد هو قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ لَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ) (1) .

وهذان العاملان اللذان يضغطان على الإنسان ، ويشدان الإنسان إلى الأرض هما :

أ . الشهوات والغرائز والأهواء والميول النفسية : وهذا النوع يكمن داخل النفس ، ويصطلح عليه القوان بـ ( الهوى ) .

ب . المغريات والمثوات التي تحرك الشهوات وتهيج الغرائز : وهذا النوع قائم في ساحة الحياة ، ويثير

الشهوات والغرائز في نفس الإنسان ، كالبنين والنساء ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، ويصطلح

القوان عليه بـ ( الفتنة ) .

وبين هذا العامل وذاك يقع إبليس اللعين وجنوده من شياطين الجن والإنس ، الذين يقومون بتور الوساطة بين ( الأهواء ) و ( الفتن ) ، بتحريك الشهوات في نفس الإنسان بالمغويات والمثرات ، وجذب الشهوات إلى هذه المثرات .

والإنسان في نقطة ( المنطلق ) هذه ، يقع تحت تأثير هذه العوامل الثلاثة ، التي تضغط عليه وتحدد حركته ، وتقيده عن الانطلاق والصعود .

### مَثَلُ الْإِبْتِلَاءِ فِي الْقَوَانِ الْكَرِيمِ :

ونعود مرة أخرى إلى القوان الكريم ؛ لنتعرف على نور ( الأهواء ) و ( الفتن ) و ( الشيطان ) في حياة الإنسان .

ونبدأ الحديث عن الشهوات والأهواء .

(1) التوبة : 38 .

### الصفحة 48

#### أ . الهوى :

عن الهوى ونوره التخريبي في حياة الإنسان ، يقول تعالى : ( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَالِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) (1) .

وفى الرواية : إنَّ هذه الآيات تولت في ( بلعم بن باعراء ) من علماء بني إسرائيل ، الذي آتاه الله تعالى آياته فانسلخ منها باتباعه الهوى .

وسواء صحّت هذه الرواية أم لم تصحّ، فإن الآية الكريمة تشير إلى الدور التخريبي الواسع لسلطان الهوى على حياة الإنسان، وأول هذه الآثار هو: الخلود إلى الأرض: (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) .

والمقصود بالأرض: الحياة الدنيا، والخلود: السقوط.

وهذا هو الأثر الأول لسلطان الهوى على النفس، وهو السقوط في لذات الدنيا وحطامها، والالتصاق بها، وهذا السقوط بطبيعة الحال. في مقابل العروج إلى الله، يحبس الإنسان عن الله.

والأثر الثاني هو: الانسلاخ عن آيات الله: (فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا) ، كما تتسلخ الحيّة من جلدها ويفصل ويبين عنها تماماً، فلم تعد لها علاقة به، ولم يعد له علاقة بها. كذلك الإنسان إذا تمكّن منه الهوى، ينسلخ عن آيات الله وتبين عنه، ويصبح غريباً عنها وتصبح غريبة عنه، ويفقد كل بصيرة ووعي بآيات الله، ويرفضها كما يرفض المريض الطعام الشهّي اللذيذ.

والأثر الثالث: إتباع الشيطان: (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) ، أي: أركه وتمكّن منه، ومن تمكّن منه الشيطان ونشبت فيه مخالفه، سلّب منه عقله وقلبه وضموره وفطرته،

(1) الأعراف: 175 . 176 .

## الصفحة 49

وكلّ ما آتاه الله تعالى من القيم، وذلك أقصى درجات السقوط في حياة الإنسان.

والأثر الرابع: الغواية والضلالة: (فَكَانَ مِنَ الْغُلُوبِينَ) ، وكيف يُمكن أن يستقيم على هدى الله من تمكّن منه الشيطان، وسلّب منه عقله وقلبه وضموره وفطرته ومسّخه، فلا محالة يكون سعيه كله في ضلال وغي.

والأثر الخامس: الجشع والحرص على حطام الدنيا: (فَمَثَلُهُ كُمُتْلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ

يَلْهَثُ) ، فلا يروي ظمأهم إلى حطام الحياة الدنيا وزخرفها شيء، ومهما أكثروا منها لدانوا إليها جشعاً، كما يُصيب الكلاب داء (الكلب) فلا يرويه ماء، فهي تلهث على كل حال، كذلك هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم

فأخلوا إلى الأرض ، فلا يزيدهم السعي إلى الدنيا إلا لهاثاً وظماً .

ولست أقول لا تزيدهم الدنيا ، وإنما أقول لا يزيدهم السعي إلى الدنيا ، فقد يسعى المؤمن إلى الدنيا فيُصيب منها ما يشاء الله ، قلّ أو كثر ، ولكنه لا يلهث خلف الدنيا ، ولا يزيد السعي إلى الدنيا ظماً ولهاثاً من وراءها .

رُوي أنّ الإمام الصادق ( عليه السلام ) قال لرجلٍ اشتكى إليه حرصه على الدنيا ، فقال ( عليه السلام ) : (

**إن كان ما يكفيك يُغنيك ، فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك ، فكل ما فيها لا يغنيك ) (1) .**

تلك صورة عن سلطان الهوى على الإنسان ، وتبره التخريبي في حياة الإنسان ، من القرآن الكريم .

ويرسم القرآن ، على لسان امرأة العزيز في سورة يوسف ، لوحةً أخرى لسلطان الهوى على الإنسان ،

وهي لوحة مُعبرة وناطقة ، وذلك في قوله تعالى : ( ... **إنّ النفس لأمرّة بالسوء** ... ) (2) .

وتحمل هذه الآية المبركة ، من معاني تأكيد سلطان الهوى على النفس ، الشيء العظيم ، وكان

(1) أصول الكافي : 2 / 139 .

(2) يوسف : 53 .

## الصفحة 50

أسأدتنا . عندما كنّا نقرأ ( النحو ) . يستشهدون بهذه الآية الكريمة في تكرار التأكيد وتوكيدها .

فالجملّة اسميّة ومُصوّبة بـ ( إن ) ، و ( الأمرة ) صيغة مبالغة معروفة ، ومصوّبة بـ ( اللام ) ؛ لتأكيد

المبالغة والتأكيد .

وكلّ هذه التأكيدات ؛ لتنبّه الدور التخريبي السيئ للهوى ( الأمرة بالسوء ) ، ونكتفي بهاتين الآيتين من

كتاب الله في توير التور السلبي لسلطان الهوى في حياة الإنسان .

ب . الفتنّة :

وهذا هو الضلع الثاني من مثلث الابتلاء ، والفتنة والفتن : هي المغريات والمثوات التي تتوي الإنسان وتثير النفس ، وهي تقع خراج النفس وفي الحياة الدنيا ، بعكس الهوى الذي يكمن داخل النفس .  
والدنيا فتنة ، وحطامها فتنة ، وما فيها من الذهب والفضة والأموال والأولاد والأزواج فتنة . وهذه الفتنة تأسر الإنسان وتسلبه رادته ، وتستذله .

يقول تعالى : ( ... أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورُ ) (١) .

وهذه النقاط التي تذكوها الآية الكريمة ، هي كل اهتمامات الإنسان عندما يحوم حول محور ( الدنيا ) .

وللشيخ بهاء الدين العاملي (رحمه الله) التفاتة طويفة في

(1) الحديد : 20 .

## الصفحة 51

تفسير هذه الآية الكريمة ، كما ينقل ذلك العلامة الطباطبائي في الميزان (1) .

يقول الشيخ : ( إن الله تعالى استعوض هذه الحالات الخمس ، بقرتیب وموراة مراحل عمر الإنسان المختلفة ، فالإنسان يبدأ المرحلة الأولى من عمره باللعب ، ثم تعقب هذه المرحلة مرحلة المراهقة ، وهي مرحلة اللهو ، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الرينة والأناقة في حياة الإنسان ، وهي مرحلة اكتمال ونضج الشباب ، ثم في نهاية مرحلة الشباب تبرز في الإنسان حالة حب التفاخر والرياء والتظاهر ، فإذا تقدم السن بالإنسان وأشرف على الشيخوخة ، ظهرت فيه حالة التكاثر في الأموال والأولاد ) .

ويقول تعالى : ( زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ) (2) .

وهذه النقاط هي أهمّ المسائل التي تستثير غوازل الإنسان وتهيجها ، وتشد الإنسان إلى هذه المغريات التي يحصي القرآن طرفاً منها في هذه الآية .

### ج . الشيطان :

وإبليس وجنوده من الشياطين هم الضلع الثالث من ( مثلث الابتلاء ) ، يقرب البعيد للإنسان ، ويبعد الوييب ، ويوسوس في النفس ، ويؤين للإنسان القبيح ويقبح له الجميل ، ويعرض عليه الفتنة عرضاً ؛ ليزيد في إثرتها وإغوائها ، ويحرك أهواء الإنسان وشهواته ، ويفتنه بها : ( يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ

( 1 ) المizan : 19 / 188 .

( 2 ) آل عمران : 14 .

### الصفحة 52

أَبْوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَبْغِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا ) (1) ، ( وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) (2) ، ( الشَّيْطَانُ يُعَدِّمُ الْفُقَرَاءَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْدَمُ عِدَّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ... ) (3) ، ( ... وَقَالَ لَاتَّخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا \* وَلَا ضَلِيلِهِمْ وَلَا مَنِينِهِمْ ... ) (4) ، ( اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ) (5) ، ( فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدَّبَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلَكَ لَا يَبْلَى ) (6) .

تلك هي الأضلاع الثلاثة لمثلث الابتلاء الرهيب ، الذي يشد الإنسان إلى الحياة الدنيا ، وتلك هي نقطة المنطلق في حياة الإنسان .

### أعواز التعلق بالدنيا في نقطة الانطلاق :

وينشأ من تعلق الإنسان بالدنيا وانشداه إليها ، ثلاثة أنواع من الأعواز المرصية الصعبة :

منها : ما يتعلّق بعلاقته بالدنيا .

ومنها : ما يتعلّق بعلاقته بالله تعالى .

ومنها : ما يتعلّق بعلاقته بالآخرين .

**والنوع الأول هو : الأمراض الأخلاقيّة التي تخصّ علاقة الإنسان بالدنيا ، مثل :**

( 1 ) الأعراف : 27 .

( 2 ) البقوة : 168 . 169 .

( 3 ) البقوة : 268 .

( 4 ) النساء : 118 . 119 .

( 5 ) المجادلة : 19 .

( 6 ) طه : 120 .

### الصفحة 53

( الحِرْصُ ) و ( الطَّمَعُ ) و ( الجشعَ ) و ( الوكون إلى الدنيا ) و ( البطرَ ) و ( طول الأمل ) ... وغير ذلك .

**والنوع الثاني : الأعراف التي تخصّ علاقة الإنسان بالله تعالى ، وهي كثيرة .**

وممّا لاشكّ فيه ، أنّ علاقة الإنسان بالدنيا لها انعكاس مباشر ونسبة عكسيّة على علاقة الإنسان بالله تعالى ،

وكلمّا كان إقبال الإنسان وانشغاله بالدنيا أكثر ، قلّ إقباله على الله تعالى وذكّره إياه ، والقوآن الكريم يشير إلى

هذه الحقيقة في قوله تعالى : ( **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا** ) \* ( **أَنزَاهُ اسْتغْنَى** ) ( 1 ) .

إنّ الإحساس بالاستغناء وهمّ كاذبٌ ، ناتج عن تعلق الإنسان بالدنيا وإقباله عليها واعتماده عليها ، وهو ليس

من الاستغناء ؛ فإنَّ الإنسان لا يستغني عن الله تعالى في كلِّ حال ، يقول تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ... ) (2) ، وإنَّما هو توهمٌ كاذبٌ للاستغناء ، وتعبير القرآن عن ذلك دقيق : ( أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى ) ، وليس ( أن استغنى ) ، وبين هذا وذاك فُوق .

إذن ، المسألة نفسية وليست موضوعية ، وتعبير آخر : ليس الغنى والتمكّن من أسباب الحياة الدنيا ، هو الذي يؤدي بالإنسان إلى الطغيان ، إذا كان الإنسان يشعر في قرارة نفسه في كلِّ الحالات بقوة وحاجته إلى الله ، وإنَّما الذي يؤدي إلى الطغيان في علاقته بالله ، هو وهم الاكتفاء بالدنيا عن الله ، والاستغناء بالدنيا عن الله ، وهو يؤدي إلى الثوّه وَالْحَرِصِ ، ويؤدي إلى الطغيان والإعراض عن الله تعالى في وقت واحد .

إذن ، الإقبال على الدنيا ، والاعتماد عليها ، والتعلّق بها ، يؤدي بالإنسان إلى الإعراض عن الله بوجات مختلفة ، على قدر إقباله على الدنيا وتعلّقه بها

(1) العلق : 7 . 6 .

(2) فاطر : 15 .

## الصفحة 54

وانشاده إليها ، ويؤدي به إلى ضعف الثقة بالله ، وضعف التوكّل على الله وضعف اليقين بالله ، وينعكس انعكاساً سلبياً على يقينه وثقته وإقباله وتوكله على الله ، وهذا هو النوع الثاني من الأعراض النابعة عن تعلق الإنسان بالدنيا .

والنوع الثالث من هذه الأعراض : هي الأعراض الناجمة عن الاحتكاك والتنافس ، والتواحم فيما بين الناس على حُطام متاع الدنيا ، كالحسد والبغضاء وسوء الظنِّ ، والغيبة والكذب والمطواة ، والجدال والتقاطع ، والتسقيط والعنوان .

وهذه الأبراض الثلاثة نابعة من حُبِّ الدنيا ، وهي من عوامل انحراف الإنسان وسقوطه ؛ ولذلك ورد في



الحديث الشريف : ( حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ حَظِيئَةٍ ) ( 1 ) .

هذا هو . على نحو الإيجاز الشديد . المحور الأول أو المنطلق في حياة الإنسان ، وهو ( الأنا ) ، والأعراض الموضيعة الناجمة عن ارتباط الإنسان بهذا المحور ، والتي تحوّه إلى السقوط والهلاك .

## 2 . الغاية :

والمحور الآخر في حياة الإنسان هو : ( الله ) .

فعندما ينتقل الإنسان إلى هذا المحور ، يضع نفسه بشكلٍ كاملٍ تحت تصرفِ حكمِ الله وإرادته وسلطانه ، وأمره ونهيهِ ، وينقاد لسلطانِ الله انقيادا كاملا في كل أمرٍ يرتبط بحياته ، فيما يتعلق بجوارحه وأعضائه ، وما يتعلق بجوانحه وحبهِ وببغضهِ ، ويخرج بشكلٍ كاملٍ من

( 1 ) الدنيا ليست مذمومة في الفكر الإسلامي ، واقتناء متاع الدنيا ليس أمرا مذموما ، إنما المذموم هو التعلق بمتاع الحياة الدنيا والانشداد إليها ، فليس من بأسٍ أن تكون الدنيا بمتاعها ولذاتها وطيباتها في قبضتك ، فليست هذه الطيبات محرمة على عباد الله ، ولكن البأس كل البأس ، أن يكون الإنسان في قبضة الحياة الدنيا ، وتحت تأثيرها .

## الصفحة 55

سلطان الهوى والأنا ، وينزع نفسه انوعاً كاملاً من سلطان هذا المحور ، ويدخل في دائرة سلطان ولاية الله بشكلٍ مطلقٍ ، ومن دون حدود وقيود ، فلا يحب إلا ما يحب الله ، ولا يبغض إلا ما يبغض الله ، ويحب الله ، ويحب الله ، ويحب في الله ، ويبغض في الله وينقاد لأمر الله ونهيهِ ، ويستسلم لمشيئة الله وحكمه استسلاماً كاملاً .

والآية الكريمة التالية من سورة الأنعام تُعطي تصوراً واضحاً ودقيقاً لهذا المحور الذي نتحدث عنه ، والذي

هو دين إبراهيم ( عليه السلام ) : ( قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا

## أول المسلمين (1) .

فلن يكون الإنسان داخلاً في دائرة ولاية الله ، وخاضعاً للمحور الرباني في الحياة ، إلا عندما يكون كل شيء في حياته لله تعالى من دون استثناء ، ( صلواته وتُسكّه ) ، ( وحياته وممّاته ) .

**الطاعة والتسليم والذكر والرجاء والرهبة والحب :**

ومن أهمّ مقومات هذا الارتباط : الطاعة والتسليم والذكر ، والرجاء والرهبة والحب ، ورأس كل ذلك ( اليقين ) ، وهو من أعزّ ما أنعم الله تعالى على عباده من النعم .  
ولابدّ أن تجتمع هذه الأمور جميعاً حتى يخرج الإنسان من دائرة الأنا ، ويدخل في دائرة ولاية الله تعالى .

(1) الأنعام : 161 . 163 .

### الصفحة 56

ومن الطاعة : التبعيّة لأحكام الله ، والاتّام بحدوده تعالى ، والقيام بفوائضه ، والتقوى .

ومن التسليم : الوضا بقضائه وقوّه ، والتسليم لمشيئته وإرادته .

ومن الذكر : وعي حضور الله تعالى ، واستحضار سلطان الله في كل الحالات ، والواقبة والمحاسبة ، وانفتاح القلب على الله ، والانصراف إلى الله ، وانشغال القلب بالله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى عن كلّ شيء آخر ، إلا أن يكون في امتداد ذكر الله وأمره .

ومن الرجاء : الدعاء والسؤال والاستغفار .

ومن الرهبة : التّضوّع والبكاء ، والتقوى والخشية والخشوع .

ومن الحبّ : الأُنس بالله والحبّ في الله والبغض في الله ، والحنين والشوق إلى لقاء الله ، والابتهاج بذكر الله

وقضائه .

وسبيل الإنسان إلى حُبِّ الله تعالى ، الطاعة والتبعية والتقى والانقياد لأحكام الله ، وإذا أحب الإنسان ربه أحبَّ الله .

يقول تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) ، وإذا أحبَّ الله عبداً رزقه نورا في بصره وسمعَه وقلبه ، وقوة في بطشه ، وتسديدا في كلامه ونطقه وفعله .

فقد ورد في الحديث القدسي : ( ما يتقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، وإنه ليتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبتُه وإن سألتني أعطيتُه ) (1) .

( 1 ) روى الفريقان هذا الحديث بشكلٍ متواتر .

فقد ورد عن طريق أهل البيت (ع) بطُرقٍ متعدّدة ، رواها شيخ الإسلام الكليبي في الكافي ، والرقمي في المحاسن ، والحرّ العاملي في الأحاديث القدسية ، وغيرهم .

كما ورد عن طريق العامة بروايات متعدّدة ، رواها البخاري في الصحيح ، والغوالي في الإحياء ، وغيرهما من الرواة والعلماء .

## الصفحة 57

وإذا خرج الإنسان من سلطان الهوى ودخل في دائرة ولاية الله ، رزقه الله ، كما في هذا الحديث ( نورا في بصره وسمعَه ، وتسديدا في كلامه ومنطقه وفعله ، وقوة في بطشه . فيسمع بالله ويبصر بالله ويُنطقُ بتسديد الله وَيَبْطِشُ بحول الله وقوته ) .

كيف يأخذُ الإنسانُ ويعطي بالله ؟

وبالتأمل في هذا الحديث ، نجد أنّ الإنسان عندما يتحوّل بشكلٍ كاملٍ إلى محور الولاية الإلهية ، يتحوّل إلى أداة طيعة لتنفيذ مشيئة الله في الأخذ والعطاء معاً ، فهو في الجانب الأوّل . الأخذ والتلقي . يسمع بالله ويبصر بالله

، وفي الجانب الثاني . العطاء والإرسال . ينطق بتسديد الله ويبطش بحول الله وقوته ، والله تعالى يختار الإنسان في هذه الحالة ؛ ليكون أداة لتنفيذ مشيئته وإرادته على وجه الأرض .

يأخذ بالله ويعطي بالله والله ، فلا يكون للأنا والذات والهوى نور في عمله وحبّة وبغضه ، وتحركة وكلامه وموقفه وسكوته ، ولا يكون للأنا والهوى أيّ درجة من درجات السلطان والنفوذ والتأثير على حياته وسلوكه وفكره ورأيه .

وهذا هو معنى الانسلاخ والانتواع الكامل من سلطان الأنا ، والخضوع والارتباط التامّ ولاية الله تعالى ، وهو معنى الانفصال الكامل عن المحور الأول ، والانتقال الكامل إلى المحور الثاني .

ولهذا الانفصال والانتقال . من محورٍ إلى محورٍ آياتٍ وعلاماتٍ في حياة الإنسان . يشير إلى بعضها حديث الولاية القدسي السابق : **( إن دعائي أجبتّه ، وإن سألتني أعطيتّه )** .

هذه هي خلاصة شديدة الاختصار عن المحور الثاني في حركة الإنسان .

## الصفحة 58

والآن نريد أن نتحدّث عن حركة الإنسان من نقطة البداية ( محور الذات ) ، إلى نقطة النهاية والغاية في حركته ونموّه وتكامله ( محور الولاية الإلهية ) .

### 3 . الحركة من ( الأنا ) إلى ( الله ) :

وخلاصة هذه الرحلة : الانطلاق من الشهوات والأهواء ( المحور الأول ) إلى الله ( المحور الثاني ) ، والصعود من حضيض الذات والشهوات ، إلى قمة الحبّ والارتباط بالله والولاء له .

وهذه الحركة ذات شطّوين :

شطرٌ يتعلّق بالانطلاق من ( الأنا ) .

والآخر يتعلّق بالصعود والعروج إلى الله .

وعلى القاعدة العامّة ، فإنّ الانطلاق أصعب من الصعود والحركة ، والمعروف أنّ أكثر ما تحتاجه الصواريخ من الوقود والطاقة في الانطلاق من الأرض ، والتحرّر من نفوذ جاذبية الأرض .  
والانطلاق هنا من الذات ، وما تكتنف الذات من الشهوات .

وفي هذا الانطلاق يتحرّر الإنسان من الشهوات والأهواء ، ويخرج من دائرة نفوذ الشهوات والأهواء ، وهذه الدائرة تُطَوّق الإنسان عادة ، وتطبّق عليه وتحصره في نطاقها ، بين الأضلاع الثلاثة لمثلث الأبتلاء الذي تحدّثنا عنه ، فلا يستطيع الإنسان أن ينفلت من قبضة سلطان هذا المثلث الرهيب ، ولن يتحرّر منه إلا بمشقة بالغة .

فإنّ الشهوات والغرائز الكامنة في النفس تشدّ الإنسان شداً وثيقاً ومحمّكاً ، بالأمال والبنين والأرواح والمواقع ، وما يشبه ذلك من زينة الحياة الدنيا ، ولا يستطيع أن ينطلق إلى لقاء الله ، ويدخل في دائرة ولاية الله قبل أن يتحرّر من هذه

## الصفحة 59

القيود التي تعيق تحركه وانطلاقه .

ولذلك ، فالشرط الأول من مهمة الإنسان هو التحرّر من هذه القيود والتعلّقات ، والشرط الثاني هو الصعود والتحرّك إلى الله ، والدخول في دائرة ولاية الله ، ومن دون أن يتحرّر الإنسان من المحور الأول لا يستطيع أن يرتبط بالمحور الثاني ، ومن دون أن يُؤوِّع من سلطان الأنا والهوى لا يستطيع أن يدخل في دائرة سلطان ولاية الله .

( التقوى ) و ( ذكر الله ) في شطويّ الحركة :

وإذا عرفنا أنّ لسفر الإنسان من محور ( الأنا ) إلى محور ( ولاية الله ) مرحلتين :

مرحلة التحرّر من ( الأنا ) ، ومرحلة الارتباط بمحور ولاية الله ؛ فلا بدّ أن نعرف الأداة التي تمكّن الإنسان

في كلّ من هاتين المرحلتين من العمل ، وهما أداتان اثنتان :

( التقوى ) ، في التحرّر من أسر الشهوات ومكافحة الأهواء ، ( للمرحلة الأولى ) .

( والذكر ) ، في السير إلى الله والارتباط بالله ، والانضمام إلى محور ( ولاية الله ) ، ( للمرحلة الثانية ) .

وهاتان الأداتان هما قوام كلّ التعليمات الإسلامية ؛ لإعداد الإنسان وتربيته وتأهيله للتكامل .

وقد ورد فيما أوصى الإمام أمير المؤمنين ابنه الحسن ( عليهما السلام ) : ( **أوصيك ( بتقوى ) الله يا بنيّ** ،

**ولزوم أمره ، وعمرة قلبك بذكوه ( 1 )** .

ولنتحدّثُ ولا عن الأداة التي تمكّننا من التحرر من الهوى والذات في المرحلة الأولى ، وهي ( التقوى ) ،

وبعد ذلك نتكلّم عن الأداة التي تربطنا بمحور ولاء الله تعالى ، وتقويتنا من الله .

( 1 ) بحار الأنوار : 77 / 199 .

## الصفحة 60

التقوى للتحرّر من الهوى :

إنّ العقبة الكبرى التي يواجهها الإنسان في حركته إلى الله هي ( الهوى ) .

قال الله تعالى : ( **... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ( 1 )** .

يقول الصادق ( عليه السلام ) : ( **احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم ، فليس شيء أعدى للرجال من**

**اتباع أهوائهم وحصائد أسنتهم ( 2 )** .

ويقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : ( **إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتباع الهوى ، وطول الأمل .**

**فأمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة ( 3 )** .

وكما أنّ تجاوز الهوى هو المرحلة الأولى والأهم في حركة الإنسان التكاملية إلى الله ، كذلك في الاستجابة

للهى السقوط والتدّي الكامل للإنسان .

ودرجة سقوط الإنسان وانحطاطه الروحي والخُلقي ، تتناسب تناسباً طردياً مع درجة استجابته واستسلامه

للهى .

يقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : ( **إِنَّكُمْ إِنْ أَمَرْتُمْ عَلَيْكُمْ الْهَوَى ، أَصَمَّكُمْ وَأَعْمَاكُمْ وَرُدَّكُمْ** ) (4) .

وعن الجواد ( عليه السلام ) : ( **مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ، أُعْطِيَ عِدْوَةَ الشَّيْطَانِ ( مِنْهُ )** ) (5) .

وقد عدَّ الإسلامُ مكافحة ( الهوى ) الجهاد الأكبر ، في الوقت الذي يعد فيه مكافحة ( الطاغوت ) الجهاد

الأصغر .

عن موسى بن جعفر ( عليهما السلام ) قال : ( **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) بَعَثَ سَرِيَّةً ، فَلَمَّا**

رجوا

(1) ص : 26 .

(2) سفينة البحار : 1 / 728 ( هوى ) .

(3) نهج البلاغة : الكلام 42 / ص 83 .

(4) غُرر الحكيم : 292 .

(5) المحجّة البيضاء : 5 / 49 .



## الصفحة 61

قال : مرحباً بقومٍ قضا الجهاد الأصغر ، وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله ، وما الجهاد الأكبر ؟  
قال : جهادُ النفسِ ( 1 ) .

### المُقارنة بين الهوى والطاغوت :

والمقارنة هنا بين مكافحة الهوى ومكافحة الطاغوت تُلفت الانتباه ؛ فإنَّ العقبةَ في طريق الإنسان إلى الله عقبتان : الهوى ، والطاغوت . وكلاهما يُعيقان طريق الإنسان إلى الله .

وللطاغوت نور بارز وفاعل ومؤثرٌ في تحديّ الأنبياء ورسالات الله ، وإعاقة حركة الأنبياء ( عليهم السلام ) ، والصواع بين الأنبياء والطاغوت أبرز أحداث التريخ ، بل هو التريخ ، وما عدا ذلك أحداث على هامش التريخ .

ومع ذلك ، فإنَّ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقول : إنَّ مواجهة ( الطاغوت ) من ( الجهاد الأصغر ) ، ومواجهة ( الهوى ) من ( الجهاد الأكبر ) .

### الصيغة الإيجابية للتقوى :

والأداة المُفضَّلة والقوية في مكافحة الهوى ومجاهدة النفس في الإسلام هي التقوى ، و ( التقوى ) هي : ضبط النفس على حدود الله وأحكامه ، وتحكيم حدود الله وشريعة الله على تصرفات الإنسان وتحركه وعمله ، وليست التقوى كبتاً للنفس ، ولا حظوا على الإنسان من الاستجابة لـ رغبات النفس ومشتئياتها ، وإنما هي : ضبط النفس فقط على حدود الله من الحلال والحرام ، وفوض سلطان الحدود الإلهية على النفس .

ليست التقوى حرمان النفس من الاستجابة لمتطلباتها ورغباتها ومشتئياتها



## الصفحة 62

المُحرمة فقط ، وإنما التقوى قبول سلطان الحدود الإلهية ، وتحكيمها على النفس ، والتمكّن من نزوات النفس ورغباتها ، والتحرّر من سلطان الهوى ، وانتواع النفس من قبضة ( الأهواء ) و ( الفتن ) .

والتقوى بهذا المعنى معنى إيجابي ، وهو التمكن من النفس ، والقوّة على انتواع النفس من سلطان الأهواء والشهوات ، وليس معنى سلبياً ، بمعنى توكُّ الحوام ، وهي بهذا المعنى ( الشوط الأول لحركة الإنسان إلى الله ) .

### الشوط الثاني من حركة الإنسان :

والمرحلة الثانية من هذه الرحلة هي : العروج والصعود إلى الله ، والدخول في دائرة ولاية الله تعالى ، بعد أن يتمكّن الإنسان من انتواع نفسه من محور الأنا والذات والهوى .

ولابدّ في الشوطين جميعاً من الطاعة ، فهو العنصر المشترك في كل من هاتين المرحلتين ، إلا أن المرحلة الأولى تتميز بالتحرّر من محور الهوى والأنا ، والمرحلة الثانية تتميز بالتحرك للدخول في دائرة نفوذ وسلطان ولاية الله ، والارتباط بالمحور الإلهي .

ومعنى الارتباط بالله : أن يجعل الإنسان تعالى هدفاً في كل أعماله وتصرفاته ، ويخلص في كل أعماله لله : ( قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمِحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) ، ويجعل مَرْضاة الله محورا ثابتا لكل حياته وتصرفاته ، ولا يبتغي غير مَرْضاة الله شيئاً ، وأن يدخل بشكل كامل في دائرة ولاية الله ، فلا يكون له رأي أو حُكم ، أو هوى أو حب أو بغض أو عمل أو حركة أو كلمة ، في غير ما يحكم الله ( تعالى ) ويريد .

ويُحبّ ويبغض في الله ، ويحكم رآدة الله ومشيتته وحبّه وبغضه على قلبه وصوّه وعقله ، وعواطفه وأحاسيسه وجولحه وأعضائه ، ويتجرّد عن كل صيغة رأي وهوى ، ويتخذ صيغة الله تعالى صبغة لنفسه ،

## الصفحة 63

ويؤجبه نفسه ورأيه وهواه وحبّه وبغضه حيث يريد الله ، ويرضى به الله ، ويمكن حبّ الله من قلبه ونفسه ، فلا

يكون هناك شيء أحب إليه من الله ورسوله .

فلن يكون الإنسان ذائباً في هذا المحور الربائي ، ولن يكون إيمانه من الإيمان الكامل ، ولن يأمن عذاب الله ومكوهه ، إذا كان هناك في حياته شيء أحب إليه من الله ورسوله . ( قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) (1)

ذلك أن هؤلاء لم يتمكنوا بعد من الانتقال من المحور الأول ، ولم يتوقفوا في أنواع أنفسهم من سلطان الآباء والأبناء ، والإخوان والأزواج والعشائر ، والأموال والتجارة والمسكن ، وما زالوا تحت سلطان ونفوذ هذه المغويات والمثورات من متاع الحياة الدنيا ، وعلاقاتها و (فتنها) .

أما الذين آمنوا ، والذين انتزعوا أنفسهم من سلطان الهوى ، ولتبتوا بمحور الإيمان بالله وولاية الله ، فإنهم أشد حبا لله من كل ذلك .

وهذا هو معنى الانفصال من محور الأنا ، والانتقال إلى محور ولاية الله . ( ... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حَبَابًا لِلَّهِ ) (2) .

وقد ورد عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) : ( لا يُحَصِّصُ رَجُلٌ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ ، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ ، وَمَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ) (3) .

وعن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله الصادق ( عليه السلام ) عن الحُبِّ والبغض ، أمن الإيمان هو ؟ فقال : ( وهل الإيمان إلا الحُبُّ والبغض ؟! ) (4) .

(1) التوبة : 24 .

(2) البقرة : 165 .

(3) بحار الأنوار : 24 / 70 .

## الصفحة 64

وفي الحديث الشريف : ( **الدينُ هو الحبُّ والحبُّ هو الدينُ** ) (1) .

ذَكَرُ اللهُ لِلْعُرُوجِ إِلَى اللهِ :

والأداة المفضّلة والمؤثّرة في تحكيم وتوثيق الارتباط بين المؤمنين وبين الله ( عزّ وجلّ ) ، وتعميق الصلة والعلاقة بين العبد وربّه ، وربط الإنسان بهذا المحور الربّاني في الحياة ، وإخلاص عمله وجهده لله تعالى ...

أقول : إنّ الأداة التربويّة المفضّلة في الإسلام لتحقيق هذه الغاية هي ( الذكر ) ، وإنّ للذكر بوراً كبيراً وأساسياً في ربط الإنسان بالله ، وفي انشاده بهذا المحور الإلهي الذي تحدثنا عنه ، وفي حركته التكاملية إلى الله .

فإنّ ( الذكر ) هو الصلة القلبية التي تربط الإنسان بالله ، وتجعله على ذكر منه ، ويجعل الإنسان واعياً وشاعراً لحضور الله ( سبحانه وتعالى ) بصفاته وأسمائه الحسنى ، ومستحضراً لعظمة الله وجلاله وجماله ، وينبه الإنسان إلى حضور الله ، ويزيل عن نفسه الغفلة .

يقول ( تعالى ) : ( **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْقَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مَنِ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** ) (2) .

ويَعصم صاحبه عن الذنب . رؤي عن الباقر ( عليه السلام ) : ( **ثلاثٌ من أشدِّ ما عمل العباد : إنصاف المرء من نفسه ، ومواساة المرء أخاه ، وذكر الله على كل حال . وهو أن يذكر الله ( عزّ وجلّ ) عند المعصية ؛ يَهَمُّ بها ، فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ( **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ) (3) .**

(2) الأعراف : 205 .

(3) بحار الأنوار : 93 / 379 ، والآية في سورة الأعراف : 201 .

### الصفحة 65

وسرّ هذه ( العصمة ) و ( الحصانة ) : أن الذكر استحضار لسلطان الله وحضوره الدائم ، واستحضار لحضور العبد في كلّ حالاته بحضور الله تعالى ، وهذا الإحساس والوعي لحضور الله يُعمّق في النفس حالة المراقبة الدائمة والانتباه الدائم ، ويحجز الإنسان عن الأذواق مع الشهوات والأهواء إلى معصية الله تعالى .

عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : ( **الذكرُ نور العقول وحياة النفوس وجماء الصدور** ) (1) و ( **ذكرُ الله مُجالسةُ المحبوب** ) (2) و ( **الذكرُ يؤنس القلب** ) (3) .

إذن ، ( الذكر ) يؤنس الإنسان بالله تعالى ويشوقه ويحبّه إليه ، ويقرب الإنسان من الله ، كما يقرب الجليس من جليسه ويأنس به ، وحاشاه سبحانه من مشابهة خلقه ومجالستهم .

وقد روي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ( **إن موسى بن عمران ( عليه السلام ) لما ناجى ربه ( عز وجل ) ، قال : يا ربّ ، أبعد أنت مني فأناديك ، أم قريب فأناجيك ؟ فأوحى الله جل جلاله : أنا جليس من ذكوري** ) (4) .

ومن الذكرِ الذكرِ الخفي ، ومنه الدعاء والمناجاة ، والأذكار الوردية والصلاة . ( **وأقم الصلاة لذكوري** ) (5) .

وفي الحجّ الكثير من الذكر ، والجهاد لا يتم إلا بذكر الله واستحضار صفاته الجلالية والجمالية ، والشوق إلى لقاء الله وإيثار لقاءه على الحياة الدنيا .

(1) غرر الحكم : 111 .

(2) غُرِّ الحِكْم : 369 .

(3) غُرِّ الحِكْم : 101 .

(4) بحار الأنوار : 153 / 93 .

(5) طه : 14 .

## الصفحة 66

وعلى نحو الإجمال ، فإنَّ العبادات في الإسلام تشتمل على الكثير من أبواب الذِّكْر وأوانه ؛ ولأهمية الذِّكْر بشكل خاصّ ، فقد ورد الأمر بالإكثار من الذِّكْر والمداومة على الذِّكْر في النصوص الإسلامية .

يقول تعالى في الإكثار من الذِّكْر : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انكُروا لله ذكراً كثيراً \* وَسَبِّحُوهُ بُكُوءاً وَأَصِيلاً )

(1) .

وفي الحديث الشريف عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً ، فإنه ذكرك في السماء ، ونورك في الأرض ) (2) .

وروي عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) : ( أكثروا ذكر الله ما استطعتم ، في كل ساعة من ساعات الليل والنهار ؛ فإنَّ الله أمر بكثرة الذِّكْر له ) (3) .

وروي عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في داوم الذِّكْر : ( المؤمن دائم الذِّكْر ، كثير الفكر ) .

وفي وصية الإمام لابنه الحسن ( عليهما السلام ) : ( وكُنْ لله ذاكراً على كل حال ) (4) ، وورد في الدعاء : ( إلهي فألهمنا ذكرك في الخلأ والمأ ، والليل والنهار ، والإعلان والإسوار ، وفي السواء والضراء ، وآنسنا بالذِّكْر الخفي ) (5) .

وبعد ، فهذا هو المنهج العلمي في الإسلام لحركة الإنسان من محور ( الأنا ) إلى ( الله ) ، ويتم هذا المنهج

ضمن مرحلتين :

**المرحلة الأولى :** في الإقلاع عن محور الذات والهوى ، وأداة هذه المرحلة ( التقوى ) .

**والمرحلة الثانية :** في الارتباط بالمحور الإلهي ، والدخول في دائرة ولاية الله ، وأداة هذه المرحلة ( الذكر

.)

( 1 ) الأخواب : 41 - 42 .

( 2 ) بحار الأنوار : 92 / 198 .

( 3 ) بحار الأنوار : 93 / 160 .

( 4 ) بحار الأنوار : 42 / 203 .

( 5 ) بحار الأنوار : 94 / 151 .

## الصفحة 67

**المنهج الأخلاقي في حركة الإنسان إلى الله :**

وإلى جنب هذا المنهج العملي ، هناك منهج توبوي وأخلاقي في الإسلام ، يُعين الإنسان . في هذه المرحلة . في الحركة من الأنا إلى الله ، ويُسرّع عملية الانفصال والانتقال التي تحدثنا عنها .

**والفصل الأول** من هذا المنهج ، يُعين الإنسان على التغلب على النفس وأهوائها ونزواتها ، مثل : ( الإيثار ) و ( الرُهد ) و ( الجُود ) و ( حُسن الظن ) ، الذي يكافح حالات : ( الحرص ) و ( الطمع ) و ( البخل ) و ( سوء الظن ) في نفس الإنسان ، وغير ذلك من الوسائل الأخلاقية التي تمكن الإنسان من أهوائه وشهواته .

**والفصل الثاني** ، يُعين الإنسان على الارتباط بالله ، ك ( الشكر ) و ( التسليم لله ) و ( الوضأ بأمر الله ) و ( الأُنس بالله ) و ( الحب ) ، وما إلى ذلك من أبواب وفصول الأخلاق التي تعين الإنسان على الارتباط بالمحور الإلهي .

وبهذه الطريقة المؤدّجة ( العملية . الأخلاقية ) ، يسعى الإسلام لنقل الإنسان من محور الأنا إلى محور ولاية الله .

ولا يُمكن أن يستغني الإنسان بأحد من المنهجين . العملي أو الأخلاقي . عن الآخر ، فإنّ طويق الإنسان في الانتقال من الأنا إلى الله طويق شاقّ عسير وكادح : ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهٖ ) (1) ؛ ولا يتيسّر للإنسان أن يسلك هذا الطويق الكادح والمتعب ، إلا بالتفويض الكامل لهذا المنهج الإسلامي المزوّد ( المنهج العملي والأخلاقي ) .

(1) الانشقاق : 6 .

## الصفحة 68

واستعينوا بالصبر والصلاة :

ومع كلّ هذا الإعداد التشريعي والتربوي للإنسان ، فإنّ مشقّة الطويق وعناء الرحلة ، والفائق الخطوة على الطويق وبُعد الشقّة وطور المعاناة ، والواحد المبتوثة للشيطان على امتداد الطويق هنا وهناك ، ووعرة السير فيما بين هذين المحورين ؛ يؤديّ بالكثير من الناس إلى التباطؤ والضعف عن مواصلة السير ، وإيثار العافية والراحة على وعناء الحركة والسير ، والتراجع والتساقط أثناء السير .

ولذلك يأمرنا القرآن الكريم بالصبر والصلاة في هذه المسورة الكادحة دائماً : (واستعينوا بالصبر والصلاة) **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (1)** .

الصبر على عناء الطويق ، ووعناء السفر ومواجهة المتاعب ، والصلاة والدعاء والاستعانة بالله ، والاستمداد من حول الله وقوته في هذه المسورة الصعبة والطويق الطويل .

فإذا استسلم الإنسان للضعف والعجز وحبّ العافية والراحة ، فلن يتمكنّ من مواصلة السير ، وإذا اطمأن إلى حوله وقوته ، دون حول الله وقوته ، ووثق بقوته على الاستمرار في الطويق ، دون أن يطلب العون والمدد في

هذا الطريق من الله ، فلا يكاد يتمكّن من الاستمرار والمُضي في هذه الرحلة الكادحة .

فلا بدّ إذن . في هذه المرحلة . من ( الصبر ) ومن ( الصلاة ) معاً ؛ حتى يتمكنّ الإنسان من الاستمرار والمُضي على هذا الطريق الطويل.

**ضريبة الحركة إلى الله :**

وبعد ، فهذه النُبذة إجمال شديد الاختصار لمسيرة الإنسان الكادحة ، من محور

( 1 ) البقرة : 45 .

### الصفحة 69

( الأنا ) إلى محور ( الله ) ، والتي يقول عنها القرآن الكريم : ( ... إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ ) .

وهذه الرحلة يقطعها الإنسان في عناءٍ ومشقةٍ بالغةٍ : ( لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ \* وَأَنْتَ حَلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ \* وَالْوَالِدَ \* وَمَا وُلِدَ \* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ) (1) ، فقد خلق الله تعالى الإنسان لهذه المسيرة الكادحة في وسطٍ من العناء والجهد والمشقة والكبد ، ولن ينال الإنسان حظه من الكمال الذي أعده الله تعالى له ، إلا في هذه الرحلة المحفوفة بالابتلاء والعناء والآلام والكآح .

وليست هذه السنة الإلهية في الابتلاء خاصة بهذه الأمة تون سائر الأمم ، وإنما هي سنة لله تعالى عامة ،

شملت من قبلنا من الأمم كما شملتنا ، وأحاطت مسيرتهم بالعناء والابتلاء كما حفت مسيرتنا : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ \* ) (2) .

**الشهادة اختزالٌ للحركة من الأنا إلى الله :**

والشهداء . وهنا نويد أن ننتقل إلى صلب الموضوع ، بعد هذه الجولة الواسعة في مسيرة الإنسان . يقطعون

هذه المسيرة بحركةٍ سويةٍ وقويةٍ وخفيفةٍ واحدةٍ ، بالشهادة والتضحية ، فتتقلهم الشهادة والتضحية مرة واحدة من



محور الأنا والهوى إلى محور الله .

وتنتزعهم انتزاعاً كاملاً من الأهواء والشهوات ، ومن كل العلاقات التي تربطهم بهذه الدنيا ، إلى محور ولاية الله نقلةً واحدة من حُبّ النفس وحبّ الدنيا إلى حبّ الله ، ومن ولاية الطاغوت إلى ولاية الله ، ومن الانهماك في لذات الدنيا إلى الاستغواق في رضوان الله تعالى ، ومن ألوان التعلقات والحبِّ

(1) البلاء : 4 . 1 .

(2) البقوة : 214 .

### الصفحة 70

والنُبُغض التي تصبغ مشاعر الإنسان في هذه الدنيا ، إلى صيغة الله الفريدة .

هذه القوة السريعة والخفيفة التي تنقل الإنسان مرة واحدة من محور إلى محور ، هي من خصائص الشهادة ، والشهيد عندما يُقدّم على الشهادة ، بوعي وبصورة من أمره ، ينتزع نفسه بحركة قوية وخفيفة واحدة من وسط كل العلاقات والصلوات والأواصر التي تشده إلى هذه الدنيا ، من مال وبنين وزوج ، ومتاع الدنيا ، ولذات وشهوات ، وجاه واعتبارات اجتماعية ، وبحركة واحدة ، يقطع كل هذه الحبال والخيوط والوشائج التي تشده إلى الدنيا ، ويخفّ للصعود إلى الله .

رأيت المنطاد عندما تتقطع الحبال التي تشده إلى الأرض ، كيف يخفّ للصعود ويرتفع إلى السماء ؟

كذلك الشهيد ، لا يُعيقه شيء . بعد أن ينتزع نفسه من وسط هذه الأواصر الدنيوية . عن التحرك والصعود

إلى الله .

إنّ الشهادة عملية مبركة مزوّجة : انتزاع النفس من أواصرها التي تشدها بهذه الدنيا ، والتي قوامها في

هذه النفس ، والصعود إلى الله .

ثم التحرك إلى رضوان الله ، وقوامه الحب والتسليم والرضا ، والطاعة والذكر واليقين .

نَقْلَةُ الْحَرِّ (رحمه الله) من محور الطاغوت إلى محور الله :

فقد كان الحرّ بن يزيد الرياحي (رحمه الله) قائداً في جيش عمر بن سعد ، وكان يقع تماماً في الجهة المُقابِلة للحسين (عليه السلام) ، فانقل في أوج اللحظات بحركة سريعة وخاطفة إلى جبهة الحسين (عليه السلام) .

يقول أصحاب السير : إن الحرّ أقبل على عمر بن سعد وقال له : أمقاتل أنت هذا الرجل ؟

قال : إي والله ، قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي .

قال : ما لكم فيما عوّضه عليكم من الخصال ؟

فقال عمر بن سعد : لو كان الأمر إليّ لقبلت ، ولكن أمرك (ابن زياد) أبي ذلك

## الصفحة 71

فتركه ووقف مع الناس ، وكان إلى جنبه قوّ بن قيس ، فقال لقوّ : هل سقيت فرسك اليوم ؟

قال : لا .

قال : فهل تريد أن تسقيه ؟

فظنّ قوّ أنه يريد الاعتوال ويكوه أن يشاهده ، فتركه ، فأخذ الحرّ يدنو من الحسين قليلاً ، فقال له المهاجر بن أوس : أتريد أن تحمل ؟

فسكت وأخذته الوعدة ، فرتاب المهاجر من هذا الحال وقال له : لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عتوتك ، فما هذا الذي رآه منك ؟

فقال الحرّ : إنّي أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت ، ثم ضوب جواده نحو الحسين (عليه السلام) ، مُنكسباً وأسه حياءً من الحسين ، حيث جعجع بهم في هذا المكان (1) .

هكذا ، في لحظات قصوة وسويعة ، وبحركة خفيفة ، ينتقل الحرّ من محورٍ إلى محورٍ ، ومن موقعٍ إلى موقعٍ مُعاكسٍ للأولٍ تماما ، ويهاجر من إمرة جيش عمر بن سعد إلى جند الحسين ، ومن الأنا إلى الله تعالى ، وتلك هجرتان تتمّان في اللحظات الأخوة من حياته ، في لحظة قصوة وسويعة .

### نقله زهير (رحمه الله) من ولاية الطاغوت إلى ولاية الله :

ومثال آخر على هذه الحركة السويعة إلى الله تعالى . غير الشهادة . هجرة زهير بن القين (رحمه الله) .

فقد كان عثمانى الهوى ، ولم يكن هواه مع آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، وقد حجّ البيت في عام ( 60 هـ ) وكان يسائر موكب الحسين (عليه السلام) في الطريق إلى العواق ، إلا أنه كان يحرص ألا يتولّ بالقرب من خيام الإمام ؛ مخافة الاجتماع به ، حتى انتهت قافلة الإمام إلى (زرود) ، فلم يجد زهير (رحمه الله) بداً من أن يتولّ بخيامه

(1) مقتل المُقوّم : 265 . 266 .

### الصفحة 72

بالتّوب من خيام الحسين (عليه السلام) .

فُرسل إليه الحسين (عليه السلام) رسولا يدعو إليه ، وكان زهير مع صحبه يتناولون الطعام ، فأبلغه الرسول دعوة الحسين ، فطوحوا ما في أيديهم من طعام وكأّن على رؤوسهم الطير ، فأنكوت عليه زوجته . رحمها الله . ذلك ، وقالت : (سبحان الله ، يبعث إليك ابن بنت رسول الله ثم لا تأتيه ! لو أتيته فسمعت كلامه) .

فانطلق زهير على كراهية منه إلى الإمام ، فلم يلبث أن عاد مسوعا وقد تهلّل وجهه وامتأ غبطة وسرورا ، ثم أمر بفسطاطه وما كان عنده من ثقل ومتاع ، فحوّله إلى خيام الإمام ، وقال لزوجته : (أنت طالق) ، ثم قال لأصحابه : سأحدثكم حديثا : ( غزونا (بلنجر) (1) ، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ، فوحننا وكان معنا سلمان الفارسي ، فقال لنا : أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم ؟

فقلنا : نعم ، فقال : إذا أُرِكْتُمْ سيّد شباب آل محمد ، فكونوا أشدّ قُوْحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من

الغنائم ( 2 ) .

وينقلب زهير ( رحمه الله ) ، وينقلب هواه من بني أمية إلى آل علي ، وينتزع نفسه من كل ما يربطه بهذه

الدنيا ، حتّى زوجته التي أنكرت عليه تباطؤه عن استجابة دعوة الحسين ( عليه السلام ) ؛ حتّى يستطيع أن يخفّ

للقاء الله .

ولمّا جمع الحسين ( عليه السلام ) أصحابه وأهل بيته ، قُب المساء قبل مقتله بليلة ، فقال لهم : ( إنّي قد

أذنتُ لكم ، فانطلقوا جميعاً في حلّ ، ليس عليكم مني نمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخنوهُ جملاً ، وليأخذ كل

رجل منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي

( 1 ) احتمالُ أنّ الكلمة الصحيحة هي ( بالبحر ) . وقد بدأت عساكر المسلمين في ذلك التريخ غزوات البحر

، ولكنّ الكلمة وردت خطأ بأقلام بعض النساخ ( بلنجر ) . وقد وردت الكلمة في بعض المصادر ( بالبحر ) .

( 2 ) حياة الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، للشيخ باقر القوشي : 3 / 66 . 67 . نقلاً عن الإرشاد : 264 ،

وتريخ ابن الأثير : 3 / 177 ، وأنساب الأشراف : ق 1 / 1 ، والدرّ النظيم : 167 .

### الصفحة 73

وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم ؛ فإنّ القوم إنّما يطلبوني ، ولو أصابوني لذهلوا عن غوي ) .

قال زهير . بعدما سمع كلام الحسين ( عليه السلام ) . : والله لو ددّت أني قتلت ، ثم نشوتُ ثم قتلت ، حتّى

أقتل كذا ألف مرة ، وإنّ الله عزّ وجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك ( 1 ) .

هكذا تحرّر الشهادة الإنسان من كل القيود والأواصر التي توبطه بالحياة الدنيا مرة واحدة ، وبقوة وحفّة ،

وتدفعه إلى لقاء الله .

فالشهادة إذن : اختزال شديد ، واختصار للطريق بين هذين المحورين . والمسافة التي يقطعها عامّة الناس

بتكُفٍ وتعثرٌ ومشقةٌ ، يتعثر فيها أناسٌ ويتساقط فيها آخرون ، ويضعف عن السير فيها قومٌ ويقوى عليه آخرون ،  
يقطعها الشهيد بوعي وبصورة ، وقوة وثبات ، في لحظات قصيرة وحركة خفيفة ، تنوّعه من الدنيا وتوجّه به  
إلى لقاء الله .

\* \* \*

( 1 ) مقتل الحسين ( عليه السلام ) ، للمقوّم : 234 . 235 .

## الصفحة 74

تأثر الله

### القيمة الحركية للشهادة

تحدّثنا في الفصل السابق بشيءٍ من التفصيل عن القيمة الذاتية للشهيد ، ودور الشهادة في نمو وتكامل  
شخصية الشهيد .

والآن نتحدّث من البعد الثاني ( الأفقي ) للشهادة : ( دور الشهيد في تحريك المجتمع ، والقيمة الحركية  
للشهادة في حياة الأمة ) .

ونبدأ حديثنا عن الشهيد من مادّة اشتقاق هذه الكلمة ، ومنها نستوّل في الحديث عن دور الشهيد في تحريك  
المجتمع .

( الشاهد ) و ( الشهيد ) بمعنى واحد تقريباً ، فإنّ الشاهد اسم الفاعل من هذه الكلمة ، والشهيد فعيل بمعنى  
الفاعل ، كالنصير والناصر .

وقفّة عند اشتقاق كلمة ( الشهيد ) :

وأصل الاشتقاق في هذه الكلمة : ( الشهود ) و ( الشهادة ) ، وهما بمعنى : الحضور ؛ يُقال : شَهِدَ المعركة ، أي : حضرها ، وفي المصطلح الشرعي ، الشهادة تُستعمل في معنيين :

1 . تحمّل ( الشهادة ) : بمعنى الحضور والرؤية ؛ فإنّ الشخص الذي يحضر

## الصفحة 75

وَقَعَهُ وِإِهَا عَن قُرْبٍ ، رُؤْيَةً حَسِيَّةً وَوَاضِحَةً ، يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ هَذَا الْحُضُورِ وَالرُّؤْيَةِ ، فَإِذَا حَضَرَ جَرِيْمَةً وَشَهِدَهَا ، تَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَأَنَّمَا تَحَمَّلَهُ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مَسْئُولِيَّةَ شَرْعِيَّةٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْرَأَ ذِمَّتَهُ مِنْهَا .

2 . أداء الشهادة : وهذا المعنى شائع أيضاً في استعمالات الشهادة ، فإذا بلغّ الشاهد ما شَهِدَهُ ، أدى ما تحمّله من مسؤولية الشهادة ، ولا يتحلّل الشاهد من مسؤولية الشهادة حتى يُؤدّيها ويبلغها .

والشهادة بهذا المعنى هي معيار وملاك الحكم للقاضي ، إذا كان الشاهد عدلاً .

ففي كلّ واقعة يختلف فيها الأطراف ، قد يَجَنَحُ فيها بعض الأطراف أو كل الأطراف عن الحق ، فيأخذ القاضي بشهادة الشاهد ، فإنّ أمانة الأداء تتطلب منه أن يؤدي ما رآه بالحس من الواقعة ، ويعتبر القاضي هذه الشهادة ملاكاً للقضاء ، ويحكم بموجبها . إذا تمت الشهادة بالمولدين الشرعية . ، فيكون الشاهد بهذا المعنى ملاكاً للحكم ودليلاً عليه .

## الشهيد مقياسٌ للتقييم :

واحتُمَلُ أن تكون تسمية الشهيد بالشهيد متأثرة بالمعنى الثاني ، وهو أداء الشهادة ؛ فإنّ ( الشاهد ) و ( الشهيد ) يُستعملان بمعنى الدليل والمؤان ، والمعيار والمقياس الذي ترون به الأحكام والأمر كثيراً . وهو معنى قريب من المعنى الثاني للشهادة ، الذي أشونا إليه قريباً .

والقوان ، وإن كان لم يستعمل هذه الكلمة في معناه المُصطلح ، إلا أنه استعمل هذه الكلمة في هذا السياق بالذات .

يقول تعالى : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا )

## الصفحة 76

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... (1) .

وهذه الآية تُصَرِّحُ بأن الأمة المؤمنة بالله . المعتدلة . شهيدة على الناس ، والرسول شهيد على هذه الأمة .  
فماذا يُمكن أن يكون معنى الشهيد . في هذه الآية الكريمة . في الشهادتين جميعاً ، شهادة الأمة المؤمنة على الناس ، وشهادة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) على الأمة ؟

وبأيِّ ملائكة تكون هذه الأمة شهيدة على الناس جميعاً ، ويكون الرسول ( صلى الله عليه وآله ) شهيداً عليها ؟

أعتقد أنّ الإجابة على التساؤل الثاني يفتح الطريق للإجابة على السؤال الأول .

إنّ الملاك الذي جعل هذه الأمة شهيدة على سائر الناس هو الاعتدال والوسطية ، وعدم الجفوح إلى اليمين واليسار ، وهذا الاعتدال والوسطية يؤهلها لتكون شهيدة على الناس .

ونفس الملاك . بالتأكيد وبدلالة السياق . هو السبب في شهادة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) على الأمة ،

وهذا التفسير واضح من مثل الآية الكريمة : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ) .

إذن ، سرُّ الشهادة كامن في حالة الاعتدال والوسطية بالذات ، وهذه الحالة هي التي تؤهل الأمة لكي تكون

شهيدة على الناس .

إنّ الناس يجنحون لليمين واليسار في الأكثر ، وقوى هذه الكتل البشرية تمتد من أقصى اليمين إلى أقصى

اليسار ، وتتلاعب بهم أمواج الفتن ، والشهوات والأهواء ، والانفعالات النفسية والمصالح والعواطف ، في

اتجاهاتٍ شتى ، ولابد لهذه الكتل البشرية التائهة والضائعة في هذا الخضم البشوي الواسع ، من ( معالم

مَحسوسة وملموسة ) في الطريق ، تستهدي بها ، وتميز بها الصحيح من السقيم ،

## الصفحة 77

والاستقامة من الاعوجاج والهدى من الضلال ، كما لا بدّ لها من ( كتابٍ ) ووحىٍ وثريعةٍ وتعاليم ، ولا يغنيُ أحدهما عن الآخر .

لا بدّ لها من تعاليم ودروس وتوجيهات ، ولا بدّ لها كذلك من معالم ملموسة وقائمةٍ على الطويق .

والخاصية المطلوبة في هذه المعالم : أن تكون مُعتدلةً ومتوسطةً وعلى الطويق تماماً ، ليس على اليمين ولا على اليسار ، ولا تَجَنح إلى يمين أو يسار .

وعند ذلك يمكن أن تكون ( معالم ) على الطويق ، يهتدي الناس بمواقعهم ومواقفهم قبل أن يهتوا بكلامهم وتوجيهاتهم .

فمن الناس من يكون موقفه وموقعه حجةً على الآخرين ، فيهتدي الناس بمواقفه ومواقعه وأعماله كما يهتدون بكلامه ورأيه وتوجيهه ، وهؤلاء هم ( القنات ) في حياة الناس و ( معالم الطويق ) على الطويق ، وهؤلاء سكوتهم وكلامهم ، وحركتهم وسكونهم ، وغضبهم وثورتهم وقيامهم وعودهم ، قنوةٌ للآخرين وحجةٌ عليهم .

وهؤلاء هم الشهداء ؛ لأنهم مقاييس للآخرين ومعالم على الطويق ، ومعايير للحكم وللحق ، كما يكون ( الشاهد ) معياراً للقاضي في معرفة الحق من الباطل ، وتمييز الصحيح من السقيم ، وفرز الوديء عن الجيد .

هذه الأمة شهيدة على سائر الأمم :

وبهذا المعنى ، فإنّ هذه الأمة . بما هداها الله تعالى إلى الوسط من الطويق ، وبما منحها الله من الاعتدال في الرأي والحياة . شهيدة على سائر الناس وقنوة لهم ، ومعلم على الطويق ، ومقياس للناس في تصحيح أعمالهم وحركاتهم .



إنّ هذه الأمة . المتوسطة . تصلح لأن تكون المقياس الذي يقيس به الناس أنفسهم ، ويصحّون به أعمالهم وتحركاتهم .

## الصفحة 78

لقد أراد الله تعالى لهذه الأمة أن تكون قوة للناس جميعاً ، وأن تكون شهيدة على الناس جميعاً ، ومعلماً على طريق الناس ، وأن تكون أفعالهم ومواقفهم مثلاً ونموذجاً للناس جميعاً ، والذي يؤهل هذه الأمة لهذا الموقع الرائد هو الاعتدال والتوسط في التفكير والعمل . ( وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ) .

وكما أنّ الله تعالى أراد لهذه الأمة أن يكون لها موقع السيادة والقيادة والحاكمة على وجه الأرض وعلى الناس ، كذلك أراد الله تعالى لهذه الأمة أن يكون لها موقع القوة والريادة على وجه الأرض وبين الناس .

ورسول الله شاهد على هذه الأمة :

وبنفس الملاك ، فإن الرسول ( صلى الله عليه وآله ) يحتل موقع القوة والريادة من هذه الأمة : ( ... وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ) ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ) (1) ، كما يحتل موقع القيادة والإمامة والحاكمة من حياة هذه الأمة : ( النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ... ) (2) ، هذا إلى موقع التبليغ والرسالة : ( ... وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ... ) (3) .  
عودة إلى مصطلح ( الشهيد ) :

والآن نعود إلى الشهيد في المصطلح الإسلامي ، ضمن هذه الصورة القانونية .

( 1 ) الأخاب : 21 .

( 2 ) الأخاب : 6 .

( 3 ) الحشر : 7 .

## الصفحة 79

فالشهيد ضمن هذا التصور يُعتبر مقياساً في حياة الأمة ، يقيسون به أنفسهم ، وأساساً لمعرفة الحق والباطل وتمييز الوديء عن الجيّد .

إنّ الشهيد تبلّورٌ للصدق والعطاء والوعي والبصيرة ، يقيس به الناس أنفسهم ، وعطاءهم ووعيهم ، وصدقهم وبصيرتهم واستقامتهم و ... ، والشهيد المثل الأعلى دائماً في حياة الناس ، وهو القمة في كل ذلك .

### التوجيه ب ( التثقيف ) و ( القنوة ) :

لابدّ في هذه المسيرة الروبانية على وجه الأرض وفي حياة الناس من ( قوات ) ، للاقتداء والتأسي ، كما لابدّ من معلّمين وموجهين للتعليم والتوجيه والتثقيف ، ولا يغنيُ أحدهما عن الآخر . فإنّ التحرك على طريق ذات الشوكة يُكلّف الإنسان الكثير ، ويتطلبّ منه العناء والعطاء والتضحية والصدق ، ولا يتيسرُ للإنسان أن يتجرّد لهذه المسيرة الإلهية بسهولة ويسر .

ولابدّ من توجيه وإعداد وتربية ، وتثقيف مؤكّزٍ للدعاة إلى الله تعالى ، وللمؤمنين عامة ؛ ليتمكنوا من مواصلة السير والاستمرار على الطريق ، ولئلاّ يتيهوا في متاهات الطريق ، ويخضعوا لإغواءات الشيطان ومزاق النفس .

وهذا الإعداد والتوجيه يتمّ على شكلين ، هما :

### 1 . ( الإلقاء ) والتثقيف .

### 2 . ( القنوة ) .

ولا تقلّ قيمة التوجيه والإعداد ب ( القنوة ) عن قيمة التوجيه والإعداد ب ( التثقيف ) .

والقرآن الكريم يُشير إلى كلّ من هذين النحويّن من التوجيه ، يقول تعالى : ( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمَّ

## الصفحة 80

### الْكِتَابُ وَالْحَكْمَةُ ( 1 ) .

لقد كان رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) يتلو على الناس آيات الله وَيُكَيِّمُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وهذا يدخل في حقِّ التعليم والتثقيف ، وهو الشرطُ الأولُّ من شطريَّ عملية الإعداد .

والشرطُ الآخرُ هو : التربية بـ ( القوة الصالحة ) على طريق ذات الشوكة . ( نَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ) .

إنَّ نورَ ( التثقيف ) في إعداد الناس هو نورَ التوجيه و ( الدلالة ) ، بينما نورَ القوة هو نورَ القيادة إلى الله تعالى .

المُعَلِّمُ الْمُرَبِّيُّ يَدِلُّكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دَلَالَةً ، بينما ( القوة الصالحة ) يأخذك معه إلى الله .

وإنَّ الإنسانَ لِيُعْطِيَ لِلْمُعَلِّمِ سَمْعَهُ وَعَقْلَهُ ، ولكنه عندما يجد قنوة صالحة ، يعطيه سَمْعَهُ وَعَقْلَهُ وَقَلْبَهُ جَمِيعًا ، ويُمكنه من عقله وقلبه ليقوده إلى الله تعالى .

### القوة والأُسوة على طريق ذات الشوكة :

إنَّ حضورَ القوة الصالحة على أرض المعركة ينفع العاملين في أمرين ، يأخذون منهم صوهم وجهادهم وعطائهم ، وتَرْفَعُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا مِنْ جَانِبٍ ، ومن جانب آخرَ يشهدون إمداد الله تعالى لهم ، وتمكينهم من المجابهة ، وتثبيتهم على أرض المعركة ، ويشهدون مَعِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ .

وهذه الإحياءات الرسالية التي تُعْطِيهَا حَيَاةُ الْقُوَى الصَّالِحَةِ ، لا تتأتى دائماً من الدرس والتعليم .

إنَّ ( القوة الصالحة ) تُؤْطَى طَرِيقَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ الطَّوِيلِ لِلْعَامِلِينَ وَالسَّائِرِينَ ، فعلى رأس كلِّ مُعْطَفٍ وَعِنْدَ كُلِّ صَعُودٍ وَهَبُوطٍ ، وعند ملتقى كلِّ طَويقٍ ،



## الصفحة 81

وفي كل غمّةٍ من غمّات السير والحركة ، وعندما تهب العواصف العاتية في وجوه العاملين ، وكلما يتغلّب اليأس والتعب والخوف على نفوس المؤمنين السائرين ، يلتقي العاملون السائرون على طريق ذات الشوكة بهذه القنوت الربّانية .

يلتقون بأنبياء الله ( عليهم السلام ) ، إراهيم ويحيى وعيسى وموسى وأيوب وهود وصالح وفوح وزكريا ، فيطمئنون إلى معية الله تعالى ، وإمداده لهم في وحشة الطريق والتباس الأمور ، وظروف الإهابة والملاحقة والمطردة .

يطمئنون إلى معية الله وإمداده ، من خلال حركة وعمل هؤلاء الربانيين السائرين على درب الطويل ، باطمئنان وثقة ، وصور متشوّجة .

يقول تعالى لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) ، وهو يريد أن يثبت قدمه على أرض المعركة : ( أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفروا بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين \* أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) (1) .

ويقول تعالى لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) ، بعد أن ينكوه بمعاناة الأنبياء وقصصهم وصورهم ، ودأبهم على السير والعمل . في سورة هود . : ( وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ) (2) .

فيثبت الله فؤاد نبيه ( صلى الله عليه وآله ) بسورة هؤلاء الصالحين .

يا لله ! ما هذا الأمر العظيم الذي يثبت تعالى به فؤاد نبيه ( صلى الله عليه وآله ) ؟

ذلك هو القوة الصالحة والحضور الرسالي الحي للربانيين على ساحة المعركة ، وعمرة الطريق الطويل بنجوم الهدى ، ومعالم الطريق : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إراهيم والذين معه ... ) (3) ، ( لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان

(1) الأنعام : 89 . 90 .

(2) هود : 120 .

(3) الممتحنة : 4 .

## الصفحة 82

يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ... (1) .

وقد جعل الله تعالى من أنبياء السلف قنوات سالحة لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) ، يثبت بهم فؤاده ( صلى الله عليه وآله ) وأفندتنا ، وجعل لنا من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قنوة سالحة ، نستهدي به وتطمئن به قلوبنا وأفندتنا ونفوسنا ، في زحمة الصواع ، ومخاوف الطويق . ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .. ) . (2) .

إن حياة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وعناؤه وجهاده ومثابرتة وصوره واستقامته ، قنوة لكل العالمين .

وعلى الدعاة إلى الله أن يقرؤوا بإمعان سورة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وحياته العامة والخاصة ، وعناؤه ، وحركته في مكة وبعد الهجرة ، وسيرته في الحرب والسلام ، وقبل إعلان الدعوة وبعدها ، وقبل إعلان الحرب على المشركين وبعدها ، ومع المؤمنين ومع الأعداء ؛ فإنها للعاملين نور وهدى ، وقنوة سالحة ومثل أعلى يحتدي به المؤمنون .

**الشهيدُ قنوة :**

و ( الشهيد ) قنوة سالحة في طويق العاملين ، وهذه الكلمة على وجرتها ، تشكل كل قيمة الشهيد في حركة التاريخ وتحريك الأمة .

والقيمة الحركية للشهيد تعود إلى هذه الحقيقة بالذات ، فإنّ الشهيد عندما يتحوّل إلى ( قوة ) للعمل الصالح وللعطاء والتضحية في حياة الناس ، يستطيع أن ينقل هذه القيم من جيل إلى جيل .

وهذه خاصّة من خصائص ( القوة ) في الحياة الاجتماعية ، أنه يسهل ويسرع

(1) المُمتحنة : 6 .

(2) الأخاب : 21 .

### الصفحة 83

عملية نقل القيم الحضريّة من جيل إلى جيل ، ويعمق هذه القيم في حياة الناس .

وهذه القيم كلما تنتقل من جيل إلى جيل تتسع دائرتها من الناحية الكمية ، وتتعمق وتتوسخ من الناحية الكيفية

وهذه الحقيقة تصحّ بشكل دقيق في أصل التضحية والعطاء ، فقد يتصور بعض الناس أن الشهادة تفقد الأمة

النخبة الصالحة من أبنائها ، وما تحمل هذه النخبة من قيم وزيايا إيمانية وأخلاقية وجهادية .

والأمر على العكس تماماً ، فإنّ الشهادة لا تعتبر خسارة مهما كانت قيمة الشهيد وحجم الشهداء وعددهم ، بل

هي ربح ونمو وبركة في حياة الأمة ، وحتى في الحسابات المادية .

والحديث التالي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يوضّح لنا هذه الرؤية الإيجابية للشهادة :

خطب النبي ( صلى الله عليه وآله ) المسلمين في المدينة ، في اليوم الذي استشهد فيه زيد وجعفر وعبد الله

بن رواحه (رحمهم الله) . في حرب مؤتة مع الروم . وأخوهم باستشهاد زيد ، وجعفر ، وعبد الله ، فقال (

صلى الله عليه وآله ) :

( أخذ اللواء زيد ، فقاتل به فقتل ، رحم الله زيدا . )

ثُمَّ أَخَذَ الْوَاءَ جَعْفَرَ ، وَقَاتَلَ وَقَتْلُ ، رَحِمَ اللَّهُ جَعْفَرًا .

ثُمَّ أَخَذَ الْوَاءَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَقَاتَلَ فَقَتَلَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ .

فَبَكَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) وَهُمْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) :

وَمَا يُبْكِيكُمْ ؟

قَالُوا : وَمَا لَنَا لَا نَبْكِي ، وَقَدْ ذَهَبَ خَيْرُنَا وَأَشْرَافُنَا ، وَأَهْلُ الْفَضْلِ مِنَّا ؟!

فَقَالَ لَهُمُ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : لَا تَبْكُوا ، فَإِنَّمَا مِثْلُ أُمَّتِي مِثْلُ حَدِيقَةٍ قَامَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَأَصْلَحَ

رَوَاكِبُهَا ، وَبَنَى مَسَاكِنَهَا ، وَحَلَقَ سَعْفَهَا ، فَأَطْعَمَ عَامًا فَوْجًا ، ثُمَّ عَامًا فَوْجًا ، فَلَعَلَّ آخِرَهَا طَعْمًا أَنْ يَكُونَ

أَجُودَهَا قِنُونًا وَأَطْوَلَهَا شِمْرًا ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، لِيَجِدَنَّ عَيْسَى بِنَ مَرْيَمَ فِي أُمَّتِي خَلْفًا مِّنْ حَوَارِيِّهَا

( 1 ) .

( 1 ) بحار الأنوار : 21 / 51 . ومقاتل الطالبين : 7 . 8 ، طبعة النجف ، المكتبة الحيرية 1385 هـ .

## الصفحة 84

لَوْعِي وَالْعَطَاءُ :

ويتساءل السائل : وفيما يكون الشهيد قوة ، وكيف ؟

دم الشهيد يُجسّد نقطتين أساسيتين في حياة الإنسان وفي مسورة الحركة الإسلامية ، وهما : ( الوعي ) و (

العتاء ) .

وهاتان النقطتان تُعتَوَّان أساسيتان لقيمة دم الشهيد ، وبهما يكون الشهيد قوة للأخرين .

فهذا الدم يُجسّد ولا مستوى رفيعا من الوعي والبصيرة واليقين ، وهذه هي النقطة البارزة الأولى في قيمة

دم الشهيد ، ولا قيمة للدم من دون هذا اليقين والوضوح ، والدم الذي رُاق من غير يقين من الانتحار ، وليس



من الشهادة في شيء .

إنّ لدم الشهيد جنوراً تزيخيةً ضربة في عمق التريخ ، وأهدافاً وغاياتٍ حضلية يرتبط بها الدم .

أمّا الغايات والأهداف التي يحقّقها دم الشهيد فهي : تحكيم شريعة الله وإرادته تعالى على وجه الأرض ، ومُجاهدة الهوى والطاغوت ، وتعميق خطّ الحضرة الربانية في الأرض وفي حياة الإنسان ، وإنقاذ الإنسان من شوك الهوى والطاغوت .

أمّا الأصول والجنور التزيخية لدم الشهيد : فإنه يجوي في امتداد تيارٍ عميقٍ وواسع من الدماء والدروع ، والجهود والمعاناة والآلام والعذاب ، والصمود والصبر والجهاد في التريخ .

وفي هذا الإطار التزيخي والوسالي ، يكتسب دم الشهيد قيمته الوسالية والحركية .

وهذه الأهداف والغايات والعمق الحضري ، هي التي تمنح الشهيد هذا الوعي

## الصفحة 85

والبصيرة واليقين الذي تحدّثنا عنه ، وإلا فكثير من الناس يبذلون أموالهم ودماءهم ، ولن تعود عليهم هذه التضحية بجوى ، ولن تُخرّجهم من دائرة نفوذ الهوى ، ولن تدخلهم في دائرة الهدى .

( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا )

(1) .

ولا يشكّ أحدٌ في صدقهم في العطاء والتضحية ، وأيّ عطاء وتضحية أكثر من التضحية بالنفس؟! ولكن ، من دون أن يكون نابعاً من نبع الوعي والوضوح واليقين ، بل هو الهوى يزيّن لهم أعمالهم ويخدعهم ويريهم الحقّ باطلاً وبالباطل حقاً ، ويسلبهم الرؤية والبصيرة ، وهؤلاء هم ضحايا على مذابح الهوى ، وهم يتصورون أنّهم أصحاب مبادئ وقضايا .

فاليقين والوعي هو الأساس الأوّل في تقييم دم الشهيد ، ومن دون ذلك لا قيمة للدم مهما كانت التضحية .

وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليّ ( عليه السلام ) : ( نومٌ على يقين ، خير من صلاة في شكّ )

وعن الإمام الصادق ( عليه السلام ) : ( إنّ العمل الدائم القليل على اليقين ، أفضل عند الله من العمل

الكثير على غير يقين ) ( 2 ) .

ضحايا انعدام الوعي :

ومن ضحايا انعدام الوعي واليقين في تزيخ الإسلام ( الخولج ) ؛ كانوا يلتزمون بالحلال والحرام ، ويتقنون بأحكام الله ، ويتبرعون عن الحرام ، ولكن ذلك كله من دون وعي ولا بصيرة ولا يقين ، ولقد كانوا يُؤيقون الدماء المُحرمة الواكية من دون وعي ولا تقوى ، ثم يتبرعون عن أن يأخذ أحدهم ثمرة سقطت من

( 1 ) الكهف : 103 . 104 .

( 2 ) أصول الكافي : 2 / 57 .

## الصفحة 86

نخلة !

يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : ولقيهم . أي : الخولج . عبد الله بن الخطاب ( من أصحاب أمير المؤمنين ، وابن الصحابي الجليل الخطاب ( رحمهما الله ) ) وهو راكب على حمار ، ومعه امرأته وهي حامل ، فقالوا : إنّ هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك . وكان يحمل معه قرآنًا . فقال لهم : ما أحياء القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميّوه .

فوثب رجل منهم على رطوبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه ، فصاحوا به ، فلفظها ترعا .

وعرض لرجلٍ منهم ختير ، فضوبه فقتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض ، وأنكروا قتل الختير .

ثم قالوا لابن الخبّاب : حدثنا عن أبيك ، فقال : إني سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقول : ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، فكن عبد الله المقتول ، ولا تكن القاتل ، قالوا : فما تقول في عليّ ( عليه السلام ) بعد التحكيم والحكومة ؟

قال : إن علياً أعلم بالله وأشدّ توقياً على دينه ، وأنفذ بصورة ، فقالوا : إنك لست تتبع الهدى ، إنما تتبع الرجال على أسمائهم ، ثم قرّبوه إلى شاطئ النهر ، فأضجوه فذبوه .

قال أبو العباس : وسلو موارجلًا نصرانياً بنخلة له ، فقال : هي لكم .

فقالوا : ما كنّا لناخذها إلا بثمن .

فقال : واعجباً ! أتقتلون مثل عبد الله بن الخبّاب ولا تأخذون نخلة إلا بثمن (1) .

وكان أمير المؤمنين يُخاطب الخوارج ، فيقول لهم : ( فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تَصْبَحُوا صُوعِي بِأَثَاءِ هَذَا النَّهْرِ ، وَبِأَهْصَامِ هَذَا الْغَائِطِ ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ ... ) (2) .

(1) شوح نهج البلاغة : 2 / 281 . 282 .

(2) نهج البلاغة ، د . صبحي الصالح : 8 / خ 36 .

## الصفحة 87

ومرّ أمير المؤمنين بقتلى الخوارج يوم النهروان ، فقال : ( بؤساً لكم ، لقد صرّكم من غرّكم : .

فَقِيلَ لَهُ : مِنْ غَرَّهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ : الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ ، وَالْأَنْفُسُ الْأَمْرَةُ بِالسَّوْءِ ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَفَسَحَتْ لَهُمَ بِالْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ

الْإِظْهَارَ ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارُ (1) .

وقُتِلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَصْحَابِ ، فَعُوفَ بِقَتْلِ الْحِمَارِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى مَشْرُكًا عَلَى حِمَارٍ فَأَعْجَبَهُ الْحِمَارُ ، وَبَرَزَ

له ليقتله ويسلب منه حملاه ، فقتل ، فعرف بقتل الحمار . فلم يظفر بالحمار ولا بالشهادة .

وهذا هو الأساس الأول في تقييم دم الشهيد .

### العطاء :

والأساس الثاني في تقييم دم الشهيد : ( العطاء والتضحية ) ، فالشهيد يُعتبر قمة في العطاء والتضحية ،

وليس بعد هذه القمة قمة ، فإن الجود بالنفس أقصى غاية الجود .

والشهيد يبذل لله تعالى كل ما يملك ، ولا يدخر لنفسه شيئاً ، فحقيق أن يرزقه الله كل ما يتمنى من رحمته .

وما أروع ما نُقلَ عن السيد مهدي بحر العلوم (رحمه الله) ، حيث لفت نظره كثرة ما يروى من الثواب

لمن زار الحسين ( عليه السلام ) ، فسأل أستاذه عن سر ذلك ، فقال له : إن الحسين ( عليه السلام ) عبد فقير

من عباد الله ، أعطى كل ما يملك لله من غير تردد ، وحقيق بالله . وهو الغني المطلق الذي لا حدود لخوائن

رحمته . أن يعطيه من خوائن رحمته من غير حساب ، وفوق حساب الحاسبين .

(1) نهج البلاغة ، د . صُبحي الصالح : ص 532 خ 323 .

### الصفحة 88

والعطاء هو التصديق العملي للإيمان ، فمن الناس من لا تصدق أعمالهم إيمانهم ، إذا وقفوا في مواجهة أئمة

الكفر ، وفي مواجهة المنكرات ، وليس دائماً ينشأ هذا التخالف . بين الإيمان والعمل . من الغموض والشك . وإن

كان يُؤدِّي إليه دائماً . ، وإنما ينشأ أحياناً عن ضعف في النفس ، وحب للدنيا وإيثار للعافية ؛ فيتخلف الموقف

العملي للإنسان عن إيمانه وعقيدته ، وتكون نتيجته الشح والبخل .

والقآن الكريم دقيق في تعبيره عن العلاقة بين الإيمان النظري ، والصدق في الموقف العملي ، حيث يقول

( مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا ) :

(1) .

فليس كلّ المؤمنين صادقين في العمل والفعل ، في عهدهم مع الله تعالى ، بل منهم الصادقون ومنهم غير

ذلك .

رغم أنّهم مؤمنون ، لكنّهم لم يصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وتخلّفوا في العمل عن الإيمان . وهذا النموذج

من الناس شائع في مجتمعنا اليوم ، وفي التاريخ .

إنّ التضحية تُعتبر أعلى درجات التفاعل النفسي والعاطفي مع الإيمان والعقيدة .

إنّ الإيمان قد يكون إيماناً عقلياً مجرداً ، ذا صبغة عقلية رياضية خالصة ، إيماناً أكاديمياً لا يغيّر شيئاً من

واقع حياة الإنسان ، ولا يصنع حُباً ولا بغضاً ولا ولاءً ولا ولاءة ، وليس له جذب ولا دفع في حياة الناس .

وهذا هو إيمان الفلاسفة ، الذين يعرفون الله من خلال المعادلات والقوانين الفلسفية ، إيمان الفلرابي وابن سينا ،

وديكرت وأمونويل كانت :

( 1 ) الأخاب : 23 .

## الصفحة 89

أمّا إيمان الشهداء ، فشيء آخر يختلف عن هذا الإيمان .

إنّه عملة ذات وجهين : وجه للعقل ، ووجه آخر للعاطفة والحب والشوق ، والولاء والحب والعطاء والإيثار

والفعل والانفعال .

ترقّ العاطفة حتّى تكون حباً ، ويسمو البذل حتى يكون تضحية .

وما أجمل كلام هذا الشاعر الذي يحدثنا على لسان الحسين ( عليه السلام ) ، في مناجاة والهة مع الله تعالى

يوم عاشوراء ، على مسوح الحُب والشهادة :

تَرَكْتُ الْخَلْقَ طَوّاً فِي هَوَاكَ وَأَيْتَمْتُ الْعِيَالِ لَكَي رَأَاكَ

## فلو قَطَعْتَيَّ فِي الْحَبِّ لِرَبِّا لَّ مَا مَالَ النَّوَادُ إِلَى سَوَاكَا

إيمان الشهيد خليط من هذين الأمرين معاً : إيمان وحبّ ، إيمان يُصدّق الحبّ ، وحبّ يُصدّق الإيمان ، مزيج من العقل والعاطفة ، يزوج بين منطق الفلاسفة والحُكماء ، وعاطفة المُحبّين الوالهيّين .

دم الشهيد تعبير رائع عن هذا المزيج المُقدّس من العقل والحبّ ، من منطق الحكّماء ووله المُحبّين ، و من استحكام العقل وقوّته وجاذبيّة الحبّ وفّرانه .

وهذا التفاعل النفسي هو الذي يُؤهلّ النفس للعطاء والتضحية .

إنّ العقل وحده ، والإيمان وحده ، لا يكفي ليلبّغ الإنسان هذا المستوى الرفيع من تجاوز الذات ، والإيثار والتضحية .

ولكي يبلغ الإنسان هذه القمّة من الكمال ، لا بدّ له من مدرسة أخرى ومنطق آخر وإعداد آخر ؛ وهي مدرسة الحبّ ومنطق المُحبّين ، والعطاء ، الذي يكون الشطر الآخر من شخصية الشهيد ، نابع من هذا النبع .

وهذان الأساسان ( اليقين والعطاء ) هما الأساس والمفتاح لفهم قيمة الشهيد ودوره في تحريك المجتمع .

ولابدّ من أن نبسط القول في هذه النقطة بعض البسط .

### الصفحة 90

#### التخلّف في الوعي والعطاء :

قلنا : إنّ الشهيد قنوة للمجتمع وللأجيال ، في مسألتين أساسيتين هما : الوعي والعطاء .

والتخلّف عن الأوّل يعرّض الأمة للانحراف عن طريق الله ، والتخلّف عن الثاني يصيب الأمة بالْعَجْز عن التحوّك ، والضعف والتعب واليأس .

وأكثر مشاكلنا السياسيّة والفكريّة ، والحضريّة والحركيّة تنبع من هذين ، ( التخلّف في الوعي ، والتخلّف

وفي العطاء ) .

والشهيد قنوة رفيعة للوعي والعطاء معاً .

وقد لا يتبين في النظرة الأولى أثر كل شهيد في مسورة الحركة ، ولكن الذين يوزقهم الله القوة على رؤية المسورة الوبانية الكوى على وجه الأرض ، يرون دائماً . إلى جنب كل مسورة حاشدة بالمؤمنين إلى الله . نهوا من الدم ومسورة حافلة بالشهداء ، يُموّن هذه المسورة ويمدها بالغرم والقوة على المواصلة وتحدي الصعاب .

إنّ دماء الشهداء تهب الأحياء غمماً على الاستمرار ، ومواصلة الحركة والسير ، وقوة على تجاوز العقبات والصعاب ، وتهبهم القوة على نكوان الذات وتجاوز النفس ، والتوفع عن صغائر الأمور ، وانواع حب الدنيا من النفوس ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، واسترخاض الحياة الدنيا في سبيل مرضاة الله .

إنّ دماء الشهداء تعلم الأحياء الكثير ، ومن أغرب ما في هذه المدرسة العجيبة في حياة الإنسان أن تلاميذها أحياء ، وأسأتذتها أموات !

ولكن ، لا كما يتصور الناس الأموات ، وإنما كما يقول ربنا ( سبحانه ) : ( ... أحياء عند ربهم يرزقون )

(1) .

## الصفحة 91

إنّ كل شهيد . في النظرة الكونية الشاملة لحركة الدم . يربّي أجيالاً من العاملين المخلصين لله ، وكل قطرة من دم الشهيد تتحوّل إلى أنهار من دم ، يُفجّر واكين من المقاومة والثورة والتعود على الظالمين في نفوس المؤمنين .

إنّ الشهادة تُعلمنا كيف ينتصر المظلوم من الظالم ، وكيف يستعيد المظلوم حقه ومكانه في التاريخ ، وكيف ينتصر المُستضعفون على المُستكبرين ويستعيدون مواقعهم في الحياة ، وكيف ينتصر الدم على السيف ، والحق على الباطل ، وكيف يوزق الله القلة المُستضعفة . التي تخاف أن يتخطفها الناس . على الكثرة القوية من المُستكبرين وأضوابهم وجنودهم .

والشهادة تُعلمنا كيف نكسر الأغلال والقيود من أيدينا ، ونتمود على رادة الذين يريدون أن يسلبونا الأمن والإرادة والقوة ، والشهادة تُعلمنا كيف نعيش أحراراً ، وكيف نتحرر من القيود والأغلال ، وكيف نستوجع

كوامتنا وحرّيتنا ومواقفنا ومراكزنا على وجه الأرض ، وكيف نتحول من عبودية الطغاة والمستكبرين إلى عبودية الله رب العالمين .

الشهادة : عقيدة وإيمان ، وحبّ وعطاء ، وتضحية وإيثار في سبيل الله ، وإخلاص وإقدام وشجاعة ، وحياة جديدة .

وحاشا أن تكون الشهادة عقيمة ، أو تكون موتاً كما يفهم الناس الموت .

### الطاقة الحركية لدم الشهيد :

لدم قابلية كبيرة في تحريك الضمائر الخاملة ، ولا تهتزّ الضمائر الميتة والخاملة لأمر كما تهتزّ للتضحية والدم .

إنّ التضحية توظف العقول وتنبه الضمائر ، وتحرك النفوس وتهزّ الإنسان من الأعماق وتبعث فيه الحياة ، وتفتح مغاليق القلوب وتشوح الصدور ، وتفجر كل الطاقات الخيرة الكامنة في نفس الإنسان ، وتقتلع الإنسان من مُستنقع الحياة

## الصفحة 92

الراكد ، وتدفعه إلى قم الحياة العليا ، وتمزق حجب التعلق بالدنيا من على عينيه وسمعه وقرآده ؛ لتفتح أمامه آفاق الحياة الواسعة ، والتي تمتدّ إلى موضة الله ؛ ذلك أن الإنسان ببطوته يزوع إلى الله تعالى وموضاته .

وليست حقيقة الإنسان هي هذه الكتلة من الأعصاب والعظام واللحم والجلد والغوايز والشهوات فقط .

إلا أن التعلق بالحياة الدنيا وأعواضها القوية ومتاعها ، يحجبه عن تلك الأهداف والغايات العليا ، فتحبسّه الحياة الدنيا وتعلقاتها وتثقله ، كما تثقل الجاذبية الأشياء ، فتعيق تحركه وصدوده .

والتعبير القرآني بهذا الصدد دقيق : ( مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُم إِلَى الْأَرْضِ لَرَضِيْتُمْ

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ) (١) .



وكأنّ التعلّق بالحياة الدنيا ينثقل الإنسان ، ويحوّله إلى الأسفل ( الأرض ) ، ويعيقُ تحليقه إلى الله تعالى ،  
ويؤدّيه من تلك القمم الوفيعة والآفاق الواسعة في الآخرة بهذا العوض الرائل القويب من الدنيا : ( **رَضَيْتُمْ** **بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ...** ) .

ولكي يُحلّق الإنسان ويرتفع لا يحتاج كثيرا إلى زخم أو دفع ، وإنما يحتاج إلى من يمزق عنه هذه الحجب  
التي تحجبه عن الآخرة ، ويحرره ويكسر عن يديه ورجليه هذه الأغلال التي تعيق تحركه ، فيفتح عليه آفاق  
الآخرة ويُطلق يديه ورجليه للتحرك . ودم الشهيد له هذا النور الكبير في حياة الناس .

إنّ دم الشهيد يزيل الخوف عن القلوب الضعيفة ، ويقضي على رهبة الموت ، ويعطي للموت معنى الانتقال  
إلى لقاء الله تعالى ، ويهبه نكهة لقائه .

إنّ دم الشهيد يرفع من قيمة الموت إلى قيمة لقاء الله تعالى ، ويضع من قيمة الحياة الدنيا حتى لا تعد  
تستوي أحداً من المؤمنين ، إلا بقدر ما تكون متجراً للآخرة وطريقاً إليها .

(1) التوبة : 38 .

### الصفحة 93

وأكثر ما يعيق حركة الإنسان إلى الله تعالى ، الخوف من الموت والتعلّق بالدنيا ، فإذا حلّ محلّه الإقبال على  
لقاء الله : ( الشهادة ) والوهد في الدنيا . بالمعنى الإيجابي من الوهد . ، تغير وجه الحضرة والتريخ .

إنّ التضحيات الكبيرة تُزوّق حجب التعلّق بالدنيا عن عيني الإنسان ، وتفتح عينيه فجأة على الآفاق الواسعة  
المؤامية من وراء هذه الحجب .

إنّ هناك من وراء هذه الحياة اليومية الوتبية ، بما تحتويه من تجرّة وعمل ومعيشة ومعاشرة ، ومشاكل  
صغيرة وخلافات وحساسيات وصراعات . إنّ هناك من وراء هذا المشتت . آفاقاً وأسعة وقمماً عالية لتحرك  
الإنسان وصعوده ، تكشفها تضحية الشهداء ودمؤهم ، وكأنّ الإنسان كان في غفلة منها في حياته اليومية ،

فَيُنْبَهِّهِ إِلَيْهَا الشَّهَدَاءُ بِتَضَحِيَّاتِهِمْ .

فدم الشهيد إذن ، يبعث الحياة والتحرّك من جديد في المجتمع ، ويمنح النور والرؤية والبصيرة للقلوب التي تَبَلَّدَتْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وعندما يمتلك الإنسان الرؤية الكافية ، ينكشف له الهدف والغاية ، فيسعى إليه ويتحرّك نحوه .

فدم الشهيد إذن ، يمنح الإنسان الرؤية والهدف والتحرّك وفي مساحة واسعة من المجتمع ، ويخلق من الأجواء الخاملة والبليدة أجواء حركية وثورية .

ولذلك ، فليس في دم الشهيد خسارة إطلاقاً ، حتّى بالمعنى المادّي من الخسارة ، بل الدم ربيع دائماً ، حتّى بالمعنى التجري للربح ؛ ذلك أنّ الشهيد ، وإن كان يرحل عنّا ونخسر به عنصراً فاعلاً مخلصاً ، إلا أنّ تضحّية وإيثار شهيد واحد يخلق روح الإيثار والتضحّية عند العشرات من الناس ، ويكون قنوة لهم في الإيثار والتضحّية ، ويبعث القوّة والفاعلية والإخلاص في نفوسهم .

فالشهادة موت للفرد وولادة للأمة ، ومثل هذا الموت موبّح ، ولن يعدّ خسارة حتّى في الحسابات التجريدية من الربح والخسارة .

## الصفحة 94

دم الشهيد يُوسّع رقعة التضحّية داخل الأمة :

إنّ تنامي موجة الاستعداد للتضحّية والإيثار في الثورة الإسلامية المعاصرة . وعلى مساحة واسعة جداً . دليل واضح على خصوبة الشهادة وعطائها ؛ فلقد بدأ الوعي الإسلامي يتنامى في هذه المنطقة ، ورافقه الاستعداد للتضحّية والشوق إلى الشهادة في سبيل الله ، إلا أنّ هذا الاستعداد والشوق كان ضمن رقعة اجتماعية محدودة ، هي المساحة الواعية من هذه الأمة .

وواضح لدينا أنّ المساحة الواعية من الأمة . والتي انطلقت منها الحركة في مواجهة الطاغوت . كانت مساحة محدودة جداً ، ولكن كلما كان يزداد عدد الشهداء في الساحة الإسلامية ، كانت تتسع رقعة الاستعداد

للتضحية والشهادة .

وتجاوزَ الاستعداد للتضحية المساحة الواعية التي انطلقت منها الحركة والثورة إلى الشلوع ، ولتقع ابن الشلوع والريف في حركة نامية سريعة إلى مستوى الاستعداد للتضحية والشهادة .

ومعنى ذلك ، أن دماء الشهداء استطاعت أن توسّع رقعة الوعي والتحرك والإيثار والتضحية والشهادة ، خلال هذه المدّة القصوة بدرجة عالية جداً ، تفوق تصوراتنا الحسابية .

وهذا النموّ المتصاعد لحركة الإيثار والتضحية داخل الأمة ، من أهم مصاديق الضمان الإلهي ؛ لإنجاح رسالة دم الشهيد وقضيّته .

**دمُ الشهيد يحسم الخلاف ويقطع التردد :**

ودم الشهيد يقطع طريق العودة على المهزومين سياسياً وفكرياً ، إنه أداة الحسم في القضية الإسلامية ، فكوريا وسياسياً وعسكرياً .

وقبل أن يصبغ الشهداء ساحة المواجهة بدمائهم ، تتوفّر الفُوص بشكل واسع دائماً للصُلح والتفاهم مع الكفر ، والنزول عن المبادئ والحلول النصفية ، لتوضيّة أئمة الكفر .

## الصفحة 95

أمّا عندما وُاق دم الشهداء في الساحة ، فإنّ الأمر يختلف تماماً ، وتتقطع الجسور بين هاتين الجبهتين ، وتبقى المبادئ هي سيّدة الموقف .

والمجتمع الإسلامي لا يخلو . على كلّ حال . من حالات ولحظات ضعف ، تدفع المجتمع غالباً باتجاه التّوضيّة والتفاهم وتجنّب المواجهة ؛ إيثاراً للعافية والاستقرار ، وتحت غطاء من التّوريات الشّوعية والسياسية ، ولولا دم الشهيد لكان هذا الاتّجاه هو الاتّجاه السائد والغالب ، إلا أنّ دم الشهيد يستلم الموقف السياسي والعسكري دائماً بالحسم الثوري ، ويشكّل في المجتمع الإسلامي بؤرة القوة والثورة ، في مقابل بؤرة الضعف التي أشونا لها .

ولا نذهب بعيداً في أعماق التاريخ ، فالثورة الإسلامية المعاصرة في إيران ، بمعطياتها الثورية والسياسية في مُتناول أيدينا ، ولم تغب عنا أحداثها بعد .

لقد كانت قيادة الإمام الخميني (رضي الله عنه ) حاسمة منذ العواجل الأولى للثورة ، وكانت هذه القيادة تتجه من الأول باتجاه إسقاط النظام . مرة واحدة . وإقامة الحكم الإسلامي وبصورة قاطعة ، ولكن المساحة الواسعة من الأمة لم تكن بهذا المستوى من التفكير الثوري .

وكانت هناك قطاعات كبيرة من الأمة تميل إلى التفاهم مع النظام ؛ للمحافظة على النظام والإسلام معا بقدر الإمكان ، وتجميع النظام القائم والإسلام . في الحد الأدنى . ، وكانوا يعتقدون بضرورة إيقاف الثورة عندما يتحقق الحد الأدنى من المصلحة للإسلام .

وبدأ ( الشاه ) في أخريات أيامه يميل إلى هذا الرأي ، ويعتقد بضرورة تقديم تنازلات شكلية ومؤقتة للثورة ؛ للإبقاء على عرشه ريثما تتم له فوصة الانقضاء من جديد على الإسلام .

ولو كان يحدث شيء من هذا القبيل ، لحلت بالإسلام كلثة يصعب علينا تقدير سلبياتها وأضرارها الآن .

وقد كان لدماء الشهداء (رضوان الله عليهم ) نور حاسم ومصوي في هذه

## الصفحة 96

المرحلة من حياة الثورة ، قطعت الطريق على الحلول النصفية الضعيفة ، وقطعت جسور التفاهم مع النظام ، وصارت كل الحلول المطروحة للترضية والتفاهم .

وكلما كان يكثر عدد الشهداء في الساحة ، كانت ترتفع درجة مقاومة الثورة وقدرتها على المضي والاستمرار ، وكانت الفجوة بين الجبهتين تتسع أكثر من ذي قبل ، وتقل فوَص اللقاء والتفاهم الذي كان الجناح الوطني لا يخفي رغبته إليه ، حتى بلغ الأمر حداً لم يكن من الممكن اللقاء والتفاهم مع الشاه ، على كل المستويات الاجتماعية المواكبة للثورة ، وانقطعت الجسور بصورة نهائية .

ولم يعد لأحد أمل معقول من الناحية السياسية في إمكانية الإبقاء على الشاه ، حتى السفير الأمريكي في

طهران ، فقد كان رُاسل حكومته ؛ ليؤكد لهم أن فكرة المحافظة على الشاه في الظروف الموجودة في إيران لم يَعدْ إلا وهماً سياسياً ، وسواباً خادعاً ... ومن الأفضل لأمريكا أن تعيد النظر في حساباتها السياسية تجاه قضية إيران ؛ لتفكر تفكروا واقعياً يَنسجم مع الواقع الإسلامي القائم في إيران .

وبالتأكيد ، كان لدم الشهداء النور الكبير البارز والفاعل في الحسم السياسي ، في هذه المرحلة الحساسة والمصوريّة من التاريخ ، إلى جانب الموقف التاريخي الحاسم الحوي الذي كان يمتلكه الإمام في مواجهة الأحداث .

وليس هذا فقط ، بل كان لدم الشهداء (رضوان الله عليهم ) في ساحة المواجهة نور في قطع طريق العودة على أمريكا وحلفائها إلى إيران ، من خلال المؤامرات العسكرية والانتقافات السياسية .

لقد كان من الممكن أن تفكر أمريكا . بعد أن فقدت الأمل في المحافظة على الشاه . في مؤامرة عسكرية ، من خلال العناصر الموالية لها من العسكر ، لكنّ التضحيات الكبيرة التي قدّمتها الأمة في مواجهة النظام بقيادة الإمام ، قطعت الطريق عليهم أيضاً ، فلم يكن من الممكن أن تسكت الأمة . بعد تلك التضحيات والدماء المبركة . عن بديل أمريكي آخر ،

## الصفحة 97

مُتَّع بقناع جديد من الديمقراطية والوطنية والدين ، من خلال حركة العسكر أو حركة السياسيين القدامى .

لقد منحت دماء الشهداء . في ( ساحة الشهداء ) في طهران ، وفي سائر سوح المواجهة . هذه الأمة الوعي والذكاء السياسيين ، والحذر من لعبة تبديل الأفتنة والوجوه ، وقوة الحسم في الموقف .

وهذه جميعاً وغيرها ، هي الأنوات التي يضمن الله تعالى بها قضية دم الشهيد ، والتي تساهم . بإذن الله . في إنجاح رسالة الشهيد .

فدم الشهيد إذن ، يقود المسيرة الحضريّة باتجاه المواقف القوية والحاسمة ، ويفتح مغاليق القلوب المعتمّة والمُنغلقّة ، ويفجر الطاقات الكامنة في أعماق النفوس ، ويهب النفوس البليدة والضعيفة ذكاء ووعياً وقوة .

ولا شك أنّ هذه النقاط المضيئة في دم الشهيد . جميعاً . مواضع يهبط عليها نصر الله تعالى وتأييده .

### الإمداد الغيبي والضمان الإلهي لدم الشهيد :

وبعد ، فليس معنى ما ذكرنا من نقاط حسية لهبوط النصر والتأييد من الله تعالى ، أنّ الضمانة الإلهية لقضية الشهداء تنحصر في هذه النقاط ، فإنّ دائرة الإمداد الإلهي الغيبي لدم الشهيد أوسع من هذه الدائرة الحسية التي رسمناها هنا ، ومصادر النصر ومنايحه في قوائن رحمة الله تعالى لا تنحصر فيما ذكرنا من نقاط ووجوه ، فإنّ قوائن رحمة الله تعالى ونصوه وتأييده لمسوة الشهداء واسعة وكثيرة ، لا يُحدِّدها ما ذكرنا من أسباب وأساليب .

فقد نصر الله تعالى أنبياءه بطوق غيبية لا تتألف يد الإنسان وقدرته ، فنصر الله تعالى نوحاً ( عليه السلام ) ، ففجّر الأرض ينابيع ، وأتول من السماء أمطاراً غزيرة وأغرق قومه الذين كذبوه :

### الصفحة 98

( فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ \* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ) (1) ، إلى قوله تعالى : ( وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ) (2) .

ولقد أرسل الله تعالى على قوم عاد ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمرٍ ، فأبادتهم وأهلكتهم :  
( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِراً فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ \* تَتْرَعُ النَّاسُ كَانْتَهُمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ) (3) .

وأمر الله تعالى الملائكة أن يقولوا إلى ساحة بدر ؛ لنصرة المسلمين وتثبيتهم :  
( إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُّوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فُوقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ) (4) .

وكذلك يُنبت الله عباده الصالحين في المواجهة مع الكافرين ، وعلى أرض المعركة ، ويضمن الله تعالى في هذه المواجهة الحضريّة العنيفة أنّ العاقبة للمتقين :

( ... إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) (5) .

وعلى نحوٍ من ذلك نفهم نحن الضمان الإلهي لدم الشهيد ، وهذه الضمانة الإلهية جزء من هذه الحقيقة والسنة الإلهية الشاملة في تأييد ودعم ونصر المؤمنين المتقين ، و ( الثأر ) لدماء الشهداء .

(1) القمر : 11 . 12 .

(2) القمر : 15 .

(3) القمر : 19 . 21 .

(4) الأنفال : 12 .

(5) الأعراف : 128 .

## الصفحة 99

### ثأر الله

رحلة الشهادة في القوان الكريم

في سورتي التوبة وآل عمران

( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... ) (1) .

( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ) (2) .

يُشير القرآن الكريم إلى هذه النقلة الإيمانية في حياة المؤمنين ، من محور الأنا إلى محور الله ، في أروع

صورة وتمثيل :

آية ( التوبة ) :

( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا  
عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ \* التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الزَّكَوُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ) (3) .

والآية الكريمة تُعبر عن تجرد الإنسان من ذاته وعلاقاته بالله تعالى

(1) التوبة : 111 .

(2) آل عمران : 169 .

(3) التوبة : 111 . 112 .

## الصفحة 100

باستخدام تعبير البيع والشراء ، وهو تعبير ينطبق على الموضوع الذي نحن بصددته بشكل دقيق .

وكل بيع يتطلب أموراً خمسة : المشوي ، والبائع ، والتمن ، والمتمن ، ووثيقة البيع .

والمشوي هنا هو : الله ( عز اسمه ) .

والبائع : الإنسان .

والتمن : الجنة .

والمتمن : هي النفس وعلاقاتها ومتعلقاتها ، ولذاتها وغاؤها ، وحبها وبغضها وميولها .



وثيقة البيع : التوراة ، والإنجيل ، والقوان .

## الْبَيْعُ وَالشُّرَاءُ :

ويستوقفنا هنا هذا التعبير الراجع : ( **إِنَّ اللَّهَ اشْتَوَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** .. ) .

إنَّ المؤمنين يبيعون أنفسهم وأموالهم لله ، والله يشتوي منهم أنفسهم وأموالهم ، وليس للبائع . بعد أن يتخلى عن نفسه وعن الأنفس الغريزة عليه ، وعن ماله لله ، ويقبض الثمن . أن يتراجع أو يتردد في تسليم البضاعة ، أو يتحفظ في التسليم أو يستقطع منها شيئاً أو تحن نفسه إلى شيء منها ، فقد باع وقبض الثمن ، ولا خيار ولا رجوع ولا استقطاع .

وعملية البيع هنا شاملة ومستوعبة ، لا تترك للإنسان شيئاً : ( **... أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ...** ) .

والأنفس هي أنفس المؤمنين والأنفس الغريزة عليهم ، من أبناء وزوج وإخوة وأغواء .

والأموال هي كل ما يملكونه من متاع وعقار ونقد .

فلا تبقى لهم بقية في هذه الدنيا يتعلقون بها أو تحن إليها نفوسهم ، ما داموا قد قبلوا البيع وأتموا الصفقة

وقبضوا الثمن ، فهي عائدة جميعاً لله ، يتصرف بها كيفما يشاء وكما يحب وكما يريد ، وليس للمؤمن أن يتكأ

في التسليم والعطاء أو يتردد ، فإن عملية التخلي عن الأنفس والأموال تتم طواعية بإختيار الإنسان ورغبته ،

وقيمة هذه العملية في أنها تتم بإختيار الإنسان ورغبته ، ومن المعيب أن °



## الصفحة 101

يُتِمُّ الإنسان صفقة بيع ويقبض الثمن ، ثم لا تسمح له نفسه بالتخليّ عن البضاعة أو يتردد في تسليمها ، أو تُسلِّره نفسه بالفسخ والتراجع .

## النقطة الكاملة :

وعملية البيع . وهذا هو موضع استشهادنا بهذه الآية الكريمة . تعبر عن كل المسورة والرحلة ، وتطوي كل المسافة الفاصلة بين المحورين ، ( محور الأنا ) و ( المحور الإلهي ) ، فيتخلى المؤمن عن نفسه ومشئياتها ، وعلاقاتها ولذاتها ومتعتها ، وعن كل علاقاته في هذه الدنيا لله تعالى بصورة كاملة ، وينزع نفسه من هذا المحور أنواعاً كاملاً ؛ لينقلها إلى المحور الآخر ، وليضعها تحت سلطان الله تعالى وأمره ونهيه .

وهذه النقطة أو البيعة هي كل المسورة الإنسانية إلى الله ، والمؤمنون في هذه البيعة يطوون كل تلك الرحلة الطويلة والشاقة .

## أمثلة عن النقطة في حياة المسلمين الأولى :

ولقد كان المسلمون في صدر الإسلام يتلقون هذه الحقائق والآيات من كتاب الله ، ويفهمونها بوضوح وبساطة ومن غير تعقيد أو التواء ، وتحوّل هذه الآيات والمفاهيم القوانية الجديدة في نفوسهم إلى وعي عميق ، وإيمان وسلوك .

## واليكم بعض الصور المشرقة من هذا الترخيخ :

1 . في بيعة العقبة الثانية . وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين . اجتمع رجال الأنصار مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عند العقبة لمبايعته ( صلى الله عليه وآله ) ، والاتفاق معه على قرار بخصوص الهجرة والنصرة ، فقال عبد الله بن رواحة ( رحمه الله ) للنبي ( صلى الله عليه وآله ) : **اشترط لربك ولنفسك ما شئت .**

## الصفحة 102

فقال النبي ( صلى الله عليه وآله ) : ( أشتري لربي : أن تعبوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشتري لنفسي : أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم .

قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟

قال : الجنة .

قالوا : ربح البيع ، لا نقيلاً ولا نستقيلاً (1) .

فتلّت : ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَوَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .. ) (2) .

2 . وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ( رحمه الله ) ، قال : ( تلّت هذه الآية على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وهو في المسجد : ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَوَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .. ) ، فكبر الناس في المسجد ، فأقبل رجلٌ من الأنصار ثانياً طرفي رداءه على عاتقه ، فقال : يا رسول الله ، أتلت هذه الآية ؟ قال : نعم .

فقال الأنصاري : ببيع ربيع لا نقيلاً ولا نستقيلاً (3) .

3 . وصورة ثالثة من هذا التفاعل المباشر ، والفهم الواضح الصافي لمفاهيم الإسلام وتصوّراته الجديدة على حياة الناس ، وهي ما جاء عن عبادة بن الصامت : ( أن أسعد بن زُرّة أخذ بيد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ليلة العقبة ، فقال : أيها الناس ، هل تدرون علام تبأيعون محمداً ( صلى الله عليه وآله ) ؟ ! إنكم تبأيعونه على أن تحلّوبوا العوب والعجم والجن والإنس كافة .

فقالوا : نحن حرب لمن حرب ، وسلم لمن سالم .

فقال أسعد بن زُرّة : اشتري عليّ .

( 1 ) الجامع لأحكام القرآن ، للقطبي : 8 / 367 .

( 2 ) بناءً على أن تكون الآية مكيّةً ، والأرجح أنها مدنية .

(3) الذرّ المنثور : 3 / 280 .

### الصفحة 103

فقال ( صلى الله عليه وآله ) : **تُبايعوني على أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وتقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، والسمع والطاعة ، ولا تؤعوا الأمر أهله ، وتمنعوني مما تمنعون أنفسكم وأهلكم .**  
قالوا : نعم .

قال قائل من الأنصار : نعم ، هذا لك يا رسول الله ، فما لنا ؟

قال : **الجنة والنصر ( 1 ) .**

4 . وصورة أخرى ، وهي ما أخرجه ابن سعد عن الشعبي ، قال : ( انطلق النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالعباس بن عبد المطلب ، وكان ذارأي ، إلى السبعين من الأنصار عند العقبة ، فقال العباس : ليتكلم متكلمكم ، ولا يُطيل الخطبة ، فإنّ عليكم للمشركين عينا ، وإن يعلموا بكم يفضحوكم .

فقال قائلهم ، وهو أبو أمانة أسعد : يا محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، سل لوبك ما شئت ، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت ، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله ، وعلينا ، إذا فعلنا ذلك ؟

فقال ( صلى الله عليه وآله ) : **أسألكم لوبي أن تعبوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا ، وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .**

قال : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟

قال : **( الجنة ) .**

فكان الشعبي إذا حدث هذا الحديث قال : ما سمع الشيب والشبان بخطبة أقصر ولا أبلغ منها ( 2 ) .

ولهذه الصور أمثلة كثرة في تزيخ الإسلام ، عن التفاعل المباشر مع مفاهيم وتصوّرات الإسلام ،  
والانصهار والنوّبان في هذه المفاهيم والتصوّرات ،

(1) الدرّ المنثور : 3 / 280 .

(2) الدرّ المنثور : 3 / 280 .

### الصفحة 104

والفهم الواضح لها .

لقد كان المسلمون الأوائل يفهمون هذه الآية الكريمة بهذه البساطة والوضوح ، ويتفاعلون معها بمثل هذه  
القوة والغم ، ولعلنا لا نبعُد عن الحقيقة إذا قلنا : إن أبناءنا من هذا الجيل بثؤوا يستعيدون تلك البساطة  
والوضوح في فهم آيات الله ، وأحداث الثورة الإسلامية المعاصرة في إيران والعراق ولبنان ... ، وجبهات القتال  
الدامية مع النظام الواعي السّفاح ، شاهدة على هذه الحقيقة (1) .

تكريّم الإنسان بالبيع والشراء :

ومن عجب في هذه الشراء أن الشري ( سبحانه وتعالى ) له ملكُ السموات والأرض ، وله الإنسان وما  
بيده من أموال ، وله أن يتصرّف في كلّ ذلك من غير بيع ولا شراء ، ومن غير سؤال ولا استئذان ، والعبد وما  
في يده لولاه !

ولكنّه ( عزّ وجلّ ) شاء أن يكرّم هذا الإنسان ، ويرفعه إلى موضع التعاقد والمبايعة معه ، وذلك تكريم من  
لَدُن الله تعالى لعباده ، بما يناسب لطفه وكرمه بهم .

وقد كان الحسن إذا قرأ هذه الآية : ( **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** .. ) ، قال : ( **أَنْفُسُ**

هو خَلْقُهَا ، وأموالُها هو رزقُها ) .

فهو سبحانه خلق الإنسان وخلق له ما شاء من الطيبات ، وتلك كرامة ، ثم ملكه ذلك ، وتلك كرامة أخرى ، ثم اشترى منه ما وهبه وما ملكه ، وتلك كرامة ثالثة أن يرفعه إلى موضع التعاقد والمبايعة معه ، ثم جعل ثمن ما يأخذه منه من المتاع الفاني الجنة والخلود في رحمته ورضوانه ، وتلك كرامة رابعة .

( 1 ) كُتِبَ هذا البحث أيام الحرب العاقية الإيرانية .

### الصفحة 105

والعطاء جميل على كل حال ، ولكن أجمل العطاء وأفضله ما يقترن بالتكريم ، وقد قرّن الله تعالى عطاءه لعباده بالتكريم ، وتلك غاية في الكرم والتكريم ، والحمد لله ربنا الذي أكرمنا بكل هذه الكرامات ، وأكرمنا بالإسلام والتقوى .

#### البيعة :

والبيع والشراء من الله يستخرجنا للحديث عن مصطلح إسلامي عريق ، يتصل بهذا المفهوم من قريب ، وذلك هو : ( البيعة ) .

والبيعة مشتقة من مادة البيع ، ولا نعلم ما إذا كان له في الجاهلية أصل قريب أم لا ؟ إلا أن الإسلام اتخذ هذه الكلمة مصطلحاً للالتزام والتعهد الكامل بالطاعة من قبل الأمة للإمام ، فيكون معنى الكلمة الالتزام الكامل بالطاعة .

ونذكروا في المناسبة التي اقتضت تسمية هذا الالتزام بالبيعة : أن العرب كانوا إذا تبايعوا تصاقفوا ، وضرب أحد المتبايعين بكفه على كف الآخر ، وكان ذلك علامة رضاهما بالبيع ، والتزامهما به .

وقد أمضت السنة هذه الطريقة في التعبير عن التعهد ، والالتزام بالطاعة تجاه الإمام ؛ فكان المسلمون إذا بايعوا رسول الله ، استلموا كفه إيداناً بالالتزام بالطاعة ، ويسمى هذا الالتزام بهذه المناسبة بيعة ومبايعة .

ومن غير المستبعد أن تكون المناسبة في هذا المصطلح أن هذا الالتزام من مقولة البيع ، ففي البيع يتخلى

البائع عن المتاع الذي يملكه بشكل كامل في مقابل ما يتلقاه من الثمن ، وإذا أُوجب البيع ، فلا يحق له أن يتراجع عما أمضاه .

وكذلك الأمر في الائتام بالطاعة ( البيعة ) ، فإن المرء إذا دخل البيعة والقرم بالطاعة ، فليس له أن يتراجع أو يتخلى عن عهده والتزامه ؛ فقد أمضى البيع وقبض

### الصفحة 106

الثن ( الجنة ) ، وأعطى الله ماله ونفسه والأنفس الغزيرة عليه ، فلا يحق له أن يتراجع أو يتردد أو يفسخ الائتام .

ورحم الله ذلك الرجل الأنصري الذي قال لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : بيغريب ، لا نقيلا ولا نستقيل .

### البيعة التجرّد الكامل عن الأنفس والأموال :

إن حقيقة البيعة التخلّي الكامل عن الأنفس والأموال ، والائتام الكامل بالتسليم والطاعة في مقابل الثمن الكبير وهو الجنة ؛ فإن حقيقة الطاعة هي ( الولاء ) والتسليم لله ، ولا يتم الولاء لله والتسليم لأمر الله ورسوله والانقياد والطاعة لهما ، إلا عندما يتخلى الإنسان المسلم عن كل شيء يتعلق به ، من الأنفس والأموال ، ويتجرّد من ملكية كل شيء وضعه الله تحت تصرفه وملكه ، ولا يرى لنفسه حقا في شيء منه ، ويرى أن الله ورسوله أولى بهما منه ، وهي عنده وديعة إلى حين يستوجعها الله تعالى منه ، وهذا هو جوهر البيعة .

وعجيب أمر هذه الوديعة الإلهية ، وعجيب كرم الله تعالى وفضله ورحمته بعباده !

فما بأيدينا من الأنفس والأموال لله تعالى ، وليس لنا منه شيء ، أودعها عندنا وهو أولى بها ، وهو خالقها ومالكها ، ثم يشترطها من عبادته بعد ذلك ، ويعدهم بالجنة تمنا لها ، ثم يودعها لدينا إلى حين الدعوة والطلب ، ثم إذا شاء بعد ذلك أن يستوجع وديعته .

قال عز من قائل : ( مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له .. ) ( 1 ) .

سُبْحَانَكَ مَا أَكْرَمَكَ ، وَأَكْرَمَ عَطَايَاكَ ! وما أجملك وأجلّ أسماءك وصفاتك الحسنى !

وما أبخلنا وألأمننا ! فنحن عبادك الذين نضنّ بأنفسنا وأموالنا عنك ! فتولّ اللهم لؤمنا بكرمك ، وشحننا

وَحَمَتِكَ .

( 1 ) البقرة : 245 .

## الصفحة 107

الْبَيْعَةُ مِيثَاقُ ( الدعوة ) والدولة :

والْبَيْعَةُ مِيثَاقٌ ، وهذا الميثاق يُحْمَلُ الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ مَسْئُولِيَّتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ :

الأولى : مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى ، والقيام بأعبائها وتحمل الخسائر المترتبة عليها ، وتوطين النفس لذلك .

الثانية : مسؤولية الدولة الإسلامية ، وبنائها والدفاع عنها .

وهاتان المهمتان شاقتان عسيران ، ولا ينتهي دور الإنسان ومسؤوليته تجاه الإيمان بالله وبرسوله ، ما لم يتعهد أمر الدعوة والدولة معاً .

وهذه المهمة المزوجة هي أساس معاناة وابتلاء ومتاعب الأنبياء ( عليهم السلام ) ، فلن تستقر الدعوة ، ولن تتمكن من العقول والقلوب والحياة من نون التصدي والمواجهة ، ولن تشقّ طويقها إلا على أنقاض الدعوات الجاهلية ، وعلى أجساد الطغاة والجباة الذين يحولون بين الناس والاستجابة لدعوة الله .

وما يُقال في الدعوة يُقال في الدولة بشكل أقوى وأوضح ، فإن ( الدولة ) هي سيادة الدعوة وسلطانها على الأرض ، وكلمتها النافذة ، ولا تستطيع الدولة أن تفوض سلطان الدعوة على الحياة الاجتماعية ، دون أن تواجه صنوفاً من العقبات والتحديات .



وهذه المواجهة في طويق تمكين الدعوة والنولة وتذليل العقبات ، تتطلب البذل والتضحية والصبر ، وتوطين النفس لكل ذلك من قبل الأمة ، حاملة رسالة الدعوة والنولة ، فلا بد من مبايعة قائد المسيرة على البذل والعطاء والتضحية والفداء ، وأن يُجاهوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَأَلَا يَعِيقَهُمُ عن الجهاد في سبيل الله الأزواج والبنون والأموال والتعلقات والمواقع ، وأن يتجرؤوا لله تبرك وتعالى من كل رتباط وتعلق ، عدا الارتباط بالله والتعلق بالدعوة وهمومها وآلامها .

## الصفحة 108

### الْبَيْعَةُ طَاعَةٌ وَتَضْحِيَةٌ :

ولابد في البيعة من أمرين :

1 . الطاعة والالتقياد .

2 . التضحية والعطاء .

قال ابن عمر : ( كنا نبأ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) على السمع والطاعة ) (1) .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ( على العبد المسلم السمع والطاعة فيما

أحبَّ وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ) (2) .

وعن يزيد بن أبي عبيد . مولى سلمه بن الأروع . قال : قلت لسلمه : ( على أي شيء بايعتم رسول الله )

صلى الله عليه وآله ) يوم الحديبية ؟

قال : ( على الموت ) (3) .

فلا تستقيم الدعوة ومسورتها ، ولا تحقق أهدافها من دون هذين الأمرين .

والطاعة والتضحية أمران متلازمان ، وهما يساويان التخلي الكامل عن النفس ورغباتها ومشتياتها لله

تبرك وتعالى ، والجنة هي الثمن الذي يتقاضاه الإنسان المؤمن راء ذلك .

## آية البيعة :

والبيعة بهذا المَحْثَى الوَفِيع ، لن تكون إلاّ مع الله تعالى ، وأما الذين يبائعون

(1) صحيح البخري : كتاب الأحكام / باب البيعة .

وصحيح مسلم : كتاب الإمرة / باب البيعة على السَّمْعِ والطاعة / 6 / 29 ، دار الفكر .

(2) مسند أحمد بن حنبل : 2 / 17 و 142 .

(3) صحيح مسلم : كتاب الإمرة / باب استحباب مُبايعة الإمام / 6 / 27 ، دار الفكر .

### الصفحة 109

النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) ، فإنما يبائعون الله : ( **إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ) (1) .

فلا تكون البيعة . بالمُحْثَى الذي شوحناه . مع طرفٍ آخر غير الله ، ولا يصح أن يتجرّد الإنسان مما آتاه الله تعالى لغير الله .

وكلمة ( **إِنَّمَا** ) في قوله تعالى : ( **إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ...** ) ذات دلالة عميقة ؛ فهي تأتي لحصر البيعة والولاء بالبيعة لله تعالى ، ونفي أية بيعةٍ أخرى غير البيعة لله .

( **... يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ...** ) ، فاليد التي يُصافحونها في البيعة وإن كانت يد النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) ، ولكنها تمثل يد الله ، وعلوها من علو يد الله ، وهذه الجملة تقرّر عدّة حقائق إيمانية وسياسية في وقت واحد .

فلا بدّ في هذه البيعة من يدٍ أعلى فوق أيديهم ، ومن دون هذا العلو لا تتم الوُلاية والبيعة والطاعة .

ولابدّ أن يكون هذا العلوّ علواً حَقِيقِيّاً ، فاستعلاء بعض الناس على بعض ليس من ذلك ، وإنما هو من

الاستكبار الذي يَمَقِّته الله تعالى .

و ( يد الله ) هي العليا في هذه البيعة ( ... يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ... ) ، وهي وحدها الحرية بالبيعة والطاعة والولاء ، أما يد النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، فليست هي المقصود بالذات في هذه البيعة ، وإنما المقصود يد الله ، وتكتسب العلو والولاية من الله .

وهذه الحقائق بمجموعها ، ترمز لنا الأبعاد الكاملة لتوحيد الولاء ، وهو بعد ( توحيد الإيمان بالله ) يُعتبر الأساس والركيزة لبناء المجتمع الإسلامي ، وتنظيم شبكة العلاقات داخل المجتمع .

فالذي يتأمل في نسيج ( العلاقات ) داخل

(1) الفتح : 10 .

## الصفحة 110

المجتمع الإسلامي ، سواء ما يتعلّق منها بالعلاقة بالله ورسوله وأوليائه والقيادة الإسلامية ( العلاقة العمودية ) ، أو العلاقات التي تربط أعضاء المجتمع الإسلامي بعضهم ببعض ( العلاقات الأفقية ) ؛ يجد أن هذه العلاقات تُكوّن جميعاً شبكة واحدة ، ونظاماً واحداً يسمّى بـ ( الولاء ) ، وليست مجموعة من الشبكات والأنظمة .

وأنّ هذه الشبكة الواحدة تنبّع من مصدر واحد ، وهو الارتباط بالله تعالى والولاء له ، ( بمعنى الطاعة والنصرة والحُب ) ، ومن هذا المصدر الولاء .

ولابدّ من هذه البيعة في كلّ جولة للدعوة ، وفي كلّ مرة تتصدى فيها الدعوة ، لإقامة الدولة وتتعوض فيها الدولة لتحديات الجاهلية ؛ وذلك لتعميق العلاقة بالقيادة ، وتعميق الإحساس بالمسؤولية الكبيرة في قيام الدعوة والدولة ، وتوطين النفوس للطاعة والتضحية والتجرّد لله .

رُبْعُ بَيْعَاتٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) :

وقد دعا رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) المسلمين إلى البيعة أربع مرات في حياته المبكرة :

1 . بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ الْأُولَى .

2 . الْبَيْعَةُ الْكُورِي بِالْعُقْبَةِ .

3 . بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ ، أَوْ بَيْعَةُ الشَّجَرَةِ (1) .

4 . بَيْعَةُ الْغَدِيرِ .

والبيعة الأولى كانت تخصّ أمر التعهدّ بالدعوة ، والرّامها وتبنيهاً .

والبيعة

( 1 ) ( رُاجِعَ تَفَاصِيلَ هَذِهِ الْبَيْعَاتِ فِي كِتَابِ : ( مَعَالِمُ الْمُرْسَلَاتِ ) ، لِلْعَلَامَةِ الْمَحَقِّقِ السَّيِّدِ مِرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ

: 1 / 88 . 89 .

## الصفحة 111

الثانية والثالثة والرابعة ، كانت تتعلّق بأمر الدولة وبنائها وحمائتها .

البيعة الأولى :

قال عبادة بن الصامت : ( ... بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) بَيْعَةَ النِّسَاءِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِضَ

الْحَرْبُ ، عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسُوقَ ، وَلَا نَرْتِي ، وَلَا نَقْتُلَ وُلَادِنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بِيَهْتَانٍ نَقْتَرِيهِ بَيْنَ

أَيْدِينَا وَأَوْلِيَانَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ .

فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَخَذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ كَقِرَّةٍ لَهُ ، وَإِنْ سَقَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ ) (1) .

البيعة الثانية :

قال كعب بن مالك : ( خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ب ( العقبة ) ، وأسط أيام التشريق ، وخرجنا بعد مضي ثلث الليل ، متسللين مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان .

فجاء رسول الله ومعه عمّه العباس ، فتكلم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال : **أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأطفالكم** ، فأخذ اللواء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما تمنع به أزرنا ( نساءنا ) .

فبايعنا يا رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً ، وإنا قاطعوها ( يعني اليهود ) ، فهل عسيّت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى

( 1 ) سورة ابن هشام : 2 / 75 ، ط ، مصطفى البابي الحلبي .

## الصفحة 112

قومك وتدعنا ؟

فتبسم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ثم قال : **بل الدمّ الدمّ ، والهدمّ الهدمّ** ، ( أي : ذمّتي ذمّتم وحرمتي حرمتكم ) ( 1 ) .

قال ابن قتيبة : ( كانت العرب تقول عند الحلف والجوار : دمّي دمك وهدمي هدمك ، أي : ما هدمت من الدماء هدمته أنا ) .

البيعة الثالثة :

وهي بيعة الرضوان أو ( بيعة الشجرة ) .

( في سنة سبع من الهجرة استنفر رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أصحابه للعبرة ، فخرج معه ألف

وثلاثمئة أو ألف وستمئة ، ومعه سبعون بُدئة ، وقال : **لستُ أحمل السلاح ، إنّما خرجت مغتورا** .

وأحرم من ذي الحُلَيْقَةِ ، وصاروا حتى دنوا من الحديبية ، على تسعة أميال من مكة ، فبلغ الخبر أهل مكة ، فواعهم واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم ، وقدموا مئة فارس ، عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل ، فاستعدّ لهم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وقال : **إنّ الله أمرني بالبيعة** ، فأقبل الناس يُبايعونه على ألاّ يفروا ، وقيل : **بايعهم على الموت ( 2 )** .

البيعة الرابعة :

وهي بيعة الغدير المعروفة ، ومنها أخذ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) البيعة من المسلمين

( 1 ) سورة ابن هشام : 2 / 84 . 85 .

( 2 ) إمتاع الأسماع ، للمقري : 274 . 291 . وراجع : ابن هشام : 3 / 330 ، ط . مصطفى البابي الحلبي .

وقد نقلنا نصوص البيعة كلّها من كتاب ( معالم المدرستين ) عن المصادر التي أشونا إليها في الهامش .

### الصفحة 113

وقد روي أنّهم يوم ذاك في غدير خمّ مئة وعشرون ألف شخص . لعلي بن أبي طالب ( عليه السلام ) ، من بعده بالإمامة وقيادة الدولة من بعده .

والحادث معروف برويه عدد كبير من أبواب الحديث والسير والتاريخ .

\* \* \*

**( يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) :**

نعود مرة أخرى للحديث عن آية الشهادة في القرآن : ( ... **يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ وَعَدَا**

عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ... ) ، وهذه ثلاث قضايا مُقَوَّنة ببعضها ، لا يمكن تفكيكها وتجزئتها ، ولا يُمكننا أن نفهمها فهماً صحيحاً إلا بهذه الصورة المتصلة ، وضمن هذا الإطار الواحد الذي يرسمه القرآن ( ... يُقَاتِلُونَ ... فَيُقَاتِلُونَ وَيُقَاتَلُونَ ... ) ، وتلك هي القضية الأولى .

وفي سبيل الله ، وليس في سبيل الطاغوت ، وعلى طريق الدعوة إلى الله ، ومن أجل توير أوهية الله على وجه الأرض ، وبلوغ رضوانه ومَرْضَاتِهِ ، وتلك القضية الثانية في هذه الكلية .

وهذا الوعد بالجنة ، وهذه الدعوة إلى القتال وهذه المْبَايعة ، لا تخصّ الذين قاموا مع النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) ؛ لتطهير الأرض من الطاغوت وتوير أوهية الله على وجه الأرض ، وإنما هي سنة قديمة لله تعالى في عبادته ، منذ التوراة والإنجيل ، ومنذ حياة الأنبياء السابقين (عليهم السلام) إلى اليوم .

وشأن هذه الأمة اليوم شأنها في زمن موسى وعيسى (عليهما السلام) ، ومن قبلهما من الأنبياء والمرسلين ، لن تنال رحمة الله ورضوانه إلا بتحكيم أوهية الله وحاكميته على وجه الأرض ، ولن تحقق حاكمية الله على وجه الأرض إلا من خلال هذه المعاناة والقتال والدماء : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا

## الصفحة 114

مِنْ قَبْلِكُمْ مُسْتَهْمِ الْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ ... ) .

مسورة واحدة مُخَضَّبَةٌ بالدم ، منذ عهد موسى وعيسى (عليهما السلام) ، ومن قبلهما من الأنبياء ، إلى أن يتولّى المهدي من آل محمد (عليه السلام) تطهير الأرض من رجس الطغاة وعبثهم وفسادهم ، وإلى أن تقوم القيامة ويُنشر الناس للحساب .

وتلك القضية الثالثة في هذه الكلمة التي يعوضها هذا النصّ العجيب من كتاب الله تعالى .

**حتمية القتال في مسورة الدعوة :**

ومن هذه النقاط الثلاث ، نستطيع أن نُتركِ التّصوّر الإسلامي الكامل لمسألة القتال ضرورة حتمية من ضرورات الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يُمكن تفكيك مسورة الدعوة إلى الله عنها ، وهذه الضرورة والحتمية ليست

قضية جديدة في مسيرة الدعوة ، وإنما هي ضرورة تاريخية وحتمية من الحتميات التاريخية للدعوة إلى الله .

فإن الدعوة إلى الله لا يمكن أن تشق طريقها على وجه الأرض إلى قلوب الناس وعقولهم ، ولا يمكن أن تتحرك الدعوة إلى الله لتحرير عقول الناس وقلوبهم من ( الإصر ) و ( الأغلال ) ، دون أن تواجه سخط الجاهلية وتحدياتها وغضبها ؛ ذلك أن الدعوة لا تتحرك في خلاء سياسي واقتصادي واجتماعي ، وإنما تتحرك في المساحة التي تحتلها الجاهلية من قبل ، أو تريد احتلالها ، وتتحرك على حساب نفوذ وسلطان وطموحات الجاهلية في هذه المساحات ، ولا يمكن أن تواجه الجاهلية تقدم الدعوة ومسرتها بالسكوت والاستسلام ، وتفسح الطريق لها .

إن الذين يتصورون أن الدعوة تتحرك في منطقة فاع سياسية واجتماعية

( 1 ) البقرة : 214 .

## الصفحة 115

واقتصادية ، بعيدون عن الواقع ، وعلى درجة عالية من السذاجة والبساطة في فهم الأمور .

والأمر الواقع أن الإنسان الذي تحرره الدعوة من الإصر والأغلال ، يخسره الطاغوت ، ولن يعود أداة طيعة له ، وموضوعاً لأستئمه .

وعليه ، فلا يمكن أن تتقدم الدعوة على وجه الأرض من دون أن تواجه تحدياً قوياً من الجاهلية ، ومواجهة حادة من الطاغوت ، ومعرضة بكل الوسائل الممكنة من قبل أقطاب الجاهلية وأئمة الكفر .

وللجاهلية محاور وولاءات كثيرة ، لكنها جميعاً تجتمع عند هذه النقطة في مواجهة محور الولاء لله ، وتتناسى كل ما لديها من خلافات قديمة وحديثة ؛ لمواجهة العدو المبتوك الذي يصادر وجودها جميعاً .

إن الجاهلية فيما بينها وولاءات متعددة ومتقاطعة أحياناً ، ولكنها في مواجهة الإسلام كتلة واحدة وبراءة واحدة ، وهذه الحقيقة تجعل من الجاهلية مواجهة صلبة عنيفة لمسيرة الدعوة .



## المواجهة المصيرية بين الإسلام والجاهلية :

هذا هو التصور الواقعي لمسورة الدعوة والمواجهة الجاهلية لها .

ولا تنتهي هذه المواجهة والتحدّي الجاهلي إلاّ عند التصفية الكاملة لحركة الدعوة ، والمصاوة الكاملة لإرادة الإنسان ، والسيطرة الكاملة على كلّ مساحات الدعوة ، والإنهاء الكامل لكلّ مراكز ومواقع الدعوة إلى الله ، وكلّ مراكز ومواقع الاستجابة لدعوة الله تعالى .

وإلى هذه الحقيقة . في تركيب وبنية الجاهلية . يشير القرآن الكريم : ( ... **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ...** ) (1) .

لا تتوقف الجاهلية إلاّ عند تصفية هذه

(1) الحجّ : 40 .

### الصفحة 116

المراكز جميعاً ( البيع ، والصلوات ، والمساجد ) ، وكلّ موقع ومركز يذكر فيه اسم الله ويدعى فيه إلى الله تعالى .

ولا سبيل إلى إيقاف الجاهلية وصدّها عن العوان وعن الفتنة في طريق الدعوة إلاّ بالقتال والجهاد ، واستئصال الكفر والجاهلية ( **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ ...** ) (1) .

فالقتال إذن ، ضرورة من ضرورات الدعوة ، ولا يمكن أن تنطلق مسورة الدعوة على وجه الأرض من دون قتال ودم ، ولا يمكن أن تُؤدّي الدعوة رسالتها على وجه الأرض ، دون أن تعدّ الإعداد الكامل لهذه الحرب المصيرية والحضرية ، ودون أن توطّن نفسها لهذه المواجهة العنيفة ، التي لا تحم صغرا ولا كبيرا .

والتفكير في المصالحة والهدنة والتفاهم مع الجاهلية تفكير ساذج وغير واقعي ، وغير مبدئي في نفس الوقت

، فليس لنا مع الجاهليّة والطاغوت غير خيار واحد ، وقرار واحد ، وهو الاستتوار في القتال . ضمن مراحل العمل والحركة . حتّى يتمّ القضاء الكامل على الجاهلية ، وبها يتمّ القضاء الكامل على الفتنة على وجه الأرض .  
( وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ ... ) .

### العلاقة العضويّة بين أطراف الجاهليّة :

إنّ الجاهلية المعاصرة كالجاهلية قبي أي وقت آخر ، ذات ولاءات ومحاور مختلفة ، لكنها قبالة الإسلام تجمعها علاقة عضويّة واحدة ، وهذه الحقيقة التريخيّة هي التي تفسّر لنا كيف اجتمعت أمريكا وروسيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وغورها من الدول الكبرى على دعم النظام العواقي في ضرب الثورة الإسلاميّة ، والكيد للدولة الإسلاميّة .

( 1 ) البقرة : 193 .

### الصفحة 117

إنّ هذه المسائل السياسيّة تكشف عن طبيعة الجاهلية ولرباطها العضوي ، ووحدة الموقف السياسي عندها في البراءة ، وإن كانت هي في داخلها ذات محاور وولاءات متعدّدة ومتخالفّة .

### شواصة الجاهليّة في صواعها مع الإسلام :

إنّ الفتك والبطش والشواصة من خصائص الجاهلية في صواعها مع الإسلام ، وتحاول الكيانات الجاهلية في صواعها السياسي والعسكري مع الإسلام أن تتفكّق بقناع الإنسانيّة والأخلاق ، فإذا طال الصواع واستنفذت الجاهليّة وسائلها الممكنة ، ووجدت نفسها في خطر حقيقي ، ألقت هذا القناع جانبا ، وظهّرت بكل بشاعتها للساحة وللأري العام .

ويطول هذا الصواع ولا يُمكن الوصول فيه إلى تفاهم أو مصالحة ، ولا أمد للحرب غير سقوط الجاهلية ونهايتها ، وإخلاء الساحة الإنسانيّة لحركة الدعوة إلى الله ؛ فالصواع هنا ليس صواعاً على أرض وماء أو حقل

من حقول النفط ، وإثما الصواع هنا ( صواع حضري ) بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من دلالة وعمق .

وبكلمة موجزة جداً : إنَّ الصواع هنا صواع الولاءات وليس صواع المصالح ، حتى يمكن فيه التفاهم والصلح واللقاء .

**الإيمان بالله يسوي التخلي عن الأنفس والأموال :**

ولابدَّ أن نقف وقفة أخرى عند كلمة : ( **إِنَّ اللَّهَ اشْتَوَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ..** ) ، فإنَّ الآية

الكريمة تُقرِّر قضية هذا البيع والشراء بصيغة الماضي وليس بصيغة المضارع ، ( **إِنَّ اللَّهَ اشْتَوَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ... ) ، من كلِّ المؤمنين دون تخصيص .

إنَّها آية عجيبة حقاً ، تهز الإنسان من الأعماق وتشعرُ الإنسان بعمق معنى

## الصفحة 118

الإيمان ، وبثقل الإيمان الكبير .

فكلَّ إيمان ببيعة مع الله ، وكلَّ مَنْ آمن فقد باع نفسه لله ، وتخلي عن نفسه وماله له تعالى من دون تردد .

إنَّ القضية أعمق من الاستعداد للتخلي ، انه هو التخلي الفعلي عن النفس والمال لله ، وهذا هو معنى ( البيع

( و ( الشراء ) ، وليس الاستعداد للتزل عن الأنفس والأموال ، وإثما التخلي الفعلي عن كل شيء يملكه لله

تعالى ، من دون تردّد ولا تراجع ولا نظرة إلى الوراء ، فقد تمَّ البيع وتمَّت الصفقة وحسُم الأمر ، فلا إقالة ولا

رجعة .

وهكذا كان يفهم المسلمون الأوائل هذه الآية الكريمة ، عندما كثروا لما تبارسول الله ( صلى الله عليه وآله

( هذه الآية عليهم ، وقال قائلهم : ( **بَيْعُ رَبِّحٍ لَا نَقِيلُ وَلَا نَسْتَقْبِلُ** ) .

**وثيقة البيع :**

وأما الوفاء بالثمن ووثيقة البيع ، فإنَّ الشري هو الله تعالى ، وهو المتعهد بالثمن ، ومن أوفى بعهده من الله

وإنَّ المؤمن ليتصورَ هذا الثمن الكبير الباقي لهذه البضاعة النافذة ، ثم يعلم أن الله تعالى هو الذي يتولى الوفاء بهذا العهد ، فتمتلئ نفسه غبطة وراحة ويقينا ، ويطمئن قلبه بعهد الله تعالى وميثاقه .

ومن عجيب أمر هذا البيع والشراء وثيقة هذا البيع ، فإنَّ وثائق البوع تختلف باختلاف أهمية رجة البيع وقيمته ، وإذا كان المشوي في هذا البيع هو الله تعالى ، والبضاعة هي الأنفس والأموال ، والثن الجنة ، فلا بد أن تكون وثيقة هذا البيع على قدر قيمته .

وأعزَّ الوثائق كتُّبُ الله تعالى ، وأواح الوحي المرسلَة إلى أنبيائه ، ووثيقة هذا البيع من هذا النوع : ( التوراة والإنجيل والقوان ) ، وناهيك بها عن وثائق تبعث الطمأنينة والثقة في أضعف النفوس .

ولأمر ما ، يأتي في هذه الآية الكريمة تأكيد المؤثَّق في هذا البيع ، ويأتي ذكر المواثيق التي سجل الله تعالى فيها عهده لعباده بالجنة ، ويأتي قوله تعالى :

## الصفحة 119

( ... وَمَنْ أَوْفَى بَعْهْدِهِ مِنْ إِيهِ ... ) (1) .

فإنَّ القلوب كلما كانت تطمئن أكثر لوعده الله ، قدمت على هذه المبايعة مع الله بثقة ويقين أكبر ، والضعف في الاطمئنان لا يُنافي الإيمان ، فقد يكون الإنسان مؤمناً ، ولكن لم يبلغ في تعامله مع الله تعالى رجة عالية من اليقين والاطمئنان ، ومثل هذا الإيمان ، يشوبه الكثير من الضعف والتخلف عند المبايعة والاستجابة لدعوة الله تعالى .

وأما عندما ترتفع رجة ثقة الإنسان بوعده الله تعالى إلى مستوى ( الطمأنينة ) و ( اليقين ) ، فإنَّ الأمر يختلف بالنسبة إليه اختلافاً كبيراً ، وتكاد تكون ( الجنة ) ثمناً مقبوضاً ، والبيع نقداً ، وليس الثمن موعوداً .

إنَّ الذين رزقهم الله الطمأنينة واليقين ، يرون وعده الله حاضراً ، ويرون الجنة ماثلة أمام أعينهم ، فلا يشكون ولا يتودّدون ولا يُحجمون ، ولا يسألونهم شك ولا ريب ، ويقدمون على المبايعة مع الله من دون خوف أو

تراجع ، أو نظر إلى الوراء ، ويُقدِّمون أنفسهم وأموالهم لله ببساطة وولتياح ، ومن غير معاناة .

روى مسلم ، أن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قال لأصحابه يوم بدر : ( قوموا إلى جنة عرضها

السموات والأرض .

قال عُمر بن حَمام الأنصري : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض !؟

قال : نعم .

قال : بَخٍ بَخٍ .

فقال رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ .

قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها .

(1) التوبة : 111 .

## الصفحة 120

قال : فإنك من أهلها .

فأخرج تعرات من قربه ، فجعل يأكل منهن .

ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تعراتي هذه ، إنها لحياة طويلة .

قال : فومى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل . (1)

وروى مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، قال : ( سمعت أبي ، وهو بحضرة العدو ، يقول

: قال رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف ، فقام رجل رث الهيئة ، فقال :

يا أبا موسى ، أنت سمعت رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) يقول هذا ؟ قال : نعم ، قال : فرجع إلى أصحابه

، فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسرَ جفنَ سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قتل (2)

بمثل هذه البساطة والثقة والطمأنينة ، كانوا يتعاملون مع الله تعالى .

وقد هزلَ بُرَيْرُ عبد الرحمان الأنصري ، ليلة عاشوراء ، فقال له عبد الرحمان الأنصري : ما هذه ساعة

باطل .

فقال بُرَيْرُ : لقد علم قومي ، ما أحببتُ الباطل كهلاولاً شاباً ، ولكنني مستبشرٌ بما نحن لاقون ، والله ما بيننا

وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسياهم ، ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة (3) .

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك ، فقال له يزيد بن الحسين : ما هذه ساعة ضحكٍ يا حبيب !

قال حبيب : وأيّ موضع أحقّ بالسُرور من هذا؟! ما هو إلا أن يميل علينا

(1) الجامع الصحيح لمسلم : 6 / 44 / كتاب الإمرة / باب ثبوت الجنة للشهيد ، دار الفكر . بيروت .

(2) الجامع الصحيح لمسلم : 6 / 45 / كتاب الإمرة / باب ثبوت الجنة للشهيد .

(3) تزيخ الطوي : 6 / 241 .



## الصفحة 121

هؤلاء بأسيا فهم فُعانق الحور (1) .

روي عن جابر ، أن رجلاً قال . في ساحة المعركة . : ( أين أنا يا رسول الله إن قتلت ؟

قال : **في الجنة** . فألقى تعوات كن في يده ، ثم قاتل حتى قتل (2) .

والثمن هو الجنة :

ثم إن الجنة هي الثمن في هذه المبايع ( ... بأن لهم الجنة ) ، ويستتبع الوعد بالجنة البشوى السورة التي يزفها القآن إلى المجاهدين : ( ... فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ) ، الجنة والبشوى والفوز العظيم .

وتنتهي الآية الكريمة مرة أخرى بالبشوة ( ... وبشر المؤمنين ) .

إن جو الآية يطفح بالبشوى والسرور والفوز ، وهكذا يشعر الإنسان عندما يوقاً هذه الآية المباركة أنه ينتقل فيها من الجنة إلى البشوى ، ومن البشوى إلى الفوز العظيم ، ومن الفوز العظيم إلى البشوى ثانية .

الفوز العظيم :

وأود أن أقف قليلاً عند هذه الكلمة ( ... الفوز العظيم ) ، فهو مصطلح محدد في كتاب الله ، والذي يتتبع مواضع استعمال هذه الكلمة في القآن ، يجد أنها تستعمل في مورد متقلبة مفهوماً ومترابطة أو متحدةً مصداقاً ، فالجنة من الفوز العظيم ( لکن الرسول والذين آمنوا معه جَاهتُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتِ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(1) مقتل المُقرَّم : 238 .

(2) صحيح مسلم : 6 / 43 .

## الصفحة 122

ذَلِكَ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ ( 1 ) ، والمبايعة مع الله من الفوز العظيم : ( فَاسْتَبَشَرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) ( 2 ) .

وطاعة الله وطاعة رسوله ( ولاية الله ) من الفوز العظيم : ( ... وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ) ( 3 ) .

ورضوان الله وتبادل الرضا بين العبد وربّه من الفوز العظيم : ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) ( 4 ) .

ويُطَلَقُ عَلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ مَعًا : ( وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) ( 5 ) .

ويُطَلَقُ عَلَى الْمَغْفُورَةِ وَالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْوَقَايَةِ مِنَ السَّيِّئَاتِ ( وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) ( 6 ) .

وإجمال هذه المعاني : الرحمة ، والمَغْفُورَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، ورضوان الله وطاعة الله ورسوله ( ولاية الله والجنة ) .  
وهذه النقاط كما هي واضحة ، تُعْتَبَرُ بِمَجْمُوعِهَا المحور الثاني الذي تحدثنا عنه في هذه التأملات في مسورة الإنسان إلى الله ، والذي يُقَابِلُ محور ( الأنا ) و ( الذات ) .

( 1 ) التوبة : 88 . 89 .

( 2 ) التوبة : 111 .

( 3 ) الأخاب : 71 .

( 4 ) المائدة : 119 .



(5) التوبة : 72 .

(6) المؤمن : 9 .

### الصفحة 123

وعليه ، فإنّ الثمن في هذه الآية الكريمة من جنس المبيع وهو ( الفوز العظيم ) ، وليس من فرع آخر كما في سائر البوع ، حيث يختلف المبيع عن الثمن ، وهذه من لطائف ورقاق القرآن في هذه الآية الكريمة .

فالفوز العظيم . في الحقيقة . هو : التجرد من محور الأنا والارتباط بمحور ولاية الله ، والخروج من دائرة نفوذ سلطان الأنا والدخول في دائرة ولاية الله وطاعته ورحمته ومغفوته .

وهذا هو الفوز العظيم . في رحلة الإنسان الكوي إلى الله . في الدنيا وفي الآخرة ، وهو يشمل الإنسان في الآخرة كما يناله في الدنيا على نحو سواء .

والمُتأمل في هذه الآية الآية المباركة : ( الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) (1) ، يجد أنّ الفوز العظيم هو تحرر الإنسان وانطلاقه من

أسر ( الأنا ) والشهوات ولتباطه بالله تعالى ، وهو لا يخص الآخرة ، وإنما يشمل الإنسان في الدنيا والآخرة .

فإنّ الجنة هي الفوز العظيم ، وهي مآل الفائزين ورحمة الله ، والموتل الذي أعدّه الله تعالى لهم في الآخرة ،

فالفوز العظيم إذن هو : مبايعة الله تعالى وتسليم الأنفس والأموال له ، وهو في نفس الوقت ثمن هذا البيع (2) .

صفة الذين باعوا أنفسهم لله :

ثم تصف الآية الكريمة هؤلاء الذين باعوا أنفسهم لله بأنهم : ( التائبون )

(1) يونس : 63 . 64 .

(2) ( لست أريد أن أقول إنّ الجنة هي مبايعة الله تعالى وتسليم الأنفس والأموال لله ، وإنما أريد أن أقول : إن

المبايعة لله هي الفوز العظيم ، فيتحد البيع والثنان ، والجنة هي الدار التي أعدها الله تعالى في الآخرة للفائزين

الصالحين من عباده .

## الصفحة 124

الْعَابِدُونَ الْحَامِتُونَ السَّائِحُونَ الرَّاعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ  
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (I) .

تائبون عائدون إلى الله ، أقلعوا عن الذنوب وفرّوا إلى الله تعالى .

عابدون حامدون ، شوقاً إلى الله تعالى وأنساً بذكره وعبادته ؛ لأنهم وجدوا الله أهلاً للعبادة فعبدوه ، وأهلاً

للحمد والثناء فحموه .

وسائحون ، وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الكلمة ، فقالوا : إنها بمعنى الصيام ، وقيل : إنها بمعنى

الجهاد ، وقيل : إنها بمعنى التأمل والسياسة الفكرية في آيات الله ، وهو المعنى الذي رجحناه هنا .

الرّاعون الساجدون لله ، والركوع والسجود أقصى درجات الخضوع والتذلل بين يدي الله ، يجسدان حالة

الخشوع والخضوع والإخبات والإنابة عند المؤمنين : ( ... الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ) ؛ (

وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ... ) .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو : الرقابة على تنفيذ أحكام الله ومراقبتها .

وحفظ حدود الله هو : تنفيذها ، والعمل بها .

فهؤلاء المجاهدون إذن ، منقذون لأحكام الله ، عاملون بحدود الله ، وفي نفس الوقت راقبون تنفيذها ،

يُنْفِثُونَ أحكام الله بأنفسهم وراقبون تنفيذها في حياة الآخرين ، فهم يشعرون بالمسؤولية تجاه حدود الله وأحكامه ،

في حياتهم وفي حياة الآخرين .

## الصفحة 125

آية ( آل عمران ) :

وفي سورة ( آل عمران ) ، نلتقي هذه اللوحة القوانية الرائعة عن الشهيد ، والتي تستوقف الإنسان طويلاً ، وتُخرجه من دائرة تصوراته البشرية المحدودة عن الموت والحياة ، إلى أفقٍ واسعٍ جديدٍ لم تعهده تصوراتنا المحدودة عن الموت والحياة ، وتُعطي للحياة معنىً جديداً لا تعرفه التصورات الجاهلية للإنسان .

وها نحن نتلو معاً هذه الآيات المبركات من سورة آل عمران : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون \* فَرِحِينَ بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* يستبشرون بنعمة من الله وفضلٍ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين \* الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم \* الذين قال لهم الناس إن الناس قد جموا لكم فاخشوهم فادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبتا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم \* إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) (1) .

(1) آل عمران : 169 . 175 .

## الصفحة 126

الحياة الطيبة :

الحقيقة الأولى في هذه اللوحة القوانية :

إن الذين قتلوا في سبيل الله أحياء وليسوا بأموات ، والنهي عن تصور أن الشهداء أموات : (وَلَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا... (١) .

إنَّ المسألة ليست من المجاز في التعبير ، وإنما هي حقيقة داخلية في حيزِ النفي والإثبات . النهي عن حسابِ الشهداء أَمْوَاتًا ، وإثبات أنهم أحياء . ، وهذا تصورٌ جديد على الذهنية المادية تمامًا .

ليست الحياة هي فقط هذه الفوصة ، وهذه الرقعة الضيقة التي يعيشها الإنسان في هذه الدنيا .

وليست الحركة الحيوانية التي يملسها الإنسان في هذه الدنيا من أكل وشرب ، وتسابق على متاع الحياة الدنيا وزخرفها ، ونشاط وحركة في حقلِ الغوايز الحيوانية ، هي المؤشر والمقياس الوحيد للحياة ، فهذه رقعة صغيرة للحياة ، محدودة الأمد قصيرة المدى ، حافلة باللَّهو واللعب .

إنَّ ما بأيدي الناس هنا سواب بقيعة يحسبه الظمان ماءً ، وليس من الحياة في شيء ، أما التبع الصافي واللال للحياة ، فشيء آخر يختلف تمامًا عما يعرفه الناس ، والله تعالى ورسوله يدعونا إلى الحياة الطيبة الحقيقية : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ : (1) ) .

وهذا الذي يدعونا إليه الله تعالى ورسوله من الحياة شيء آخر ، غير ما يتنافس عليه الناس من اللهو واللعب ، والتفاخر والزينة ، وما يشوبه من البعد عن الله

(1) الأنفال : 24 .

## الصفحة 127

والبغضاء ، والمعاصي والذنوب ، والاستغراق في متاع الحياة الدنيا والتعلق بها ، وحياة الذل والهوان والعبودية لغير الله ، والاستسلام للأهواء والشهوات .

إنَّ الحياة في التصور الإسلامي انطلاق من القيود والأغلال ، وتحرر من أسرِ الهوى والشهوات ، وخروج من ذلِّ الانقياد والاستسلام للطغاة إلى عزِّ العبودية لله تعالى .

والحياة . في هذا التصور الجديد على البشرية . تحرر من كل تعلق بالدنيا ، لا بمعنى ترك الدنيا ولذاتها ، فإنّ الإنسان المؤمن يأخذ نصيبه مما خلق الله من الطيبات ، كالأخرين أو أفضل من الآخرين ، إلا أنه لا يقع في قبضة التعلق بالدنيا ولا تتحكم فيه ، ولا يكون مصداقا لقوله ( عليه السلام ) : **( حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ )** . (1)

إنّ ما بأيدي الناس من الحياة ليس من الحياة في شيء ، وإنّما هي أقرب إلى حياة البهائم منها إلى حياة الإنسان ، أمّا الحياة الحقيقية ، فهي التي اختلها الله للصالحين من عباده في الدنيا والآخرة ، وهي ( الحيوان ) في الآخرة : **( ... وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) (2)** ، وَالْحَيَوَانُ : مبالغة في الحياة ، إنّها الحياة الحافلة بلقاء الله والإيمان ، والحب والشهود والصدق والطيبات ، وفي أفق واسع عريض ، وعلى مدى الخلود والأبدية ، حياة الروح والجسم والعقل معا .

والشهاد في حركته الصاعدة إلى الله ، ينتقل من هذه الوقعة الضيقة من الحياة الفانية والمؤقتة إلى ذلك الأفق الوحيد من الحياة ، ومن هذه المشوبة بالأكدار والابتلاءات إلى النبع الصافي للآل من الحياة ، وليس إلى الموت والركود والغياب كما يتصوره الناس .

(1) بحار الأنوار : 51 / 258 .

(2) العنكبوت : 64 .

## الصفحة 128

أعلى رجات القرب من الله :

( عِنْدَ رَبِّهِمْ ) ، وهذه القوة تدخل لتكمل صورة هذه الحياة الحقيقية التي ينتقل إليها في مسيرته إلى الله تعالى .

إنّها غاية حركة الشهيد إلى الله ، وهذه الغاية هي كلّ قيمة الحياة ؛ وتكتسب الحياة قيمتها الحقيقية عندما

تقترن بالقرب من الله ، وتوصل الإنسان إليه وتجعله بجواره ، أما عندما تنقطع الحياة من التحرك إلى الله ، ومن قربه ومن التوجه إليه ، فهي سواب وضياح له في متاهات الدنيا ، واستواق في متاعها وحطامها .

إن غاية الإنسان في مسيرته وحركته الكادحة الكورى في الدنيا هي : ( القُوب من الله ولقاء الله ) ، وهي الغاية التي يسعى إليها الشهيد ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَّاقِيَةٌ (١) .

وما يُحقّق الإنسان في الدنيا من هذه الغاية هو قيمته ودرجته ، والقرب من الله هو القياس الذي يقيس به الإسلام أقدار الناس ومرتبتهم ، والناس في القُوب والبعد من الله درجات ومرتاتب ، حتى يكون الإنسان ( عند الله ) ، فلا تكون ثمّة درجة أقرب إلى الله منه إلى الله .

ولا نجد في اللغة تعبيراً أقوى وأبلغ في ( القُوب ) من كلمة ( عند ) ، وكأن الفواصل تنعدم في هذه الدرجة من القُوب . وحاشا ربنا من ملبسة خلقه وعباده ، وتبلك وتعالى من أن يرتفع عباده إلى مستوى كبريائه وعزه وجلاله ، ولكنه تعبير بليغ عن أقرب درجات القُوب إلى الله.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( فوق كلِّ برِّ برِّ ، حتى يقتل الرجل في سبيل الله ، فإذا قُتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ ، فليس فوقه برِّ ) (2) .

وروي عنه ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( فوق كلِّ ذي برِّ برِّ )

(1) الانشقاق : 6 .

(2) بحار الأنوار : 100 / 10 .

## الصفحة 129

حتى يقتل الرجل في سبيل الله ، فليس فوقه برِّ (1) .

إن كلمة ( عند ربهم ) لتستوقف الإنسان طويلاً ! أبلغ الأمر بالعبد الوضيع أن يكون ( عند ربه ) ، هكذا

من نون فواصل ومراحل ، وبمثل هذه الوجة من القُوب ( عندربة ) ، وتعالى الله عن ملابسة مخلوقاته علواً كبيراً ؟!

وقد ورد مثل هذا التعبير في القوب من الله في سورة القمر ، بالنسبة إلى المتقين : ( **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ** ) (2) .

وفي المناجاة الشعبانية : ( ... إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك ، وأندأبصار قلوبنا بضياء نظوها إليك ، حتى تحرق أبصار القلوب حجبُ النور ، فتصل إلى معدن العظمة ... ) (3) .

وحالة ( كمال الانقطاع إلى الله تعالى ) ، هي التي توصل الإنسان إلى معدن العظمة ، وتحرق له حجبُ الظلمة والنور إلى الله تعالى .

وفي المناجاة : ( **إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك ، وسيرتاً في أقرب الطرق لوفود عليك** ) (4) .

وليس من أحدٍ تنطبق عليه هذه الفقات أكثر من الشهيد ، فهو يسلك إلى الله تعالى أقرب الطرق ، وليس من طويقٍ أقرب إلى الله من الشهادة ، ثم يفد على الله تعالى .

يقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : ( **إنَّ الله عباداً في الأرض كأنماراً وأهل الجنة في جنتهم ، وأهل النار في نرهم ، يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم ، قد حلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ، ولذيد الخلوة به . قد أقسم الله على نفسه بجلاله وعزته ، ليورثنهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده** ) (5) .

هؤلاء هم الذين يُورثهم

(1) بحار الأنوار : 61 / 74 .

(2) القمر : 54 . 55 .

(3) مفاتيح الجنان : 158 / مناجاة الأئمة ( عليهم السلام ) في شعبان .

(4) بحار الأنوار : 147 / 94 .

### الصفحة 130

الله المقام الأعلى ، ويرزقهم الله جوره في الجنة ، ويسكنهم في مقعد صدق عنده ، وهم الذين يفدون على الله .

( يُرْزَقُونَ ) :

وهذه الكلمة تُشخّص نوع الحياة ، إنها حياة حقيقية معنوية خالصة ، بل هي الحياة بكل أبعادها المادية والمعنوية ، وهذه الجملة لا تبقى لأحد مجالاً للشك في تشخيص هذه الحياة بعد حياة الدنيا .

ومن العجب أن بعض المفسرين يتودون في تفسير هذه الآية بالحياة الحقيقية ! والآية الكريمة ترمز الحياة بصورة واضحة ؛ فالشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون في حياتهم الجديدة ، ويفوحون بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين من خلفهم .

وهل بعد كل هذه النقاط غموض في معنى الحياة التي تلي هذه الحياة ، والتي تسبق الحياة الآخرة ؟!

إنّ هذه الثانية ليست هي الحياة الآخرة ، فالحياة الآخرة ليست موضع إنكار أحد من المؤمنين ، والآية حيث تنهى عن حساب الشهداء من الأموات ، فإنّها تكاد تكون صريحة في أنّ المقصود من هذه الحياة ( حياة أخرى ) غير حياة الآخرة ، فإنّ أحداً من المؤمنين لا يشك في حياة الآخرة للشهيد ولغير الشهيد ، فلا بد أن يكون المقصود حياة أخرى .

وبين حياة الدنيا وحياة الآخرة . وهي التي يجهلها الكثير من المؤمنين . ينتقل إليها الشهيد من الحياة الدنيا مباشرة ، ويعيش فيها بجوار ربّه تبارك وتعالى ، والناس ينظرون إلى الشهيد جثّة هامدة ، فيتصورون أنه ميت ، وليس هو بميت ، وإنما ينعم في جوار ربّه بما أعد الله للصالحين من عباده من فضل ورحمة في الجنة ، حتى ينتقل في الآخرة إلى حيث يختار الله تعالى له من مراتب رحمته وفضله ، في جنّة عوّضها السموات والأرض .

وفي أحاديث رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وأهل بيته شواهد كثيرة على هذه الحياة



## الصفحة 131

البرزخية التي يحيها الشهداء والصالحون من عباد الله في الجنة ، وينعمون فيها بوحمة الله ، قبل الحشر والحياة الآخرة .

ففي الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصلي ، عن رسول الله ، فيما جرى للمسلمين في حرب مؤتة . بعد استشهاد زيد بن حرثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحه الأنصلي (رحمهم الله) ، الذين عيّنهم النبي (صلى الله عليه وآله) قادة للجيش على التوالي ، إن استشهد منهم أحد ، تولى الآخر محله . ، يقول جابر (رحمه الله) :

( فلما كان اليوم الذي وقع فيه حربهم ، صلى النبي (صلى الله عليه وآله) بنا الفجر ، ثم صعد المنبر ، فقال : قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة . فأقبل يحدثنا بكواتب بعضهم على بعض . ، إلى أن قال :

قتل زيد بن حرثة وسقطت الراية ، ثم قال : وقد أخذ الراية بيده الأخرى ، ثم قال : قطعت يده الأخرى ، وقد أخذ الراية في صوره ، ثم قال : قتل جعفر بن أبي طالب وسقطت الراية ، ثم أخذها عبد الله بن رواحه ، وقد قتل من المشركين كذا ، وقتل من المسلمين كذا : فلان وفلان ، إلى أن ذكر جميع من قتل من المسلمين بأسمائهم ، ثم قال : قتل عبد الله بن رواحه ، وأخذ الراية خالد بن الوليد ، فانصرف المسلمون .

ثم نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر ، فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره وجعل يمسح على رأسه ، فقالت والدته . أسماء بنت عميس . : يا رسول الله ، إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم ، قال : قد استشهد جعفر في هذا اليوم ، ودمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقال : قطعت يداه قبل أن يستشهد ، وقد أبدله الله بجناحين من زمرود أخضر ، فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء ) (1) .

(1) بحار الأنوار : 21 / 54 ، نقلاً عن الخواصج : 188 .

## الصفحة 132

( فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... )

(1) :

إنّ فوح الشهيد بما يؤتية الله من فضله ورحمته الواسعة لا حد له .

إنّهُ يستقبل الرحمة الإلهية الواسعة ، ويرى ما أعدّ تعالى من فضل ورحمة قبل أن تفرق الروح جسده ، وقبل أن يلفظ آخر أنفاسه .

روى زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين ( عليهما السلام ) ، عن آبائه ، قال : ( قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : للشهيد سبع خصال من الله :

أول قطرة من دمه : مغفور له كل ذنب .

والثانية : يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين ، وتمسحان الغبار عن وجهه ، وتقولان : مرحبا بك ، ويقول : هو مثل ذلك لهما .

والثالثة : يُكسى من كسوة الجنة .

والرابعة : يبتوره خزنة الجنة بكل ريح طيبة ، أيهم يأخذه معه .

والخامسة : أن يرى منزله .

والسادسة : يُقال لروحه اسوح في الجنة حيث شئت :

والسابعة : أن ينظر في وجه الله ، وإنها لراحة لكل نبي وشهيد (2) .

( وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ) (3) :

إنّ الشهداء لم يموتوا ، ولم ينل الموت منهم وعياً وتركاً ؛ إنهم يرون إخوانهم

(1) آل عمران : 170 .

(2) تهذيب الأحكام : 6 / 122 .

(3) آل عمران : 170 .

### الصفحة 133

المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم بعد ، ويتأبعون حركتهم ومسيرتهم ، ويدعون الله تعالى لهم ، ويستبشرون بوفود إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم بعد عليهم .

وإنّ لكل لقاء جديد فوحة جديدة وبشوى جديدة ، وفي كل يوم لهم بشوى جديدة ، بقاء أخ جديد في الله ، يفد على الله من بين لظى المعركة ، ويقبل عليهم فيستقبلونه بالابتهاج والسرور .

إنهم حاضرون و ( شهداء ) المعركة ، لم يغيبوا عنها بالموت ، ولم يكن الموت بالنسبة إليهم غياباً ، إنهم عند ربهم يشهدون المعركة ويتابعون أحداثها ، ويدعون للمقاتلين ويستبشرون بالقادمين منهم إليهم .

وحاشا أن يكون أولئك أمواتاً ، بل هم من شهداء المعركة وحضرها .

إنما الأموات هم أولئك الغائبون عن مسيرة التريخ وحياة الناس ، وصواع الحق والباطل ، وجهاد المؤمنين ، وهم أولئك الذين يؤثرون الحياة الدنيا وعافيتها ، ويخلدون إلى الراحة ويعتولون تيار العمل والحركة والجهاد ، ويعيشون على هامش الحياة والتريخ ، يتوججون على الصواع من بعيد ، أولئك هم الأموات ، بالرغم من أنهم يستنشقون الهواء ويتحركون .

أولئك أحياء الأموات الذين لا يعرفون للحياة معنى غير هذه الحياة التي تعيشها البهائم ، ولا يعرفون في الحياة لذة ومتاعاً إلا ما يعرفه الحيوان من اللذة والمتاع ، ولا تتجاوز اهتماماتهم وطموحاتهم شهوات الحيوانات واهتماماتها ، أولئك هم الغائبون الأموات .

أما الشهداء ، فلا يعيرون عن هذه الساحة لحظة واحدة ، ويشهدون عن كئيب من عند ربهم كل تطورات المسيرة وحركتها ، وتقدمها وانتصاراتها وانتكاساتها ، وآلامها وآمالها وتطلعاتها وطموحاتها ومعاناتها ، ولكن بنفس يختلف عن أنفاسنا ، ورؤية تختلف عن رؤاها ، وتصور يختلف عن تصوراتنا المحدودة .

## لا خوف ولا حزن :

وذلك قوله تعالى : ( ... وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) (1) .

فهم ينظرون إلى إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم بعد ، وإلى المسيرة الحافلة بالدماء والجهد والانتصارات والانتكاسات والآلام والمورات ، بهذه الرؤية الربانية : ( وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) .

أما نحن هنا في هذه الدنيا ، فرؤيتنا تختلف .

إننا ننظر إلى المسيرة من خلال تصوراتنا البشوية التي يشوبها الضعف وقصر المدى والتشويش ، وينتابنا القلق والإرتباك كلما توقعنا مصيبة تقول بنا في حركتنا ، وكلما توقعنا عاصفة تعصف بنا ولا تذر رطبا ولا يابسا ، وينتابنا الحزن والألم كلما تولت بنا داهية أو عمتنا مصيبة ، فتضيق بنا الأرض بسعتها ، وتعتصنا الآلام ، آلام الفواق ومرة الانتكاسات ، وشدة الابتلاء في الأنفس والأموال والأرزاق والأمن .

فالمسيرة بالنسبة إلينا . ومن خلال تصوراتنا . حافلة بالخوف والحزن ، الخوف على ما نتوقعه من الابتلاء ، والحزن على ما تول بنا من ابتلاء وشدة ، وقليل من عباد الله الذين تصفوا لهم الرؤية ، في وسط هذه المسيرة الحافلة بالدماء والآلام ، فلا يعيشون خوفاً ولا حزناً .

أما الشهداء ، فرؤيتهم وتصورهم لهذه المسيرة تختلف عن رؤيتنا وتصوراتنا البشوية المشوبة بضعف الإنسان .

إنها رؤية اكتسبوها من عند الله ، صافية بعيدة المدى ، مؤها الثقة والاطمئنان بالله تعالى ، رزقهم الله تعالى إياها من عنده ، فهم يرون المسيرة الربانية على وجه الأرض بهذه الثقة والطمأنينة ، وبهذه الرؤية الصافية ، من غير خوف ولا قلق ولا حزن ، ومن ثم يستبشرون بإخوانهم الذين لم

## الصفحة 135

يلحقوا بهم بعد ، والذين يخوضون غمار المعركة ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ألا يخافوا من شيء يستقبلهم ولا يحزنوا على شيء فاتهم ، فلن يتجاوزهم نصر الله الذي وعد الله به الصالحين من عباده ، ولن يتخطاهم النصر والتأييد والدعم والإمداد من الله ، في وسط هذا الصواع الحافل بالدماء والآلام والقرات والمعاناة .

( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ) (1) .

فعلامَ الخوف والقلق والارتباك من المستقبل؟!

فلن يُصيبهم أذىً أو تعب في سبيل الله ، ولن تقسُ عليهم الابتلاءات ، إلا كتب الله تعالى لهم بكل ذلك عملاً صالحاً وأجراً .

( ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ... ) (2) .

فعلامَ الحزن مما يُصيبهم من ابتلاءات ومحن وآلام ، ومما يعانون في سبيل الله ؟

إذن ، ( لا خوف ولا حزن ) في هذه المسيرة ، وليس على العاملين في هذه المسيرة الكادحة . ذات الشوكة . حزن أو خوف مما أصابهم أو يصيبهم من ابتلاء .

تلك هي الرؤية الوبَّانية الصافية الواثقة بعيدة المدى للمسيرة ، وأنَّ علينا . نحن العاملين في سبيل الله ، على خُطى الشهداء . أن نتسلَّح بهذه الرؤية ، ونبدل رؤيتنا القلقة والمرتبكة الخائفة بالرؤية الواثقة والمطمئنة بعيدة المدى ؛ لنتمكّن من حمل عبء المسؤولية الشاقة ومواصلة السير على طريق الأنبياء والموسلين .

(1) القصص : 6 . 5 .

(2) التوبة : 120 .

## الصفحة 136

### ثأر الله

#### رحلة الشهادة في السنة الشريفة

باقية عطرة من الحديث الشريف في قيمة الشهيد :

وإليكم هذه الباقية العطرة من الروايات في فضل الشهادة وقيمتها :

\* عن الصادق ( عليه السلام ) : ( قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : فوق كل برِّ برِّ ، حتى يقتل الرجل في سبيل الله ، فليس فوقه برِّ ، وفوق كل عقوق عقوق ، حتى يقتل الرجل أحد والديه ، فإذا فعل ذلك فليس فوقه عقوق ) (1) .

\* عن المقدم بن معد يكرب ، قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ( للشهيد عند الله ست خصال

:

يُغْفَرُ لَهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

وَيَأْمَنُ مِنَ النَّوْعِ الْأَكْبَرِ .

وَيَحِلُّ حَلِيَّةُ الْإِيمَانِ .

وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَيُزَوَّجُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ .

وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَبِهِ ) .

قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب (2) .

\_\_\_\_\_

(1) بحار الأنوار : 61 / 74 .

الكافي : 2 / 348 .

وباختلافٍ يسير : وسائل الشيعة : 10 / 11 .

والتهذيب : 2 / 41 .

والخصال : 1 / 8 .

ومُستترك الوسائل : 2 / 242 .

والفروع : 1 / 342 .

(2) سنن الترمذي : 4 / 187 . 188 / الحديث 1663 .

وقريب من هذا المضمون في : سنن ابن ماجه : 2 / 935 . 936 / الحديث 3799 .

### الصفحة 137

\* سأل أبو ذرّ النبيّ ( صلّى الله عليه وآله ) : ( أيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ ؟

فقال ( صلّى الله عليه وآله ) : إيمانٌ بالله ، وجهادٌ في سبيله .

قال : فقلت : أيّ الجهاد أفضل ؟

قال : من عقّر جواده ، وأهريق دمه في سبيل الله ) (1) .

\* العياشي في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر ، قال : ( أتى رجل رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) ،

فقال : إنّي راغبٌ نشيطٌ في الجهاد . قال ( صلّى الله عليه وآله ) : فجاهد في سبيل الله ، فإنّك إن قتلت كنت

حيّاً عند الله وترزق ، وإن مت فقد وقع أجرك على الله ، وإن رجعت ، خرجت من الذنوب إلى الله ) . هذا

تفسير (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) (2) .

\* عن مسعدة بن صدقة ، عن الصادق ( عليه السلام ) ، عن آبائه ( عليهم السلام ) : أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : ( **ثلاثة يُشْفَعُونَ إلى الله عزّ وجل فيشفّعهم : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء** ) ( 3 ) .

\* وكان الإمام الحسين ( عليه السلام ) يقول . في مسيرته إلى كربلاء . : ( **إني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً** ) ( 4 ) .

\* وعن أنس بن مالك ، عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) : قال : ( **ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ؛ لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا** )

( 1 ) بحار الأنوار : 11 / 100 ، عن الخصال : 2 / 30 .

وبمضمونه بطريق آخر : سُئِنَ ابن ماجه : 2 / 934 / الحديث 2794 .

وَمُسْتَرْك وسائل الشيعة : 2 / 244 .

( 2 ) مُسْتَرْك وسائل الشيعة : 2 / 244 .

( 3 ) مُسْتَرْك وسائل الشيعة : 2 / 245 .

( 4 ) تُحَفُّ العقول : 176 .

## الصفحة 138

**فَيَقْتُلُ هَوَّةَ أَهْوَى** ( 1 ) .

وعن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت النبي ( صلى الله عليه وآله ) يقول : ( **والذي نفسي بيده ، لو لا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده ، لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ، ثم أقتل ثم أحيأ ، ثم** )



أُقْتَلْ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلْ ( 2 ) :

\* وعن جابر بن عبد الله : ( قَالَ رَجُلٌ : أَيْنَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ قَتَلْتِ ؟ قَالَ : فِي الْجَنَّةِ . فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ كُنَّ

فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ) ( 3 ) :

\* عن ابن إسحاق عن الوءاء ، قال : ( جَاءَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي النَّبِيتِ . قَبِيلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فُقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( عَمَلٌ هَذَا

يَسِيرًا ، وَأَجْرٌ كَثِيرًا ) ( 4 ) .

\* وعن أنس بن مالك . في حوادث معركة بدر . قال ، قال رسول الله ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( قَوْمُوا إِلَى

جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ .

قال : يقول عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَرِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟!

قال : نعم .

قال : بَخٍ بَخٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ ( بَخٍ بَخٍ ) ؟!

قال : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا .

قال : فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا .

فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ يَأْكُلُ مِنْهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ : لئن أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى آكُلَ هَذِهِ ، أَنهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ .

قال : فَرُمِيَ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قَتَلَ ) ( 5 ) .

( 1 ) صحيح البخاري : 2 / 112 / كتاب الجهاد .

التَّوْغِيبُ وَالتَّوْهِيْبُ : 2 / 311 .

سُنَنُ التَّرْمِذِيِّ : 4 / 176 .

مُستترك الوسائل : 2 / 243 .

(2) صحيح البخاري : 2 / 112 .

والتَّوْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ : 2 / 311 .

(3) صحيح مسلم بن الحجاج : 6 / 43 ، طبعة دار الفكر .

(4) صحيح مسلم بن الحجاج : 6 / 44 ، طبعة دار الفكر .

(5) نفس المصدر السابق .

### الصفحة 139

\* وقال محمد بن المنكدر : إنَّه سمع جاوا يَقولُ : ( جِيءَ بِأَبِي إِلى النَّبِيِّ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) وَقدِ مِثْلُ بِهِ ، وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَذَهَبَتْ أَكْشَفٌ عَنْ وَجْهِهِ ، فَفَنَّهَانِي قَوْمِي ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ ، فَقِيلَ : ابْنَةُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو .

فَقَالَ : لِمَ تَبْكِي ؟! أَوْ لَا تَبْكِي مِرْاَلتِ الْمَلَائِكَةُ تَنْظُرُهُ بِأَجْنَحَتِهَا (1) .

\* عن مسروق قال : سألنا عبد الله (2) عن هذه الآية : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرِزِقُونَ) ، قَالَ : أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ .

فَقَالَ : أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ ظَيْرِ خَضِرٍ ، لَهَا قِنَادِيلٌ مَعْلَقَةٌ بِالْعُرْسِ ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ تَشَاءُ ثُمَّ تَلْوِي

إِلَى تِلْكَ الْقِنَادِيلِ (3) .

\* وكان أمير المؤمنين يقول :

( أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبَ حَيْثُ لَا يَفْوتُهُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يَعْزُوهُ الْهَلْبُ ، لَيْسَ عَنْ الْمَوْتِ مُحِيدٌ وَلَا

مَحِيصٌ ، مَنْ لَمْ يَقْتُلْ مَاتَ ، إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ ، وَالذِّي تَفَسَّ عَلِيٌّ بِيَدِهِ ، لَأَلْفَ ضَرْبَةٍ بِالسِّيفِ أَهْوَنَ عَلَيَّ

مِنْ مَيْتَةٍ عَلَيَّ الْفَواشِ (4) .

\* وعن الإمام الصادق ( عليه السلام ) ، عن آبائه ( عليهم السلام ) ، عن رسول الله ( صَلَّى الله عليه وآله ) : ( ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ) ( 5 ) .

\* عن علي بن الحسين زين العابدين ( عليه السلام ) ، قال : ( ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من

قطرتين :

قطرة دم في سبيل الله .

( 1 ) صحيح البخاري : 2 / 115 .

والتوغيب والتوهاب : 2 / 313 .

( 2 ) الظاهر إنّه عبد الله بن مسعود ( رحمه الله ) .

( 3 ) صحيح مسلم بن الحجاج : 6 / 38 . 39 ، طبعة دار الفكر .

ورواه : ابن ماجة في : السنن : 2 / 936 / الحديث 2801 .

وقريب منه عن كعب بن مالك في : التوغيب والتوهاب : 2 / 316 .

( 4 ) شوح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : 1 / 306 .

( 5 ) بحار الأنوار : 100 / 12 ، نقلاً عن قُرب الإسناد : 31 .

والخصال : 1 / 102 .

## الصفحة 140

وقطرة دمعة في سواد الليل ، لا يريد بها عبد إلاّ الله عزّ وجلّ ( 1 ) .

\* وعن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) : ( ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيل الله ، أو

قطرة من دموع عين في سواد الليل من خشية الله .

وما من قدم أحب إلى الله من خطوة إلى ذي رحم ، أو خطوة بها زحفا في سبيل الله .

وما من جوعة أحب إلى الله من جوعة غيظ ، أو جوعة تود بها العبد مصيبة (2) .

\* عن موسى بن جعفر ( عليه السلام ) ، عن آبائه ( عليهم السلام ) ، عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله

( : ( إن أبخل الناس من بخل بالسلام ، وأجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله ) (3) .

\* عن الرضا ( عليه السلام ) ، عن آبائه ، عن علي بن الحسين ( عليه السلام ) ، قال : ( بينما أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) يخطب الناس ، ويحضهم على الجهاد ، إذ قام إليه شاب فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن فضل المؤاة في سبيل الله .

فقال علي ( عليه السلام ) : كنت رديف رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) على ناقته العصباء ، ونحن

قافلون من غزوة ذات السلاسل ، فسألته عما سألتني ، فقال :

إن المؤاة إذا هموا بالغزو ، كتب الله لهم واءة من النار ، فإذا تجهزوا لغزو ، باهى الله تعالى بهم الملائكة

، فإذا ودعهم أهلهم ، بكت عليهم الحيطان والبيوت ، ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ،

ويوكل الله ( عز وجل ) بهم ، بكل رجل منهم ، أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه

وعن شماله . ولا يعمل حسنة إلا ضعت له ، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون ألف سنة ، كل سنة

ثلاثمئة وستون يوماً ، واليوم مثل عمر الدنيا .

وإذا صاروا بحضرة عوهم ، انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم ، وإذا برزوا لعوهم وأشرعت

الأسنة وفوقت السهام ، وتقدم الرجل إلى الرجل ، حفتهم الملائكة بأجنحتهم ، ويدعون الله لهم بالنصر والتثبيت

(1) بحار الأنوار : 100 / 10 ، نقلاً عن الخصال : 1 / 31 .

(2) بحار الأنوار : 100 / 14 .

(3) بحار الأنوار : 100 / 15 ، نقلاً عن نوار الوندني : 5 .



## الصفحة 141

فِينَادِي مَنَادٌ : الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، فَتَكُونُ الطَّعْنَةُ وَالضَّرْبَةُ عَلَى الشَّهِيدِ أَهْوَنَ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ  
الْبَرْدِ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ .

وَإِذَا زَلَّ الشَّهِيدُ عَنْ فَرْسِهِ بِطَعْنَةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ ( عَزَّ وَجَلَّ ) زَوْجَتَهُ مِنْ  
الْحُورِ الْعِينِ ، فَتَبْتُورَهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ ، تَقُولُ لَهُ : مَرْحَبًا بِالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ  
الَّتِي أَخْرَجْتَ مِنْ الْبَدَنِ الطَّيِّبِ ، أَبَشِرْ ، فَإِنَّ لَكَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا حُطْرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .  
وَيَقُولُ اللَّهُ ( عَزَّ وَجَلَّ ) : أَنَا خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ ، وَمَنْ رَضَاهُمْ فَقَدْ رَضَانِي ، وَمَنْ أَسْخَطَهُمْ فَقَدْ أَسْخَطَنِي ،  
وَيَجْعَلُ اللَّهُ رُوحَهُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ تَشَاءُ ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَتَلْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ  
ذَهَبٍ مَعْلُوقَةٍ بِالْعَرْشِ ( 1 ) .

\* وَيَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ( عَلَيْهِ السَّلَامُ ) : ( لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَاتِهِ قَوْلَهُ : ﴿ أَلَمْ \* أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَهَوْا \*  
أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ) ، عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَاءَ وَرَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) بَيْنَ أَظْهُرِنَا  
، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ؟  
فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي : يَوْمَ أَحَدٍ حَيْثُ  
اسْتَشْهَدُ مَنْ اسْتَشْهَدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِيزَتْ عَنِي الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي : أَبَشِّرْ ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ  
مِنْ وَرَائِكَ !؟

فَقَالَ لِي : إِنَّ ذَلِكَ لَكِذَلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرَكَ إِذَا ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ  
مِنْ مَوَاطِنِ الْبِشْوَى وَالشُّكْرِ ( 2 ) .

يَقُولُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ( 3 ) ، فِي شَوْحِ هَذِهِ الْفِقْوَةِ مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : ( وَهَذَا الْخَبَرُ مَرْوِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ )  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَدْ رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ عَنْ عَلِيٍّ ( عَلَيْهِ السَّلَامُ ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ )  
قَالَ لَهُ : ( إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكَ جِهَادَ الْمُفْتُونِينَ ، كَمَا كَتَبَ عَلَيَّ جِهَادَ

(1) بحار الأنوار : 100 / 12 . 13 ، نقلاً عن : صحيفة الإمام الـرضا : 26 . 28 ، طبعة المعاهد بمصر

ومُستترك الوسائل : 2 / 242 . 243 .

(2) العنكبوت : 201 .

(3) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : 9 / 157 .

ونهج البلاغة لصبحي الصالح : 22 .

## الصفحة 142

المُشركين ) ، قال ، فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي كُتِبَ علي فيها الجهاد ؟

قال : قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وهم مخالفون للسنة .

فقلت : يا رسول الله ، فعلامُ أقاتلهم وهمُ يشهدون كما أشهد ؟

قال : على الإحداث في الدين ، ومخالفة الأمر .

قلت يا رسول الله : إنك كنت وعدتني الشهادة ، فاسأل الله أن يجعلها لي بين يديك .

قال : فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمرقين؟! أما إنِّي وعدتك الشهادة وستستشهد ، تضربُ على هذه

فُتُخضب هذه ، فكيف صبرك إذن ؟

قلت : يا رسول الله ، ليس ذا بموطنٍ صبر ، هذا موطن شكر .

قال : أجل ، أصبَتْ (1) .

\* ويقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : ( فَوَ اللهُ ، لولا طَمَعِي عند لقاءِ عِوِيِ الشهادة ، وتوطيني

نفسى عند ذلك ؛ لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً (2) .

ولمّا ضُرب ابن ملجم (لعنه الله) أمير المؤمنين (عليه السلام) على رأسه ، قال (عليه السلام) : ( تُرْتُ

وَرَبَّ الكَعْبَةِ ) (3) .

\* وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بعدما ضُرب ابن ملجم : ( والله ما فجأني من الموت وُردُّ كوهته ،

ولا طالع أنكرته ؛ ومأ كنت إلا كُفْرِبِ وُردَ ، وطالب وجد ) (4) .

\* عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، قال : سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول : ( قال رسول

الله (صلى الله عليه وآله) : ( إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف ) ، فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى

، أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول هذا ؟ قال :

(1) شوح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : 206 / 9 .

(2) شوح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : 93 / 6 .

(3) بحار الأنوار : 239 / 42 .

(4) شوح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : 6 / 17 .

## الصفحة 143

نعم .

قال : فوجع إلى أصحابه فقال : أوقأ عليهم السلام ، ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو

فضوب به حتى قتل (1) .

\* عن أنس بن مالك ، قال : ( جاء ناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا : أن أبعث معذراً جالاً

يُعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم : ( أنواء ) ، فيهم خالي همام ،



يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَذَكَّرُونَ ، بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَبُونَ فَيَبِيعُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصَّفَةِ وَالْفِقَاءِ .

فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) إِلَيْهِمْ ، فَعَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يُبَلِّغُوا الْمَكَانَ ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيْنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ ، وَرَضِيْتَ عَنَّا .

قَالَ : وَأَتَى رَجُلٌ هُوَ مَا خَالَ أَنَسَ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرِمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ هُوَ : فَرَّتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) لِأَصْحَابِهِ : **إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قَتَلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيْنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ وَرَضِيْتَ عَنَّا ( 2 ) .**

\* وعن ثابت قال ، قَالَ أَنَسٌ : عَمِيَ الَّذِي سَمَّيْتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) بَرًّا فَشَقَّ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَوْلَ مَشْهَدُهُ شَهِدَهُ رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) غَيَّبَتْ عَنْهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُ اللَّهُ مُشْهَدًا فِيمَا بَعْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) لِرَوَايَةِ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ .

قَالَ : فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غُرْهَا ، قَالَ : فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ : فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَيْنَ ؟ فَقَالَ : وَأَهَا لَرِيحِ الْجَنَّةِ أَجْدَهُ نُونِ أُحُدٍ ، قَالَ : فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قَتَلَ

قَالَ : فَوَجَدَ فِي جِسْمِهِ بَضْعَ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ ، قَالَ : فَقَالَتْ أختُهُ ، عَمَّتِي الرَّبِيعَ بِنْتَ النَّضْرِ : فَمَا عَرَفْتَ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ .

وَوَاتَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ : **( رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَلُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمَنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا**

(1) صحيح مسلم : 45 / 56 ، طبعة دار الفكر .

ورواه الترمذي في : السنن : 4 / 186 الحديث 1659 .

(2) صحيح مسلم : 6 / 45 ، ط . دار الفكر .

## الصفحة 144

بَدَلُوا تَبْدِيلاً ( 1 ) .

\* وعن أنس ، قال رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَتْلَكَ ؟ فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، خَيْرٌ مِثْلُ .

فَيَقُولُ : سَلْ وَتَمَنَّ ، فَيَقُولُ : وَمَا أَسْأَلُكَ وَأَتَمْنَى ؟! أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا ، فَأُقَاتِلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ لِمَا بَرِيءُ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ) ( 2 ) .

\* وعن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قال : ( يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ ) ( 3 ) .

\* وعن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قال : ( إِنَّ أَوَّلَ قَطْرَةٍ تَنْزِلُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُكْفَرُ بِهَا ذَنْبُهُ ، وَالثَّانِيَةُ يُكْسَى مِنْ حُلِّ الْإِيمَانِ ، وَالثَّلَاثَةُ يَزُوجُ مِنْ حُورِ الْعَيْنِ ) ( 4 ) .

\* وعن أبي هريرة ، قال : ذُكِرَ الشَّهِيدَ عِنْدَ النَّبِيِّ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) فَقَالَ : ( لَا تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى تَبْتَوِّرَهُ زَوْجَتَاهُ ، كَأَنَّهَا ظَوَّانٌ أَضْلَتَا فَصَلِيْلَهُمَا فِي وَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مَتْمَمًا حُلَّةً ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ) ( 5 ) .

قال المنزوي في التَّوْغِيبِ . في التعليق على الحديث . : ( الظُّبْرُ ) هي : الموضع ، ومعناه : أن زَوْجَتَيْهِ مِنَ الحُورِ الْعَيْنِ تَبْتَوِّرَانَهُ وَتَحْوَانَهُ عَلَيْهِ وَتَطْلُلَانَهُ ، كَمَا تَحْنُو النَّاقَةَ المَرْضِعُ عَلَى فَصِيلِهَا .

\* وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( الشَّهْدَاءُ تُعَلَى بَارِقٍ . نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ . فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بَعْوَةً وَعَشِيًّا ) ( 6 ) .

\* وعن أنس بن مالك ، أن النَّبِيَّ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قال : ( إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ ، جَاءَ قَوْمٌ

(1) صحيح مسلم : 6 / 46 ، طبعة دار الفكر .

والتوغيب والتوحيب : 2 / 312 . 313 .

(2) كنز العمال : 4 / 406 / حديث 11135 ، طبعة دار الفكر .

والتوغيب والتوحيب : 2 / 311 .

( 3 ) التوغيب والتوحيب : 2 / 311 .

(4) كنز العمال : 4 / 407 / حديث 11141 .

( 5 ) التوغيب والتوحيب : 2 / 222 .

( 6 ) التوغيب والتوحيب : 2 / 223 .

وكنز العمال : 4 / 397 / الحديث 11099 .

## الصفحة 145

واضعي سيوفهم على رقابهم ، تقطر دماً ، فزدهموا على باب الجنة ، فقليل : من هؤلاء ؟

قيل : هؤلاء الشهداء ، كانوا أحياءً مرزوقين ( 1 ) .

\* وعن نعيم بن عمّار : ( أن رجلاً سأل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : أي الشهداء أفضل ؟ °

قال : الذين إن يلتوا في الصف يلتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينظلقون في الغرف العلى من الجنة )

( 2 ) .

وعن أنس قال : قال رسول الله : ( ألا أخبركم عن الأجود ؟! )

الله الأجود الأجود ، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم من بعدي ، رجل علم علماً فنشر علمه ، يبعث يوم

القيامة أمة واحدة ، ورجل جاد بنفسه لله عز وجل حتى يقتل ) . رواه أبو يعلى والبيهقي ( 3 ) .

\* عن رجلٍ من أصحاب النبي ( صلى الله عليه وآله ) : ( أن رجلاً قالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ ؟ )

قالَ : كَفَى بِبِرْقَةِ السِّیوْفِ عُدْرَاسَةَ فِتْنَةٍ ( . رواه النسائي (4) .

\* عن أنس بن مالك : ( أن رجلاً أسود أتى النبي ( صلى الله عليه وآله ) فقال : يا رسول الله ، إني أسود مُتْنِ الریحِ قبيحِ الوجه ، لا مال لي ، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل ، فأين أنا ؟

قال : في الجنة .

فقاتل حتى قتل ، فأتاه النبي ( صلى الله عليه وآله ) فقال : قَدْ بَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَطَيَّبَ رِيحَكَ وَأَكْثَرَ مَالَكَ (

(5) .

\* ( جاء النبي ( صلى الله عليه وآله ) إلى جسدِ شهيدِ نجدِي ، فقعدَ عُنْدَ رَأْسِهِ مَسْتَبِشِرًا يُضْحَكُ ، ثُمَّ

( 1 ) التَّوْغِيبُ وَالتَّوْهِيْبُ : 2 / 318 .

ورواه الطواني ، وقال المنفري في التَّوْغِيبِ : إسناده حسن .

( 2 ) التَّوْغِيبُ وَالتَّوْهِيْبُ : 2 / 318 . 319 .

وقريب منه في : كقول العمال : 4 / 398 / الحديث 11104 .

( 3 ) التَّوْغِيبُ وَالتَّوْهِيْبُ : 2 / 320 .

( 4 ) التَّوْغِيبُ وَالتَّوْهِيْبُ : 2 / 323 . 324 .

( 5 ) التَّوْغِيبُ وَالتَّوْهِيْبُ : 2 / 324 .

أَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتَ مَا تَضْحَكُ تَمَّ أَعْرَضْتَ عَنْهُ !

فَقَالَ : **أَمَّا مَا رَأَيْتُمْ مِنْ اسْتَبْشَرِي ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ مِنْ كِرَامَةِ رُوحِهِ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلًّا ، وَأَمَّا إِعْوَاضِي عَنْهُ ، فَإِنَّ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ الْآنَ عِنْدَ رَأْسِهِ** . رواه البيهقي ، بإسناد حسن (1) .

\* عن عامر بن سعد ، عن أبيه : ( **أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى الصَّلَاةِ وَالنَّبِيِّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) يَصَلِّي ، فَقَالَ حِينَ انْتَهَى الصَّفِّ . : اللَّهُمَّ آتِنِي أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) الصَّلَاةَ قَالَ : مَنْ الْمُتَكَلِّمُ آتِنَا ؟** )

فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قال : **إِذَا يُعْفَرُ بِجِوَادِكَ وَتَسْتَشْهَدُ** ) . رواه أبو يعلى ، والنَّوَّازِ ، وابن حبان في صحيحه ، وقال : صحيح على شَوَاطِئِ مُسْلِمٍ (2) .

\* عن رسول الله ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( **الشهداء عند الله على مثابرٍ من ياقوتٍ في ظلِّ عرشِ الله ، يوم لا ظلَّ إلا ظله ، على كئيبٍ من مسك ، فيقول لهم الرب : ألم أوف لكم وأصدقكم ؟ فيقولون : بلى وربنا** ) . (3)

\* عن رسول الله ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( **أَوَّلُ مَا يُهْرَاقُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ ، يَغْفَرُ لَهُ ذَنْبَهُ كُلَّهُ إِلَّا الدِّينَ** ) . (4)

يُعْطَى الشَّهِيدُ ثَلَاثًا :

أَوَّلُ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ يَغْفَرُ لَهُ ذُنُوبَهُ

وَأَوَّلُ مَنْ يَمْسَحُ التَّوَابَ عَنْ وَجْهِهِ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ .

وَإِذَا وَجِبَ جَنْبُهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعَ فِي الْجَنَّةِ (5) . ( الدلقطني في الإفواد ، والديلمى والرافعي عن أنس )

( 1 ) التّغيب والتّزهيب : 2 / 324 . 325 .

( 2 ) التّغيب والتّزهيب : 2 / 327 . 328 .

(3) كنز العمّال : 4 / 397 الحديث 11100 .

(4) كنز العمّال : 4 / 399 الحديث 11109 .

(5) كنز العمال : 4 / 410 الحديث 11153 .

---

### الصفحة 147

**خطاب الاستنصار الحسيني :**

\* أ . الاستواض

\* نماذج من الاستنصار الحسيني

\* ب . الدلالات

\* الدلالات الأربعة لخطاب

الاستنصار الحسيني

---

### الصفحة 148

---

### الصفحة 149

**خطابُ الاستنصار الحسيني**

الاستواض والدلالات :

( فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْهَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ )

آل عمران : 52

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْهَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْهَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ عَدُوَّهُمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ )

الصف / 14

### الاستنصار الحسيني :

يقول الشيخ جعفر التستوي ( رحمه الله ) في الخصائص الحسينية : ( إن الحسين ( عليه السلام ) ( استنصر ) الناس سبع مرّات و ( استغاث ) سبعاً .

ثم يقول ( رحمه الله ) : إنّ التلبيات السبعة الوردية في زيارة الحسين ( عليه السلام ) ( لبيك داعي الله ) ، إجابة وإشارة إلى هذه الاستنصارات والاستغاثات ( 1 ) .

( 1 ) الخصائص الحسينية : 177 . 178 .

### الصفحة 150

وفيما يلي نستعرض طائفة من استنصارات الحسين ( عليه السلام ) ، واستغاثته بالمسلمين ، منذ خروجه من المدينة إلى اليوم العاشر من المحرم سنة ( 61 هـ ) في كوفلاء .

ثمّ نقوم بمراسة دلالات الاستنصار الحسيني .

## الصفحة 151

أ . الاستواض

نماذج من الاستنصار الحسيني

في المدينة :

1 . خرج الحسين ( عليه السلام ) من المدينة مُتوجّهاً نحو مكة ، ليلة الأحد ليومين بقاء من رجب ، ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه الحسن ( عليه السلام ) وأهل بيته ، وكتب قبل أن يخرج من المدينة وصيته التي يستنصر فيها المسلمين ، وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية .

قال فيها :

( بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ ( عليهما السلام ) إلى أخيه محمد بن

الحنفية :

إنّ الحسين يشهد أن لا اله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، جاء بالحق منّ عنده ، وأنّ الجنة حق والنار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور ...

وأني لم أخرج أشراً ولا بطوراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي ( صلى الله عليه وآله ) ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهاي عن المنكر ، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب .

فمن قبلني بقبول الحقّ ، فالله أولى بالحقّ ، ومن ردّ عليّ هذا ، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم ، وهو خير الحاكمين ) .

## الصفحة 152



ثم طوى الكتاب وختمه ، ودفعه إلى أخيه محمد<sup>(1)</sup> .

2 . واستنصر الحسين عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وقال لعبد الله بن عمر : لما طلب منه البقاء في المدينة

..

( يا عبد الله ، إن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا يهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل

، وأن رأسي يهدى إلى بغي من بني أمية )<sup>(2)</sup> .

ولما عرف ابن عمر من الحسين الغم على مغاورة المدينة ، قال له : يا أبا عبد الله ، اكشف لي عن

الموضع الذي لم يزل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقبله منك ، فكشف له عن سوته ، فقبلها ثلاثاً وبكى<sup>(3)</sup>

فقال له : ( اتق الله يا أبا عبد الرحمان ، ولا تدعن نصرتي )<sup>(4)</sup> .

في مكة :

3 . وكتب الحسين نسخة واحدة ( تعمياً ) إلى رؤساء الأخماس بالبصرة ، وهم :

مالك بن مسمع البكري ، والأحنف بن القيس ، والجارود بن المنذر ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم

، وعمرو بن عبيد بن معمر ، وأرسله مع مولى له يقال له سليمان<sup>(5)</sup> ، وفيه :

( أما بعد ، فإن الله اصطفى محمداً ( صلى الله عليه وآله ) على خلقه ، وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ،

ثم قبضه إليه ، وقد نصح لعباده وبلغ ما

(1) مقتل العوالم : 54 .

(2) مقتل الحسين ، للسيد عبد الزراق المقوم : 139 .

(3) أمالي الصدوق : ص 93 / المجلس 30 .

(4) اللهوف : ص 17 .

(5) هذا في تزيخ الطوي : 6 / 200 .

وفي اللهوف : 21 ( يُكْنَى أبا رزين ) .

وفي مُثير الأخوان : ص 12 ( أرسله مع فواع السدوسي ) .

### الصفحة 153

رُسل به ( صلى الله عليه وآله ) ، وكُنّا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته ، وأحقّ الناس بمقامه في الناس .

فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا ، وكوهنا الفرقة وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ

المستحقّ علينا ممن تولاه .

وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإنّ السنة قد أميتت ،

والبدعة قد أحييت .

فإن تسموا قولي ، أهدكم إلى سبيل الرشاد ) .

فسلمّ الجارود بن المنذر العبدي رسول الحسين إلى ابن زياد ، فصلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها

إلى الكوفة ليسبق الحسين إليها (1) . وكانت ابنة الجارود (بخوية) زوجة ابن زياد ، فعم أن يكون الرسول

دسيماً من ابن زياد .

وأما الأحنف ، فإنّه كتب إلى الحسين ( عليه السلام ) : ( أما بعد ، فاصبر ، إن وعد الله حق ولا يستخفّنك

الذين لا يؤقنون (2) .

وأما يزيد بن مسعود (3) ، فإنّه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد ، فلما حضروا قال : ( يا بني تميم ،

كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم ؟

قالوا : بخٍ بخٍ ! أنت والله فؤة الظهر برأس الفخر ، حللت في الشرف وسطاً وتقدّمت فيه فوطاً ، قال :

فإني قد جمعتكم لأمرٍ رُيد أن أشلوركم فيه ، وأستعين بكم عليه فقالوا :

( 1 ) تريخ الطوي : 6 / 200 .

( 2 ) مثير الأخوان : 13 .

( 3 ) هذا في مثير الأخوان ، وعند الطوي ، وابن الأثير ( مسعود بن عمرو ) .

وقال ابن خزم في : جمهورة أنساب العرب ، ص 218 : ( كان عباد بن مسعود بن خالد بن مالك النهشلي سيِّداً ، وأخته ليلى بنت مسعود تحت علي بن أبي طالب ، ولدت له أبا بكر قتل مع الحسين ، وعبد الله كان مع مصعب ابن الزبير على المختار وقُتل يوم هزيمة أصحاب المختار ، وذكرنا في ( زيد الشهيد : ص 101 ، طبع ثاني ) نصوص المؤرخين في قتله بالمدار ، من سواد البصرة ، ولم يُعلم قاتله .

وفي الخوايج للووندي ، في معجزات علي ( عليه السلام ) : وُجد مذبحاً في فسطاطه ، ولم يعلم ذابحه .

## الصفحة 154

إنا والله نمنحك النصيحة ، ونجهد لك الرأي ، فقل حتى نسمع .

فقال : إن معلوية مات ، فأهون به والله هالكا ومفقودا ، ألا وأنه قد انكسر باب الجور والإثم ، وتضعضت رُكان الظلم ، وكان قد أحدث بيعة عقدَ بها أمراً ظن أنه قد أحكمه ، وهيهات الذي رُاد ، اجتهد والله ففشل ، وشلور فخذل ، وقد قام يزيد . شرب الخمر ورأس الفجور . يدعي الخلافة على المسلمين ، ويتأمر عليهم بغير رضاً منهم ، مع قصر حلمٍ وقلة علم ، لا يعرف من الحق موطأ قدميه .

فأقسم بالله قسماً مبروراً ، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين ، وهذا الحسين بن علي ، وابن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل ، له فضل لا يُوصف وعلم لا يتوف ، وهو أولى بهذا الأمر ؛ لسابقته وسنة وقدمه وقوابته ، يعطف على الصغير ويحسن إلى الكبير ، فأكرم بهراعي

رعيّة ، وإمام قوم وجبت لله به الحُجّة ، وبلغت به الموعظة ، فلا تعشو عن نور الحق ، ولا تكسوا في وهد الباطل ، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل ، فاعسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ونصوته .

والله ، لا يُقَصِّر أحدكم عن نصوته ، إلا لورثه الله تعالى الذل قبي وده ، والقلة في عشرينته .

وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها ، واوعت لها بوعها .

مَنْ لَمْ يَقْتَلْ يَمِتْ ، وَمَنْ يَهْرَبْ لَمْ يَفْتَمْ ، فَأَحْسِنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ رَدَّ الْجَوَابِ .

فقال بنو حنظلة : يا أبا خالد ، نحن نبلُ كنانتك ، وفوسان عشرينتك ، إن رميت بنا أصبت ، وإن غزوت بنا فتحت ، لا تخوض والله غموة إلا خضناها ، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها ، ننصرك بأسيافنا ، ونقيك بأبداننا إذا شئت .

وتكلمت بنو عامر بن تميم ، فقالوا : يا أبا خالد ، نحن بنو أبيك وحلفائك ، لا نوضى إن غضبت ، ولا نبقي إن ظعنت ، والأمر إليك ، فادعنا إذا شئت .

وقالت بنو سعد بن زيد : أبا خالد ، إن أبغض الأشياء إلينا خلافاك والخروج عن

## الصفحة 155

رأيك ، وقد كان صخر بن قيس أمونا بتوك القتال يوم الجمل ، فحمدنا ما أمونا ، وبقي غونا فينا ، فأمهنا زاجع المشورة ونأتيك وأينا .

فقال لهم : لئن فعلتموها ، لارفع الله السيف عنكم أبداً ، ولازال سيفكم فيكم .

ثم كتب إلى الحسين ( عليه السلام ) : أما بعد فقد وصل إلي كتابك ، وفهمت ما ندبتني إليه ، ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك ، والفوز بنصيبي من نصوتك ، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ، ودليل على سبيل نجاة ، وأنتم حجة الله على خلقه ، ووديعته في أرضه ، توعتم من زيتونة أحمديّة ، هو أصلها وأنتم فوعها ، فأقدم سعديت بأسعد طائر ، فقد ذللت لك أعناق بني تميم ، وتوكتهم أشدّ تتابعا في طاعتك من الإبل

الظماء لورود الماء يوم خمّسها ، وقد ذلّت لك رقاب بني سعد ، وغسلت برنّ قلوبها سحاب مزنّ حين استهل برّقها فلمع .

فلما قرأ الحسين ( عليه السلام ) كتابه قال : ( **آمنك الله من الخوف وأعزّك ، وأرواك يوم العطش الأكبر** )

ولمّا تجهّر ابن مسعود إلى المسير ، بلغه قتل الحسين ( عليه السلام ) ، فأشتدّ جّرة وكثر أسفه لفوات الأمنية من السعادة بالشهادة (1) .

وكانت ( ملية ) . ابنة سعد ، أو منقذ . من الشيعة المخلصين ودلّها مألماً لهم ، يتحدثون فيه فضل أهل البيت ( عليهم السلام ) ، فقال يزيد بن نبيط . وهو من عبد القيس . لأولاده ، وهم عشرة : أيكم يخرج معي ؟ فانتدب منهم اثنين ، عبد الله وعبيد الله ، وقال له أصحابه . في بيت تلك المرأة . : نخاف عليك أصحاب ابن زياد ، قال : والله لو قد استوت أخفافها بالجّد ، لهان عليّ طلب منّ طلبني (2) .

وصحبه هوله عامر ،

( 1 ) مثير الأخران : ص 13 . واللّهوف : ص 21 .

( 2 ) تزيخ الطوي : 6 / 198 .

## الصفحة 156

وسيف بن مالك ، والأدهم بن أمية (1) ، فرأوا الحسين بمكة وضموّارحلهم إلى رحله ، حتى ورنوا كوبلاء وقتلوا معه .

4 . وخطب الحسين ( عليه السلام ) في المسلمين عشية خروجه من مكة ، وقال :

( **خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى** )

يوسف ، وخَيْرَ لي مَصْرَعَ أنا لآقيه .

كأني بأوصالي تَقْطَعُهَا عَسْلَانُ الفلواتِ بين النواويسِ وكربلاء ، فيملأن مَيَّ أكوأشا جوفاً ، وأَجْرَبَةَ سغباً ، لا مَحِيصَ من يوم خَطَّ بالقلم .

رضا الله رضانا أهل البيت . نصبر على بلائه ، ويؤثِّقنا أجور الصابرين .

لن تشدَّ عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) لِحْمَتِهِ ، بل هي مجموعة له في حظوة القدس ، تقر بهم عينه ، وينجز بهم وعده .

ألا وَمَنْ كان فينا باذلاً مَهْجَتَهُ ، موطننا عَلَى لقاء الله نفسه فليرحل معنا ، فَإِنِّي راحِلٌ مصباحاً إن شاء الله ) (2) .

وفي هذه الخطبة ، ينعى الإمام نفسه ، ويستتصر المسلمين ويطلب منهم مُهْجَهُمْ ، ويطلب ممن يريد أن يخرج معه أن يُوطِنَ نفسه للقاء الله ، ويعلن للمسلمين أنه يخرج غداً إلى العراق ، ومن أراد أن يلتحق به ، فليعد نفسه للخروج منذ الليلة .

وهي دعوة غوية من نوعها في تزيخ الثائرين والخرجين ، فلا يُمنِّيهم الحسين ( عليه السلام ) بملك ولا سلطان ، وإنما يدعوهم إلى القتل .

وهذه الدعوة بهذه الخصوصية ، مما تتميز بها ثورة الحسين ( عليه السلام ) في التزيخ عن غورها من الثورات والحركات .

( 1 ) ذخوة الدارين : ص 224 .

( 2 ) اللهوف : 33 . وابن نما : 20 . والمؤمّم : 173 .

إنّ الحسين ( عليه السلام ) يطلب من الناس مُهَجِّمَهُمْ ، ويطلب منهم أن ينتزعوا أنفسهم من الدنيا ويوطنوا أنفسهم للقاء الله .

والحسين ( عليه السلام ) يقصد ما يقول .

ولو خرج يومئذٍ مع الحسين ( عليه السلام ) ناس يريدون الدنيا ، وليس وجه الله ، ويطلبون المال والسلطان في خروجهم مع الحسين ( عليه السلام ) ؛ لأخوًا بهذه الحركة ، وأفقوها قيمتها وتأثرها العميق الخالد في التاريخ .

وبهذه الطريقة ، يُعلن الحسين ( عليه السلام ) . من بدء خروجه . عن رفضه لأولئك الذين يريدون أن يلتحقوا به للمال والسلطان والدنيا .

هذه الخطبة عجيبة في لهجتها ، عجيبة في مضامينها ودعوتها ، وتتضمن الاستنصار ، والاستماتة ، والترغيب والترهيد ، والدعوة والرفض .

## 5 . في الحاجر :

ولمّا بلغ الحاجر (1) من بطن الرمة ، كتب إلى أهل الكوفة جواب كتاب مسلم ابن عقيل ، وبعثه مع قيس بن مسهر الصيدلوي (2) ، وفيه : ( أمّا بعد ، فقد ورد عليّ كتاب مسلم بن عقيل ، يخبرني باجتماعكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألت الله

( 1 ) في معجم البلدان : ( الحاجر : ما يُمسك الماء من شفة الوادي وفيه ) : ج 4 / ص 290 ، ( بطن الرمة

: متزل لأهل البصرة إذا رأوا المدينة ، وفيه تجتمع أهل الكوفة والبصرة ) .

وفي تاج العروس : ج 3 / ص 136 : ( الحاجر : مكان بطريق مكة ) .

( 2 ) في روضة الواعظين لعلي بن محمّد الفتال النيسابوري : ص 152 ( يُقال : بعثه مع عبد الله بن يقطر ،

ويجوز أنّه أرسل إليهم كتابين ، أحدهما مع عبد الله بن يقطر ، والآخر مع قيس بن مسهر ) .

وفي الإصابة : ج 3 / ص 492 ، بعد أن ذكرَ نسب قيس ، قال : ( وكان مع الحسين لما قتل بالطف ، وهو اشتباه ، فإنَّ ابن زياد قتله بالكوفة ) .

### الصفحة 158

أن يُحسن لنا الصنع ، ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة ، يوم الثلاثاء لثمان مِضين من ذي الحجة ، فإذا قدم عليكم رسولي ، فانكمثوا في أمركم ، فإنِّي قادم في أيامي هذه ) .

ولمَّا وصل قيس إلى القادسية ، أخذه الحُصين بن نمير التميمي . وكان صاحب شوطة ابن زياد . ، أمره أن ينظّم الخيل ما بين القادسية إلى خفان (1) ، ومنها إلى القُطْطانة ، فرأى أن يفتشّه ، فأخرج قيس الكتاب وخرقه .

ولمَّا مثل بين يدي ابن زياد ، قال : لماذا خرقت الكتاب ؟ قال : لئلا تطلعَّ عليه ، فأصرَّ ابن زياد على الإخبار بما فيه ، فأبى قيس ، فقال : إن لم تخبرني ، فاصعد المنبر وسبَّ الحسين وأباه وأخاه ، وإلا قُطعتك رُبا رُبا .

فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي وآله ، وأكثر من الترحُّم على أمير المؤمنين والحسن والحسين ، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه ، وبني أمية .

ثمَّ قال : أيها الناس ، أنا رسول الحسين إليكم ، وقد خلفته في موضع كذا ، فأجيبوه .

فأمر ابن زياد أن يُرمَى من أعلى القصر ، فتكسرت عظامه ومات (2) .

ويقال : أمر ابن زياد أن يُرمَى مكتوفاً ، فومئى من أعلى القصر (3) ، وكان به رمق ، فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه ، فعيب عليه ، قال : رُدتُ أن رُيحه (4) .

(1) في معجم البلدان : ج 3 ص 451 : ( خفان : موضع قرب الكوفة ، وهو عين عليا قرية لولد عيسى ابن

موسى الهاشمي ) ، وفيه : ج 7 / ص 135 : ( القُطْطانة ، بالضم ثمُّ السكون : قُوبُ الكوفة ، تبعد عن الرهيمة نيفاً وعشرين ميلاً ) .



( 2 ) تزيخ الطوي : 6 / 324 . والبداية : 8 / 168 . والإرشاد للمفيد . وروضة الواعظين : ص 152 .  
وأعلام الوري : ص 136 .

( 3 ) الإرشاد للمفيد : ج 2 / ص 71 .

( 4 ) روضة الواعظين . والإرشاد . وفي ميزان الاعتدال : 2 / 151 .

## الصفحة 159

6 . في زرود :

وتول الحسين في زرود ، وتول بالقرب منه زهير بن القين البجلي ، وكان غير مثايح له ، ويكوه النزول معه ، ولكن الماء جمعهم في المكان .

روى السدي ، عن رجل من بني فرة . كان وأفق زهرا ( رحمه الله ) في السفر الذي التحق فيه بالحسين

. قال :

( كُنَّا مع زهير بن القين البجلي ( رحمه الله ) حين أقبلنا مكة نسأير الحسين ( عليه السلام ) ، فلم يكن شيء

أبغض إلينا من أن نُساره في متوله ، فإذا سار الحسين ( عليه السلام ) تخلف زهير بن القين ، وإذا تول الحسين

تقدم زهير ، حتى تولنا يومئذ في متول لم نجد بداً من أن نثوله فيه ، فتول الحسين ( عليه السلام ) في جانب ،

وتولنا في جانب ، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا ، إذ أقبل رسول الحسين ( عليه السلام ) حتى سلم ثم

دخل ، فقال :

يا زهير بن القين ، إنَّ أبا عبد الله الحسين بن علي ( عليهما السلام ) بعثني إليك لتأتيه ، قال : فطوح كل

إنسان ما في يده ، حتى كأننا على رؤوسنا الطير .

قال أبو مخنف : فحدثتني دلهم بنت عمرو . امرأة زهير بن القين . ، قالت ، فقلت له : أيبعث إليك ابن

رسول الله ثم لا تأتيه؟! سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه ثم أتصرفت .

قالت : فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مُستبشوا قد أسفر وجهه .

قالت : فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقَدَم [فقوض ظ] وحمل إلى الحسين ( عليه السلام ) ، ثم قال لامرأته : أنت طالق ، الحقي بأهلك ، فإنِّي لا أحبُّ أن يصيبك بسببي إلا خيراً ( 1 ) .

وفي رواية الملهوف قال : ( قد غرمتُ على صُحبة الحسين ( عليه السلام ) لأفديه بنفسي ،

( 1 ) تزيخ الطوي : 7 / 290 .

### الصفحة 160

وأقيه بروحي ، ثمَّ أعطاه مالها ، وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت إليه وبكت وودَّعته ، وقالت : كان الله عوناً ومُعِيناً ، خار الله لك ، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين ( عليه السلام ) ( 1 ) .

قال الطوي : ثمَّ قال لأصحابه : من أحبَّ منكم أن يتبعني ، وإلا فإنه آخر العهد ، إني سأحدثكم حديثاً :

غزونا بَلَنْجَرَ ( 2 ) ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ، فقال لنا سلمان الباهلي . وفي روايات أخر سلمان الفلزي ( رضي الله عنه ) . : أفوحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم ؟! فقلنا : نعم ، فقال : إذا أركتم سيّد شباب آل محمّد ( عليهم السلام ) ، فكونوا أشدَّ فوحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم .

فأمّا أنا ، فإنِّي أستودعكم الله .

قال : ثمَّ والله ما زال في أولِّ القوم حتى قتلُ ( رضوان الله عليه ) ( 3 ) .

( 1 ) الملهوف : 64 .

( 2 ) بَلَنْجَرَ : من بلاد الترك ، غزاهم المسلمون وأصحاب النبي ( صلى الله عليه وآله ) في سنة 22 هـ .

وفي القمقام : ( بلنجر . بفتح الموحدة واللام وسكون النون وجيم مفتوحة وراء . : مدينة ببلاد الخزر ، خلف

باب الأبواب ، قالوا : فتحها عبد الرحمان بن ربيعة .

وقال البلاذري : سلمان ( أي فتحها سلمان ) بن ربيعة الباهلي ، وتجاوزها ، ولقيته خاقان في جيشه خلف بلنجر ، فاستشهد هو وأصحابه ، وكانوا أربعة آلاف ، وكان في أول الأمر قد خافهم الترك ، وقالوا إن هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح ، فاتفق أن تركيا أختفى في غيضة ( يعني بيشه ) ورشق مسلما بسهم فقتله ، فنادى في قومه أن هؤلاء يموتون كما تموتون فلم تخافونهم ، فأجروا عليهم وأوقعوهم حتى استشهد عبد الرحمان بن ربيعة ، وأخذ الزاوية أخوه ، ولم يزل يُقاتل حتى أمكنه دفن أخيه بنواحي ( بلنجر ) ، ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان وقتل سلمان بن ربيعة وأصحابه ، وكانوا ينظرون في كل ليلة نورا على مصلحهم ، فأخذوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت ، فهم يستسقون به إذا فحطوا ( منه ) .

واحتمل أن الكلمة ( بالبحر ) وليس ( بلنجر ) ، وقد اخطأ النساخ في كتابة الكلمة .

وقد بدأ المسلمون في ذلك التلخيخ بغزوات البحر .

(3) نفس المهموم للسيد عباس القمي : 180 . 182 .



## الصفحة 161

## 7 . في قصر بني مقاتل :

وفي قصر بني مقاتل رأى فسطاطاً مضروباً ، ورمحاً موكزاً ، وفوساً وأقفاً ، فسأل عنه فقيل : هو لعبيد الله بن الحرّ الجعفي ، وبعث إليه الحجاج بن مسروق الجعفي ، فسأله ابن الحرّ عما وراءه ؟

قال : هدية إليك وكرامة ، إن قبلتها . هذا حسين يدعوك إلى نُصرتِه ، فإن قاتلت بين يديه أُجرت ، وإن قُتلت استشهدت .

فقال ابن الحرّ : والله ما خرجتُ من الكوفة إلا لكثرة ما رأيتُه خرجاً لمحلّبتِه ، وخذلان شيعتِه ، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصوه ، ولست أحبّ أن راني ورأه (1) .

فأعاد الحجاج كلامه على الحسين ، فقام ( صلوات الله عليه ) ومشى إليه في جماعة من أهل بيته وصحبُه ، فدخل عليه الفسطاط فوسّع له عن صدر المجلس .

يقول ابن الحرّ : ما رأيت أحداً قطّ ، أحسن من الحسين ولا أملاً للعين منه ، ولا رقت على أحد قط رقتي عليه حين رأيتُه يمشي والصبيان حوله ، ونظرت إلى لحيتِه فأيتها كأنها جناح غواب ، فقلت له أسود أم خضاب ؟ .

قال : ( يا ابن الحرّ ، عجلّ عليّ اثنيب ) ، فعرفت أنّه خضاب (2) .

ولمّا استقر المجلس بأبي عبد الله ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ( يا ابن الحرّ ، إن أهل مِصرِكم كتبوا إليّ أنّهم مجتمعون على نصرتي ، وسألوني القنوم عليهم ، وليس الأمر على ما زعموا (3) . وإنّ عليك ذنوباً كثيرة ، فهل لك من توبة تمحي بها ذنوبك؟! ) .

(2) خزانة الأدب للبغدادي : 1 / 298 ، ط ولاق . وأنساب الأشراف : 5 / 291 .

(3) نفس المهموم : ص 104 .

## الصفحة 162

قال : وما هي يا ابن رسول الله ؟ فقال : ( تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه ) (1) .

فقال ابن الحرّ : والله إنّي لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة ، ولكن ما عسى أن أغني عنك ، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً ؟ فأنتدك الله أن تحملي على هذه الخطة ، فإن نفسي لا تسمح بالموت ، ولكن فرسي هذه ( الملحقة ) . والله . ما طلبت عليها شيئاً قطّ إلا لحقتني ، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقتني ، فخذها فهي لك .

قال الحسين : ( أما إذ ارغبت بنفسك عنا ، فلا حاجة لنا في فرسك (2) ولا فيك ، وما كنت متخذ المصلين عضداً (3) . وأني أنصحك كما نصحتني ، إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا ، فافعل ، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم ) (4) .

وندم ابن الحرّ على ما فاته من نصرة الحسين ( عليه السلام ) فأنشأ :

أيا لك حسرة ما دمت حياً      تردّد بين صوري والتواقي  
عداة يقول لي بالقصر قولاً      أتركنا وتغرم بالفواق  
حسين حين يطلب بذل نصري      على أهل العدو والشقاق  
فلو فلّق التلهّف قلب حرّ      لهمّ اليوم قلبي بانفلاق  
ولو واسيته يوماً بنفسي      لنلت كرامة يوم التلاق  
مع ابن محمّد تُفديه نفسي      فودّع ثمّ أسوع بانطلاق  
لقد فاز الألى نصرُوا حُسيناً      وخاب الآخرون ذُوبوا النفاق (5)

( 1 ) أسوار الشهادة : ص 233 .

( 2 ) الأخبار الطوال : ص 249 .

( 3 ) أمالي الصدوق : ص 94 ( المجلس 30 ) .

( 4 ) خزنة الأدب : 1 / 298 .

( 5 ) مقتل الخوارزمي : 1 / 228 . وذكره الدينوري في الأخبار الطوال : ص 258 .

### الصفحة 163

وفي هذا الموضع اجتمع به عمرو بن قيس المشوقي وابن عمّه ، فقال لهما الحسين : ( **جئتما لئصرتي ؟!** )  
قالا له : إنّا كثيروا العيال ، وفي أيدينا بضائع للناس ، ولم ندرِ ماذا يكون ، ونكرهُ أن نُضيع الأمانة .

فقال لهما ( عليه السلام ) : ( **انطلقا ، فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً ، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يُجيبنا ، كان حقاً على الله عزّ وجل أنّ يكبه على منخريه في النار** ) ( 1 ) .

8 . في منزل شواف :

وفي ( شواف ) طلع عليهم الحرّ الرياحي بألف فرس ، بعثه ابن زياد ليحبس الحسين ( عليه السلام ) عن  
الوجه إلى المدينة أينما يجده ، أو يُقدّم به إلى الكوفة .

فسقاهم الحسين ( عليه السلام ) ماءً ، وكانوا عطاشى ، ثمّ خطب فيهم الحسين ( عليه السلام ) وقال :

( **إنّها معزّة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ، وإنّي لم آتكم حتى آتتني كتبكم ، وقدمت بها علي رسلكم ، أن أقدم**

علينا فإنه ليس لنا إمام ، ولعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى ، فإن كنتم على ذلك ، فقد جئتمكم ، فاعطوني ما أطمئنّ به من عهودكم ومواثيقكم ، وإن كنتم لمقدمي كلّهين ، انصرفت عنكم ( 2 ) .

## 9 . في منزل البيضة :

وفي منزل البيضة ، خطب الحسين ( عليه السلام ) في أصحاب الحرّ فقال :

( أيها الناس ، إن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : ( من رأى سلطانا جائراً ، مستخلاً لحوام الله ،

( 1 ) مقتل الحسين : للسيد عبد الزقاق المقومّ : 202 . 205 .

( 2 ) مقتل الحسين : للسيد عبد الزقاق المقومّ : 195 .

## الصفحة 164

ناكثاً عهده ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعنوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله .

ألا وأن هؤلاء قد لرموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمان ، وأظهروا الفساد ، وعطّوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحقّ من غيري ، وقد أتتني كتبكم ، وقدمت علي رسلكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فإن تمتمت على بيعتكم تصيوا رشدكم ، فأنا الحسين بن علي وأمي فاطمة بنت رسول الله . نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم ، ولكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلعمري ما هي لكم بنكر . لقد فعلتموها ، بأبي وأخي وابن عمي مسلم . فالمغرور من اغترّ بكم . فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ( 1 ) .

## 10 . في كربلاء :

وفي كربلاء أقبل حبيب بن مظاهر الأسدي إلى الحسين بن عليّ ( عليهما السلام ) ، فقال : ها هنا حيّ من بني أسد بالقرب منا ، أتأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك ؟ فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكوه ، فقال له الحسين ( عليه السلام ) : **قد أذنتُ لك يا حبيب .**

قال : فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل متتوكراً حتى صار إلى أولئك القوم ، فحياهم وحيوه وعرّفوا أنه من بني أسد ، فقالوا : ما حاجتك ؟ يا ابن عمّ ! فقال : حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم ، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، فإنه في عصابة من المؤمنين ، الرجل منهم خيرٌ

( 1 ) الطوي 6 / 229 . ومقتل الحسين / للمقّم : ص 198 .

### الصفحة 165

من ألف رجل ، لن يخذلوه ولن يسلموه وفيهم عين تُظوت ، وهذا عمر (1) بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألف ، وأنتم قومي وعشيرتي ، وقد جئتم بهذه النصيحة ، فأطيعوني اليوم في نصوته تتالون غداً شرفاً في الآخرة ، فإنّي أقسم بالله أنه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) صاوا محتسباً ، إلا كان رفيق محمد ( صلى الله عليه وآله ) في أعلى عليين .

قال : فوثب رجل من بني أسد يقال له بشر بن عبيد الله فقال : والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة ، ثم أنشأ يقول :

قد علم القوم إذا تواكلوا وأحجم الفُرسان أو تناصلا

إني شجاع بطل مقاتل كأنني ليث عرين باسل



قال : ثم تبادل رجال الحيّ مع حبيب بن مظاهر الأسدي .

قال : وخرج رجل من الحيّ في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر (2) بن سعد في جوف الليل فخوّه بذلك ، فأرسل عمر رجلاً من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيدلوي ، فضم إليه أربعة آلاف فارس ، ووجه به في الليل إلى حيّ بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر .

قال : فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين ، إذ استقبلهم جُند عمر بن سعد على شاطئ الفوات ، قال : فتناوش القوم بعضهم [بعضاً] واقتتلوا قتالاً شديداً ، صاح به حبيب بن مظاهر : ويلك يا أزرق ما لك ولنا دعنا ؟ قال : واقتتلوا قتالاً شديداً .

فلما رأى القوم ذلك انهزموا راجعين إلى منزلهم ، فوجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين ( عليه السلام ) ، فأعلمه بذلك الخبر فقال : **لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم (3)** .

(1) في النسخ : عمرو .

(2) في النسخ : عمرو .

(3) كتاب الفوح لابن الأعمش الكوفي : ج 5 / 159 . 162 ، ط 1 .

## الصفحة 166

11 . وفي كربلاء دعا الحسين ( عليه السلام ) بِنَوَاةٍ وبيضاء ، وكتبَ إلى أشرف الكوفة ممن كان يظن أنه على رأيه :

( بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليّ إلى سليمان بن صرد الخوّاعي (1) .

أما بعد فقد علمتم أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قد قال في حياته : من رأى سلطاناً جائراً إلى آخر ما ذكره في خطبة الأصحاب ) .

يوم عاشوراء :

وللحسين ( عليه السلام ) يوم عاشوراء استنصران واستغاثة :

وفيما يلي تفصيل كلِّ من الاستنصرين والإستغاثة الحسينية في يوم عاشوراء .

12 . الاستنصار الأول يوم عاشوراء :

دعا الحسين ( عليه السلام ) واحلته يوم عاشوراء ، فوكبها ونادى بصوتٍ عال يسمعه جلُّهم :

( أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُوا حَتَّىٰ أَعْظِمَ بِمَا هُوَ حَقٌّ لَكُمْ عَلَيَّ ، وَحَتَّىٰ أَعْتَدَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عَلَيَّ وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعَذْرَ ، وَلَمْ تَعْطُوا النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ) . ( فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ ) .

(1) نفس المهموم : ص 207 ، البحار 44 / 382 .

### الصفحة 167

وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (1) ( إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ) (2) .

فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين ورتفعت أصواتهم ، فرسل إليهن أخاه العباس وابنه علي الأكبر وقال لهما : ( سكتاهن فلعمري ليكثر بكوهن ) .

ولما سكتن ، حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء ، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكوه ، ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقته (3) .

ثم قال : ( الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالا بعد حال ، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته ، فلا تغونكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخبب طمع من طمع

فيها ، ورأكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحل بكم نعمته ، وجنبكم رحمته ، فنعيم الربّ ربنا وبئس العبيد أنتم ، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، ثم إنكم زحفتم إلى نريته وعتوته تريدون قتلهم ، وقد استحوذَ عليكم الشيطان فأنساكم ذكرَ الله العظيم ، فتباً لكم ولما تريدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين ( 4 ) .

( أيها الناس ، انسابوني من أنا ، ثم رجوا إلى أنفسكم وعاتبوا ، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك

حُرمتي ؟ ألسنتُ ابن بنت نبيكم وابن وصيةٍ وابن عمه "

( 1 ) يونس / 71 .

( 2 ) الأعراف / 196 .

( 3 ) تزيخ الطوي : 6 / 242 .

( 4 ) مقتل محمد بن أبي طالب .

## الصفحة 168

وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أو ليس حنزة سيد الشهداء عم أبي ، أو ليس جعفر الطيار عمي ، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي : هذان سيدي شباب أهل الجنة؟

فإن صدقتموني بما أقول ، وهو الحق فوالله ما تعددت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وإن كذبتوني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخوري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن رقم ، وأنس ابن مالك ، يخبرونكم إنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ) .

فقال الشمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يوري ما يقول .

فقال له حبيب بن مظاهر : والله إنِّي رَأَاكَ تَعْبُدُ اللهَ على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنك صادق ، ما تروي ما يقول ، قد طَبَعَ اللهُ على قلبك .

ثمَّ قال الحسين ( عليه السلام ) : ( فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَفْتَشْكُونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ ؟ ) فَوَاللهَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي فَيْكُمْ وَلَا فِي غَيْرِكُمْ ، وَيَحْكَمْ ! أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتَهُ ، أَوْ مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتَهُ ، أَوْ بَقِصَاصٍ جِرَاحَةٍ ؟ ) فَأَخَذُوا لَا يَكْلَمُونَهُ .

فنادى : ياشبث بن ربعي ، ويا حجار بن أبحر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد ابن الحرث ، ألم تكتبوا إليَّ أن أقدمَ قد أَيْنَعَ الثَّمارَ واخضَرَ الجَنابَ ، وإِنَّمَا تَقْدِمُ عَلَى جَنْدُلِكَ مَجْنَدَةٌ .

فقالوا : لم نفعَل .

قال : سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم . ثمَّ قال : ( أَيُّهَا النَّاسُ ، إِذَا كَوَّهْتُمُونِي ، فَدَعُونِي أَنْصَرِفَ عَنْكُمْ إِلَى مَأْمَنِي مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ : أَوْ لَا تَقُولُ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ ؟ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مَكْرُوهٌ .

## الصفحة 169

فقال الحسين ( عليه السلام ) : أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ أَتُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنُو هَاشِمٍ أَكْثَرَ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ بِنِ عَقِيلٍ ؟ لَا وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ وَلَا إِفْرَ فَوَارِ الْعَبِيدِ ( 1 ) ، عِبَادَ اللهِ ( إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ) أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مَتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ( 2 ) .

## 13 . الاستنصار الثاني في يوم عاشوراء :

ثمَّ إنَّ الحُسَيْنَ ( عليه السلام ) رَكِبَ نَفْسَهُ ، وَأَخَذَ مِصْحَفًا وَنَثَرَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَوَقَفَ بِرَأْسِ الْقَوْمِ وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ ، وَسُنَّةُ جَدِّي رَسُولِ اللهِ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ( 3 ) .

ثمَّ اسْتَشْهَدَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ سَيْفِ النَّبِيِّ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) وَرُوعِهِ وَعِمَامَتِهِ ،

فأجاوه بالتصديق . فسألهم عمّا أقدمهم على قتله ، قالوا : طاعة للأمير عبيد الله بن زياد ، فقال ( عليه السلام )

:

( تَبَا لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحًّا ! أَحِينِ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالْهَيْنِ فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا لَنَا

فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَزْلًا أَقْتَدَحْنَاهَا عَلَيَّ

( 1 ) بالفاء الموحدة فيما رواه ابن نما في مثير الأضغان : ص 26 ، وهو أصح مما يمضي على الألسن ،  
ويوجد في بعض المقاتل بالقاف من الإقار ؛ لأنه على هذا تكون الجملة الثانية غير مفيدة إلا ما أفادته التي قبلها  
، بخلاف على قاءة ( الفوار ) فإن الجملة الثانية تفيد أنه لا يفر من الشدة والقتل كما يصنعه العبيد ، وهو معنى  
غير ما تؤدي إليه الجملة التي قبلها ، على أنه يوجد في كلام أمير المؤمنين ما يشهد له ، ففي تزيخ ابن الأثير :  
ج 3 ص 148 ، وشوح نهج البلاغة : ج 1 ص 104 المطبعة الأميرية : أن أمير المؤمنين قال في مصقلة بن  
هيرة لما فر إلى معاوية : ما له فعل فعل السيد ، وفر فوار العبد ، وخان خيانة الفاجر ؟

( 2 ) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقوم : 254 . 257 .

( 3 ) تذكرة الخواص : ص 143 .

## الصفحة 170

عَوْنَا وَعَدُوَكُمْ ؟ فَأَصْبَحْتُمْ أَلْبَا لِأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ بغير عدلٍ أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، فهلا  
لكم الويلات ، تركتمونا ، والسيف مشيم ، والجأش طامن ، والرأي لما يستحصف ، ولكن أسوعم كطيرة (1)  
الدبا ، وتداعيتم عليها ، كتهافت الفؤاش ، ثم نفضتموها ، فسحقا لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ، ونبذة  
الكتاب ، ومحرّفي الكلم ، وعصبة الإثم ، ونفثة الشيطان ، ومطفئي السنن ! ويحكم ! أهؤلاء تعضدون وعنا  
تتخاذلون ؟ أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم ، وتأزرت فروعكم ، فكنتم أخبث ثمر ، شجى للناظر  
وأكلة للغاصب ) .

( أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَد رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السَّلَةِ وَالذَّلَةِ ، وَهِيهَاتَ مَنَا الذَّلَّةَ يَا بِيَّ اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ

ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وظهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصرع الكوام ، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر ( 2 ) .

14 . الاستغاثة الأخوة للحسين ( عليه السلام ) يوم عاشوراء :

ولما نظر الحسين ( عليه السلام ) كثرة من قتل من أصحابه ، قبض على شيبته المقدسة وقال : ( اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً ، واشتد غضبه على النصرى إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، واشتد غضبه على المجوس إذ عبثوا الشمس والقمر بونه ، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم ، أما والله لا أجيبهم

( 1 ) بالكسر فالفتح ( تاج العروس ) .

( 2 ) نقلناها من اللهوف : ص 54 ، ورواها ابن العساكر في تزيخ الشام : ج 4 ص 333 ، والخوارزمي في المقتل : ج 2 ص 6 .

### الصفحة 171

إلى شيء يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي ) ، ثم صاح : أما من مغيث يغيثنا ، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ( 1 ) ، فبكت النساء وعلا صراخهن .

وسمع الأنصريان سعد بن الحرث وأخوه أبو الحثوف استنصار الحسين واستغاثته وبكاء عياله وكانا مع ابن سعد ، فمالا بسيفهما على أعداء الحسين ، وقاتلا حتى قُتلا ( 2 ) .

قال السيد ( رضي عنه الله ) : ولمأ رأى الحسين ( عليه السلام ) مصروع فتيناه وأحبته عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى : هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، هل من موحد يخاف الله فينا ، هل مغيث يرجو الله يا غائتنا ، هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا . فارتفعت أصوات النساء بالعويل ، فتقدم إلى باب الخيمة وقال لؤينب : ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه ، فأخذه وأوماً إليه ليقبله ، فوماه حرملة

بن كاهل الأسدي بسهمٍ ، فوقع في نحره ، فذبحه (3) .

فقال ( عليه السلام ) لزينب : **خُذِيهِ** ، ثم تلقى الدم بكفيه ، فلما امتلأت رمى بالدم نحو السماء ، ثم قال : **هَوْنٌ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِيْنُ اللَّهِ (4)** .

وحكى السبط في التذكرة عن هشام بن محمد الكعبي قال : لما رأهم الحسين ( عليه السلام ) مصوين على قتله ، أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى : **( بيني وبينكم كتاب الله وجدِّي محمد رسول الله ، يا قوم بم تستحلّون دمي ؟ )** ، فساق الكلام (5) إلى أن قال : فالتفت الحسين ( عليه السلام ) ، فإذا بطفل له يبكي عطشاً ،

(1) اللهوف : ص 57 .

(2) الحدايق الوردية (مخطوط) .

(3) الملهوف : ص 102 .

(4) الملهوف : ص 103 .

(5) هذا كلامه ( عليه السلام ) الذي ساقه : **ألست ابن بنت نبيكم ، ألم يبلغكم قول جدِّي في وافي أخي =**

## الصفحة 172

فأخذه على يده وقال : **يا قوم إن لم ترحموني فرحموا هذا الطفل** ، فرماه رجل منهم بسهم فذبحه ، فجعل الحسين ( عليه السلام ) يبكي ويقول : **( اللهم أحكم بيننا وبين قومٍ دعونا لينصرونا فقتلونا )** . فنودي من الهواء : **دعُه يا حسين فإنَّ له مرضعاً في الجنة** .

ثم قال : ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه ، فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول : **( اللهم أشكو إليك ما يفعل بي وبإخوتي وولدي وأهلي . الخ ) (1)** .

## 15 . استنصار زهير (رحمه الله) يوم عاشوراء :

وخرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب ، وهو شاكٍ في السلاح فقال : ( يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار ، إنَّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة متأهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة . إن الله ابتلانا وإياكم بنويرة نبيه محمد ( صلى الله عليه وآله ) ؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصوصهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تتركون منهما إلا سوء عمر سلطانهما ، ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان

= ( هذان سيّدا شباب أهل الجنة ) ، إن لم تصدقوني فاسألوا جاورا يزيد بن رقيم وأبا سعيد الخوري ، أليس جعفر الطيار عمي ؟ فناداه شمر : الساعة ترد الهلوية . فقال الحسين (عليه السلام) : الله أكبر أخبرني جدّي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فقال : رأيت كأنّ كلبا ولّع في دماء أهل بيتي وما أخالك إلا إياه . فقال شمر : أنا أعبد الله على حرف إن كنت أوي ما تقول . فالتفت الحسين فإذا بطفل له . الخ (منه) . تذكوه الخواص : 143 .

( 1 ) تذكرة الخواص / ص 143 .

## الصفحة 173

بكم ، ويرفعانكم على جنوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وواءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه ) .

فسوّه وأنثوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا : لا نوح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً .

فقال زهير : عباد الله إنّ وُلد فاطمة أحقّ بالود والنصر من ابن سمية ، فإن لم تتصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم ، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد ، فلعمري إنه ليؤضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ( عليه السلام ) .



فوماه الشمر بسهم وقال : اسكُتْ أسكُتْ الله نامتك ، أومنتنا بكثرة كلامك .

فقال زهير : يابن الوال على عقبيه ما إياك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم .

فقال الشمر : إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة .

فقال زهير : أقبال الموت تخوفني ؟ فو الله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم ، ثم أقبل على القوم رافعا صوته وقال :

عباد الله لا يغوتكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه ، فو الله لا تنال شفاعة محمد ( صلى الله عليه وآله ) قوما هوقا دماء نريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصورهم وذبح عن حريمهم .

فناداه رجل من أصحابه أن أبا عبدالله يقول لك : **أقبل ، فلعمري لئن كان مؤمن آل فوعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء ، فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ (1) .**

( 1 ) تزيخ الطوي 6 / 243 .

## الصفحة 174

### ب . الدلالات

#### الدلالات الأربعة لخطاب الاستنصار الحسيني

لخطاب الاستنصار الحسيني أربع دلالات :

1 . الدلالة السياسية 2 . الدلالة الحركية 3 . الدلالة الولائية 4 . الدلالة الشمولية .

وفيما يلي توضيح وشرح لهذه الدلالات الأربعة التي يتضمنها الخطاب الحسيني .

## 1 . المضمون السياسي لخطاب الاستنصار الحسيني

الاستنصار ، والتعبئة ، وتحشيد الرأي العام ، والإعلام ضدّ الطاغية ، من مقومات كل مواجهة سياسية ضد نظام حاكم ، يحكم بالظلم .

فإنّ الصواع على الحكم بين الحاكم والمعرضة صواع غير متكافئ من الناحية الميدانية .

ذلك أنّ الحاكم يملك من القوة والمال والإعلام والسلطان ما لا يملكه المعرضة .

ولا غنى للمعرضة ، أية معرضة ، في معركة من هذا القبيل من أن تعمل كل جهدها ، وتسعى لكسب الرأي العام إلى جانبها ، وكسب القوة والاستنصار ،

### الصفحة 175

وتحشيد الرأي العام والتعبئة .

ونحن على يقين أنّ الحسين ( عليه السلام ) لم يكن يفكر ، يوم أقدم على الخروج... في أن يهزم طاغية عصره في مواجهة عسكرية ميدانية ، ولا نحتاج إلى محاسبات عسكرية وسياسية ؛ لنعرف أنّ الحسين ( عليه السلام ) لم يكن بصدد إسقاط يزيد ، وانتزاع السلطان والمُلك والحكم من يده ، وهو أولى به من غيره .

وإنّما كان الحسين ( عليه السلام ) يفكر في أمين أحدهما سياسي ، والآخر حركي .

أمّا الهدف السياسي من حركة الحسين ( عليه السلام ) : وهو إلغاء شوعية الخلافة الأموية وفضح يزيد ، وكسر هيئته وعزله سياسياً واجتماعياً .

وأمّا الهدف الحركي فهو توعية الناس ، وكسر حاجز الخوف ، وتحريك الناس وتثويرهم ؛ لإسقاط نظام الطاغية ، واستنهاض الأمة ، وإعادة رادتها المسلوقة ووعيها المسلوب إليها .

والهدف الأول هدف سياسي بالتأكيد ، والحسين ( عليه السلام ) يدخل في مواجهة سياسية مع أعنى نظام سياسي وأشرسه ، والاستنصار جزء من هذه المعركة .

والاستنصار دعوة إلى تطويق النظام الأموي ومحاصرته وغزله ، وتحجيم دوره وإلغاء شعبيته... وهو جزء من رسالة الإمام الحسين ( عليه السلام ) في هذه المعركة الشاملة .

## 2 . المضمون الحركي لخطاب الاستنصار الحسيني

والدلالة الأخرى لخطاب الاستنصار الحسيني هي الدلالة الحركية ...

ولتوضيح ذلك لا بدّ أن نرسم الإطار العام لخروج الحسين ( عليه السلام ) ، وعناصر هذا الإطار ثلاثة :

1 . رفض البيعة ليزيد : وقد أعلن الحسين ( عليه السلام ) رفضه لبيعة يزيد عندما أرسل

### الصفحة 176

الوليد والي بني أمية في المدينة ، يطالبه بالبيعة بعد هلاك معاوية ، وكان ذلك بحضور مروان بن الحكم ، فامتنع الحسين ( عليه السلام ) من البيعة ، وقال مثلي لا يبيع سواً ، فإذا دعوت الناس دعوتنا معهم .

فاقتنع الوليد ، لكن مروان ابتوره قائلاً : إن فارقك الساعة ، ولم يبيع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتل بينكم ، ولكن احبس الرجل حتى يبيع أو تضوب عنقه .

فقال الحسين ( عليه السلام ) : **يا بن الزرقاء (1) أنت تقتلني أم هو ، كذبت وأثمت .**

ثم أقبل على الوليد ، وقال : **أيها الأمير إننا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا يختم ، ويزيد رجل شرب الخمر ، وقاتل النفس المحترمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبيع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون (2) .**

وفي كربلاء خطب الحسين ( عليه السلام ) وقال : **( إنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد خيراً بين السلة والنذلة ، وهيهات منّا النذلة يابى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهوت ) .**

2 . إعلان الرفض : لم يتكتم الحسين ( عليه السلام ) برفضه البيعة ، وعرف الناس جميعاً أن الحسين ( عليه السلام ) ممتنع عن البيعة ، ونصحه بعض الناس بالبيعة وآخرون أن يخفي نفسه عن الأمصار .

ولكن الحسين ( عليه السلام ) أعلن أنه يرفض البيعة ويريد الخروج إلى مكة ، وترك وصيته إلى بني هاشم وكافة المسلمين عند أخيه محمد بن الحنفية ، وغادر المدينة

( 1 ) الزرقاء جدّة مروان وكانت من البغايا المعروفات . الفخرية : 88 .

( 2 ) مقتل الحسين للسيد عبد الزراق المومّ ، عن الطوي وابن الأثير ، والإرشاد ، وأعلام الوري ، ومثير الأخوان لابن نما الحلّي .

### الصفحة 177

إلى مكة ، سالكا الطريق العام الذي يسلكه الناس ، وراه الناس فيه ، فقيل له لو تتكبت الطريق الأعظم ، كما فعل ابن الزبير قال : لا والله لا أفرقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ (1) .

ودخل مكة ، وهو يوقاً :

(ولمّا توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) (2) .

وتول دار العباس بن عبد المطلب (3) ، واختلف إليه أهل مكة ومن بها من المعتمدين وأهل الآفاق ، وكان ابن الزبير يأتي إلى الحسين ( عليه السلام ) فيمن يأتيه .

وكان بإمكان الحسين ( عليه السلام ) أن يأخذ بنصيحة من ينصحه ، بإخفاء نفسه ، فيخفي نفسه عن الأنظار ، ويذهب إلى بعض الثغور ، ويبتعد عن الأضواء ، وبذلك يسلم من أذى بني أمية وكيدهم ، وكان لا يخفي هذا الوجه على الحسين ( عليه السلام ) ، كما صرح بذلك لجملة من الذين نصوه ، ولكنه أصر أن يرفض البيعة ، وأصر أن يعلن رفضه ، ويبقى تحت الأضواء ، ويصلح الناس وأيه في يزيد وبيعتة ، وبأنه أحق بذلك من كل إنسان آخر على وجه الأرض .

3 . الخروج والثورة : وأصرّ الحسين ( عليه السلام ) بعد ذلك أن يخرج من الحجاز إلى العراق ؛ ليواجه

فيه بني أمية .

وإذا أنعمنا النظر في كلمات أولئك الذين نصوا الحسين ( عليه السلام ) بالامتناع عن الخروج إلى العواق ، نجد أنّ كلامهم يتضمّن ثلاث نقاط .

**الأولى :** إنّ خروج الحسين ( عليه السلام ) إلى العواق بمعنى الثورة (4) والمواجهة

(1) إرشاد المفيد .

(2) القصص / 22 .

(3) تزيخ ابن العساكر : 4 : 328 .

(4) انظر نصيحة محمد بن الحنفية للحسين ( عليه السلام ) في المدينة . الكامل في التزيخ لابن الأثير 4 :

= ، 7

## الصفحة 178

بعينها لنظام بني أمية .

**والثانية :** إنّ شيعة الحسين ( عليه السلام ) في العواق إذا وفوا للحسين ( عليه السلام ) بعهودهم ومواثيقهم

، فلن يستطيعوا أن يدفعوا عن الحسين ( عليه السلام ) كيد بني أمية ومكرهم وشوهم ، ولن يغلبوا سلطان بني

أمية على العواق .

**والثالثة :** وبناءً على ذلك فإنّ الحسين ( عليه السلام ) إذا خرج إلى العواق فهو مقتول لا محالة .

ولم تكن هذه الحقائق تخفى على الإمام ( عليه السلام ) ، ولم يكن يجهل الإمام ( عليه السلام ) أنّ خروجه

إلى العواق بمعنى الخروج على سلطان بني أمية علانية ، ولم تكن تخفى على الحسين ( عليه السلام ) عاقبة هذا

الخروج .

ولا يصحّ ما يرويّه بعض الناس أنّ الحسين ( عليه السلام ) طلب منهم أن يخلوا له الطريق إلى بعض

الثغور ، بعيداً عن الأضواء ، وبعيداً عن التصديّ والمواجهة ، فلا يعطيهم يده للبيعة ، ولا يتصدى للخروج والمواجهة .

روى الطوي وابن الأثير عن عقبة بن سمعان أنّه قال : صحبت حسيناً ، فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العواق ، ولم أفرقه حتى قتل ( عليه السلام ) ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ، ولا بمكة ، ولا في الطويق ولا بالعواق ، ولا في معسكرٍ إلى يوم قتله إلا وقد سمعتها . لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما زعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ، ولا أن

ونصيحته له في مكة . البحار : 44 ، ونصيحة عبدالله بن جعفر الطيار له بالامتناع عن الخروج إلى العواق . الطوي 6 : 219 ، ونصيحة عبدالله بن العباس له . الكامل في التاريخ لابن الأثير 4 : 16 ، ونحن نشك في صدق كل هؤلاء في نصيحتهم للحسين ( عليه السلام ) ، ولا نشك أن الحسين ( عليه السلام ) لم يكن يخفي عليه هذا الوجه من الوأي .

### الصفحة 179

يُسيّره إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : ( دعوني في هذه الأرض حتى ننظر ما يصير أمر الناس ) (1) .

وكان من رأي محمد بن الحنفية أن يخفي الحسين ( عليه السلام ) نفسه عن الأنظار ، ويتعد عن أجواء المواجهة والتصدي ، يلتحق بالجبال وشعب الجبال ، ويخرج من بلد إلى آخر ، حتى ينظر ما يصير إليه أمر الناس (2) .

فأبى الحسين ( عليه السلام ) وأصرّ على الخروج .

ونصح ابن عباس أن يسير إلى اليمن ، فإن بها حصونا وشعباً وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيه ( عليه السلام ) بها شيعة ، وهو عن الناس في غولة .

فقال له الحسين ( عليه السلام ) : **( يابن العمّ إني والله أعلم إنك ناصح مشفق ، وقد رُفعت على المسير )** . (3)

إذن فإنّ الحسين ( عليه السلام ) كان يقصد الخروج ويريده ، وهو على علم بكلّ لوزمه وتبعاته وعواقبه .  
هذا هو الإطار العام لحركة الإمام الحسين ( عليه السلام ) وموقفه من المدينة إلى كربلاء ، وفي هذا الإطار نستطيع أن نفهم الاستنصار الحسيني .

إنّ الحسين يعلم أنّه إن خرج إلى العواقر يقتل لا محالة ، وكلّ القوائن والدلائل تشير إلى هذه الحقيقة .  
إذن فإنّ الحسين ( عليه السلام ) يطلب النصر بالقتل والدم . ولم يكن يفطن يومئذ ابن عباس وعبدالله بن جعفر الطيّار ومحمد بن الحنفية لهذه الوسيلة التي اتخذها

( 1 ) تريخ الطوي 7 : 314 ، والكامل في التريخ لابن الأثير 4 : 15 .

( 2 ) تريخ الطوي 6 : 191 ، وأنساب الأشراف 4 : 15 .

( 3 ) الكامل في التريخ لابن الأثير 4 : 16 .

## الصفحة 180

الحسين ( عليه السلام ) يومئذٍ طويلاً إلى النصر .

لقد كان الحسين ( عليه السلام ) شاهداً لنجاح المؤامرة الأموية ، التي قادها آل أبي سفيان للانقلاب على الأعقاب ... وقد فقدت الأمة في عوضها العريض حصانتها تجاه هذه المؤامرة ، وعاد الضمير الإسلامي لا يملك الدرجة الكافية من المناعة والمقاومة .

ولا يختلف في ذلك أهل العواقر عن أهل الشام ، وأهل مصر عن أهل الحجاز ، فرأد الحسين ( عليه السلام ) أن يحدث هوةً بشهادته وشهادة الثلثة الطيبة من أهل بيته وأصحابه في الضمير الإسلامي ، ويعيد إليهم ما سلبه

منهم آل أبي سفيان من ضماؤهم وغوائهم ورؤسدهم .

وقد كان الذي يريده الحسين ( عليه السلام ) بمصوعه ومصوع أهل بيته وأصحابه والمأساة التي يتناقلها أهل السير ، فأحدث في الضمير الإسلامي هوةً عنيفة ، وصحوة ضمير كانت مبدأً كثير من البركات والثرات والوعي واليقظة السياسية في تزيخ الإسلام .

### المؤامرة الأموية على دم الحسين ( عليه السلام )

وقد خطط آل أبي سفيان لإهدار دم الحسين ( عليه السلام ) في مكة في موسم الحج ، وبلغ الحسين ( عليه السلام ) أن يزيد أنفد عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر ، وأمره على الحج وولاه أمر الموسم ، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجدته (1) ، فعجل الحسين بالخروج من مكة قبل الوقوف بعرفات يوم التروية ، ولم يمكن بني أمية من اغتياله فيذهب دمه هواً ؛ وبذلك أحبط المؤامرة التي خطط لها بنو أمية .

( 1 ) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقوم / ص 172 ، والمنتخب / ص 172 .





## الصفحة 181

يروى أبو مخنف عن أسديين قالا : خرجنا من الكوفة حتى قدمنا مكة ، فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين ( عليه السلام ) وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ... فسمعنا ابن الزبير يقول الحسين ( عليه السلام ) : إن شئت أن تقيم أمت فولييت هذا الأمر ، فأزرنك وساعدناك ونصحننا لك وباعناك .

فقال الحسين ( عليه السلام ) : ( إنَّ أبي حدَّثني أنَّ بها كبشًا يَسْتَحِلُّ حُرْمَتُهَا ، فما أحبُّ أن أكون ذلك الكبش ) (1) .

ولما بلغ عمرو بن سعيد أن حسينا قد خرج ، فقال اطلوه . لكوا كل بغير بين السماء والأرض فاطلوه . فعجب الناس من قوله هذا (2) .

فاعترضه ( عليه السلام ) يحيى بن سعيد بن العاص ومعه جماعة أرسلهم عمرو بن سعيد إليه فقالوا له ( عليه السلام ) : انصرف أين تذهب ؟ فأبى عليهم ومضى وتدافع الفويقان وتضربوا بالسياط ، وامتنع الحسين ( عليه السلام ) وأصحابه امتناعاً قوياً (3) .

وواضح لمن يعلم خفايا كيد بني أمية ، أن بني أمية كانوا لا يريدون أن يعطوا للحسين ( عليه السلام ) فرصة للخروج والثورة ، وكانوا يخططون لاغتيال الحسين ( عليه السلام ) .

وقد جاء عمرو بن سعيد بن العاص من عند يزيد بخطة كاملة ؛ لاغتيال الحسين ( عليه السلام ) في الموسم .

فلما علم الإمام بذلك غادر مكة إلى العواق يوم التروية ، ليفوت على آل أبي سفيان فرصة المؤامرة ، ويحبط عليهم خطتهم .

وقد رُجِعَ عمرو بن سعيد بن العاص نبأ مغاورة الحسين ( عليه السلام ) للموسم يوم

( 1 ) تزيخ الطوي 7 / 275 . 276 .

( 2 ) العقد الفريد 4 / 377 .

( 3 ) الإرشاد / 201 .

### الصفحة 182

التروية بهذه الصورة ، وأرسل إليه يحيى بن سعيد بن العاص ليطلب من الحسين أن يعود إلى الموسم ، إلا أنه رجع من نون أن يحقق شيئاً مما كان يريد عمرو بن سعيد بن العاص ، كما لم يصنع مروان بن الحكم قبله شيئاً ، عندما أنكر على الوليد أن يتوك الحسين ( عليه السلام ) ليخرج من عنده من غير بيعة في تلك الليلة .

وقال له بصراحة ( إن فرقك الساعة ولم يبايع ، لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم ، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه ) .

ولكن الحسين ( عليه السلام ) كان قد أعدّ العدة لمثل هذه المفاجأة من قبل ، فصحب معه جمعا من الفتيان ، وقفوا بسيوفهم على باب الأمير ؛ ليتدخلوا بالقوة إذا اقتضى الأمر ، وكان كذلك .

### عودة إلى الدلالة الحركية للخطاب الحسيني :

إذن كان الحسين ( عليه السلام ) يُعدّ نفسه للخروج والثورة على يزيد ، وهو لا يريد بهذه الثورة إلحاق هزيمة عسكرية بيزيد ، وإنما يريد أن يستنهض المسلمين ويحوّهم ويحركهم لمقاومة الظالم ، ويعيد إليهم وعيهم وضماؤهم وغوائهم كما قلنا .

فلست أروي ماذا دهى المسلمين حتى رضوا بيزيد بن معاوية خليفة لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ولم يمض من وفاة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أكثر من نصف قرن .

وخطاب الاستنصار الحسيني يحمل الدعوة إلى الثورة والمقاومة في وجه الظالم ، والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر .

( أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قَالَ : ( مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَاءُوا مَسْتَحِلًّا لِحَوَامِ اللَّهِ ،

### الصفحة 183

ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيرُ عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله ) . وهذه هي الصفة البارزة الأولى في خطاب الاستنصار الحسيني .

### 3 . المضمون الولائي لاستنصار الحسين ( عليه السلام ) :

للاستنصار علاقة وثيقة بشبكة الولاء ، فتجب النصرة في شبكة الولاء عند الاستنصار . وشبكة الولاء ذات بُعدين : البعد العمودي ، والبعد الأفقي ، وهما سواء في وجوب النصرة عند الاستنصار .

#### البعد العمودي من شبكة الولاء :

أما البعد العمودي في هذه الشبكة فهو الولاء لله ولرسول الله ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ولأئمة المسلمين وأولياء أمرهم . يقول تعالى : ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ) (1) وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة بأسانيد مستفيضة عن طرق الفويقين ، أن الآية الكريمة تولت في عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) إمام المسلمين ، وهو المقصود بقوله تعالى : ( الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ) عندما تصدّق بخاتمه وهوراعع في الصلاة خلف رسول الله ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ، ويقول تعالى : ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) (2) .

#### البعد الأفقي من شبكة الولاء :

وأما البعد الأفقي في هذه الشبكة فهو الولاء للمؤمنين : ( المؤمنون بعضهم

## الصفحة 184

أولياء بعض ) وعلى هذا البُعد من شبكة الولاء : المؤمنون أسوة واحدة ، تربطهم رابطة الولاء ، مهما كانت لغاتهم وألوانهم وأوطانهم وطبقاتهم .

ويشترك البُعد العمودي والبُعد الأفقي في الولاء في وجوب الحب والنصر والنصيحة والسلام ، ويتميز البُعد العمودي من الولاء بوجود الطاعة ، فتجب طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر ، وطاعة من يأمر الله تعالى ورسوله وأولو الأمر بطاعتهم .

### الصيغة التوحيدية في شبكة الولاء :

وكل ما يجب في هذه الشبكة على أعضائها من الحب والنصر والتعاون والنصيحة والسلام والتعاون والطاعة ، إنما يجب بأمر الله تعالى .

ويأتي في امتداد طاعة الله تعالى وحده ، فلا طاعة لرسول الله ولا لأولي الأمر من نون طاعة الله ، وإنما يجب طاعتها بأمر الله .

ولا يجب حب رسول الله ولا الأمر ولا المؤمنين ، ولا يجب نصرهم ولا تجب نصيحتهم ، إلا بأمر الله تعالى .

وهذه هي الصيغة ( التوحيدية ) لشبكة الولاء ، وهي خصوصية بارزة ومحورية في كل هذه الشبكة ، وفي كل ما يجب ويحرم في هذه الشبكة الواسعة ، وفي أعضاء أسوة التوحيد الكبيرة .

### مقومات الولاء في البُعد الأفقي :

يقول تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَنُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ) (1) .

### الصفحة 185

وهذه المجموعة من العناصر هي التي تشدّ المؤمنين بعضهم ببعض بأصوة الولاء . وهذه المجموعة هي الإيمان ، والهجرة ، والجهاد ، بالأموال والأنفس والإيواء والنصوة .

والآية الكريمة وإن كانت تُشير إلى المهاجرين والأنصار صدر الإسلام . ولكن تبقى هذه العناصر بروحها من ثوابت الولاء ، ولأولاء من دونها بين المؤمنين .

ذلك أنّ أسوة التوحيد الكبيرة كلّها في مواجهة الشرك والكفر والظلم والاستكبار .

وهذه المواجهة حتمية من ناحية ، ومصيرية من ناحية أخرى . فلا بدّ أن يدخل المؤمنون في هذه المواجهة كتلة واحدة وصفاً واحداً ، تربطهم أصوة الولاء أولئك بعضهم من بعض ، كما أن الأمر كذلك في أسوة الشرك والكفر تدخل في هذه المواجهة كتلة واحدة ، تربطها علاقة الولاء العضوية بعضهم من بعض .

### الولاء والإيمان الحقّ :

والإيمان الحقّ ، هو الإيمان الفاعل المؤثر الذي يشدّ بعض المؤمنين ببعض ، ويجعلهم في مواجهة الكفر والشرك والاستكبار . والإيمان الحقّ خصب وليس بعقيم . يوصل ويفصل : يوصل المؤمنين بعضهم ببعض ، ويفصل المؤمنين عن المشوكين والكافرين .

والإيمان الحقّ مصدر عطاء وثرة ونصر وفعل في حياة الإنسان المسلم . ولا يكون الإيمان حقاً إلا ضمن شبكة الولاء بكلّ مقوماتها .

يقول تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا

### الصفحة 186

## وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ (1) .

وهذه هي القضية الأولى ، والقضية الثانية أن المؤمنين حقاً بعضهم من بعض .

يعني أنّ الإيمان الحقّ يجمع شتات المؤمنين ، ويجعلهم كتلة واحدة وصفاً واحداً ، ويجعل بعضهم من بعض كأعضاء الجسد الواحد .

### خصائص وآثار شبكة الولاء

#### السلام والعصمة في شبكة الولاء :

ومن أهمّ خصائص شبكة الولاء حالة ( السلام ) و ( العصمة ) . الإنسان المسلم يتعامل مع الآخرين بسلام . ويتمتع تجاه تعامل الآخرين بالعصمة . يمنح الآخرين السلام في تعامله معهم وعلاقته بهم ، ويتمتع هو بالعصمة فلا يحقّ له أن يعتدي على أحد ، ولا أن يؤذي أحداً من المسلمين ويظلمه ، كما لا يحقّ لأحد أن يخترق العصمة التي منحها الله تعالى ، ويهتكها .

فهو يعيش مع الآخرين ( بسلام ) من طرف ، ويطالب الآخرين ( بالعصمة ) من طرف آخر ، وهذا أحد أهمّ بنود الولاء في علاقة المؤمنين ببعض داخل شبكة الولاء .  
واليكم توضيحاً موجزاً لهاتين الكلمتين : ( السلام ) و ( العصمة ) .

#### معنى السلام :

رُوي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، ولا يحقّ أذى المسلم إلا بما يجب ) .

وعن أبي عبد الله الصادق ( عليه السلام ) : ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يخونه ،  
ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم  
على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله رُحماء بينكم ، متواحمين ) (1) .

وشبكة الولاء على متانتها واستحكامها وقوّتها حسّاسة شديدة الحساسية تجاه الإساءة والأذى .

عن أبي عبد الله الصادق ( عليه السلام ) : ( إذا قال رجل لأخيه المؤمن أفّ ، خرج من ولايته ) .

( وإذا قال : أنت عدوي كفر أحدهما . ولا يقبل من مؤمن عملاً ، وهو مضرر على أخيه سوءاً ) (2) .

وعن الصادق ( عليه السلام ) : ( إنّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها تردّت بينه وبين الذي يلعن ، فإن

وجدت مساعاً ، وإلّا رجعت إلى صاحبها ، وكان أحقّ بها ، فاحذروا أن تلعنوا ، فيحل بكم ) (3) .

معنى العِصمة :

وفي العِصمة روي عن رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) : ( المسلم على المسلم هوام : دمه وعرضه

وماله ) (4) .

وعن رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) : ( المسلم أخو المسلم ، لا يخونه ولا يكذّبه ولا يخذله . كلّ

المسلم على المسلم هوام عرضه وماله ودمه ) (5) .

(1) وسائل الشيعة 8 / 543 .

(2) وسائل الشيعة 8 / 611 .

(3) وسائل الشيعة 8 / 613 .

(4) مسند أحمد بن حنبل 2 / 491 .

(5) سنن الترمذي 4 / 325 ، ح 1927 .

## الصفحة 188

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : ( كلّ مسلم على مسلم محرّم ) (1) .

عن زيد الشحام عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال : ( أيّها الناس اسمعوا ما أقول لكم واعقلوا عنيّ ، فإنّي لا أروي لعلّي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا ، ثم قال : أيّ يوم أعظم حرمة ؟ قالوا هذا اليوم ، قال : فأبى شهر أعظم حرمة ؟ قالوا : هذا الشهر . قال : فأبى بلد أعظم حرمة قالوا : هذا البلد .

قال : فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقونه فيسألکم عن أعمالکم . ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم (2) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا ، فقد حرّم عليّ دمؤهم وأموالهم ) (3) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله . عصموا منيّ دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ) (4) .

علاقة النصر بشبكة الولاء :

وعلاقة النصر بشبكة الولاء علاقة وثيقة ومُحكمة .

يقول تعالى : ( وَإِنْ اسْتَفْرَقْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ) (5) .

(1) مسند أحمد بن حنبل 5 : 4 و 5 .

(2) الكافي ، الفروع 7 : 373 ، ووسائل الشيعة 19 : 2 .

(3) بحار الأنوار 68 : 242 .



(4) مشكاة المصابيح / ص 12 . 14 .

(5) الأنفال / 72 .

### الصفحة 189

فإذا استتصر المسلمين مسلمون من مشرق الأرض أو مغربها وجب على المسلمين . على نحو الكفاية .  
المباوة إلى نصحهم .

عن أبي عبد الله الصادق ( عليه السلام ) : **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قَالَ : ( مَنْ أَصْبَحَ وَلَمْ يَهْتَمْ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنَادِي يَا لِلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ ) ( 1 ) .**

وعن الواء بن عزب قال : **أَمَرَ النَّبِيُّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ . فَذَكَرَ رَدَّ السَّلَامِ وَنَصَرَ الْمَظْلُومَ وَإِجَابَةَ الدَّاعِي وَإِرَارَ الْقَسَمِ ( 2 ) .**

وعن الصادق عن أبيه ( عليهما السلام ) قال : **( لَا يَحْضُرَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا يَضْرِبُهُ سُلْطَانٌ جَائِرٌ ظَلَمًا وَعَوَانًا ، وَلَا مَقْتُولًا وَلَا مَظْلُومًا إِذَا لَمْ يَنْصُرْهُ ؛ لِأَنَّ نَصْرَةَ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، إِذَا هُوَ حُضِرَ ، وَالْعَافِيَةُ أَوْسَعُ مَا لَمْ يَلْزَمْكَ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ ) ( 3 ) .**

ويحرم خذلان المسلم إذا دعاه إلى نصوته وهو قادر على نصوته .

عن موسى بن جعفر عن آبائه ( عليهم السلام ) قال : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمْ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ ، وَمَنْ شَهِدَ رَجُلًا يَنَادِي يَا لِلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَجِبْهُ ، فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) ( 4 ) .**

وقد سبق هذا الحديث بلفظ قريب .

وعن أبي عبد الله ( عليه السلام ) قال : **( مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَخْذُلُ أَخَاهُ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرَتِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ( 5 ) .**

(1) وسائل الشيعة 11 / 560 .

(2) صحيح البخاري 2 / كتاب المظالم باب 5 .

(3) بحار الأنوار 75 / 17 عن قرب الاسناد / ص 26 .

(4) بحار الأنوار 75 / 21 عن نوادر الروندي / ص 21 .

(5) بحار الأنوار 75 / 17 عن آمالي الصدوق / ص 291 .

### الصفحة 190

وعن أبي عبد الله الصادق ( عليه السلام ) : ( ما من مؤمن يُعِين مؤمناً مَظلوماً ، إلا كَانَ أفضل من صِيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام ) .

( وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته ، إلا نصره الله في الدنيا والآخرة ) ( 1 ) .

استنصران للحسين ( عليه السلام ) في قصر بني مقاتل :

وإذا لم يسع المسلم تلبية استنصار المسلمين وإجابة دعوتهم ، ونصروهم فلا يحضر استغاثتهم واستصلوهم .

وقد مرّ بنا قريباً قول الإمام الصادق ( عليه السلام ) ، حسب الرواية : ( لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ) .

وقد كان الحسين ( عليه السلام ) إذا استنصر رجلاً فأبى عليه ينصحه أن يبتعد عنه ، ويغيب عن مصرعه ؛ لئلاً يسمع باستغاثته .

وكان للحسين ( عليه السلام ) لقاءان في منزل قصر بني مقاتل ( 2 ) في طريقه إلى كربلاء :

اللقاء الأول بعبيد الله بن الحرّ الجعفي ، واللقاء الثاني بعمر بن قيس المشثوقي وابن عمه .

وقد استنصروهم الحسين ( عليه السلام ) جميعاً ، فاعتنروا ولم تطب نفوسهم بالموت ، فنصحهم الحسين ( عليه السلام ) أن يبتعدوا عنه ويغيبوا عن مصرعه ؛ لئلاً يسموا

( 1 ) بحار الأنوار 75 / 20 عن ثواب الأعمال / 133 .

( 2 ) يقول السيّد عبد الرزاق المقرّم : إن القصر ينسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة يقع بين عين التمر والقطقطة والقربات ، خوّبّه عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، ثم جدّه .

### الصفحة 191

استغاثته فلا يجيؤه ، فيكبّه الله تعالى في النار .

في اللقاء الأول التقى بعبيد الله بن الحرّ الجعفي فاستنصروه ، فاعتذر عبيد الله كما ذكرنا ذلك من قبل ، وقال له إنّه لا يشكّ أن من شايعه كان سعيداً في الآخرة ، ولكن نفسه لا تطيب بالموت ، وأهدى إلى الحسين ( عليه السلام ) فوسّه ( الملحقة ) ومدحها .

فقال له الحسين ( عليه السلام ) : ( أمّا إذ رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ، ولا فيك ، وما كنت متخذ المضلّين عضداً ، وإنّي أنصحك كما نصحتني : إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ، ولا تشهد وقعتنا فافعل ، فو الله لا يسمع واعتينا أحد ولا ينصروننا إلا أكبه الله في نار جهنم ) ( 1 ) .

واللقاء الثاني في نفس المتولّ بعمر بن القيس المشوقي وابن عمّه ، رواه الصدوق في عقاب الأعمال .

قال : دخلت على الحسين أنا وابن عمّ لي ، وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه .

فقال له ابن عمّي : يا أبا عبد الله هذا الذي رآه خضاب أو شعوك ، فقال : **خضاب والشيب إلينا بني هاشم**

**يُعجل** .

ثم أقبل علينا . فقال : **جنّتما لنصرتي** ، فقلت : إنّي رجل كبير السنّ ، كثير الدينّ ، كثير العيال ، وفي يدي

بضائع الناس ولا أئوي ما يكون ، وأكره أن أضيع أمانتي .

( 1 ) مقتل الحسين / لعبد الزراق المومّم / 202 . 204 نقلاً عن أمالي الصدوق ، المجلس 30 ، وخرّانة الأدب 1 / 298 .

## الصفحة 192

وقال له ابن عمّي مثل ذلك .

قال لنا : فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ، ولا تريا لي سواداً ، فإنه من سمع واعيتنا ، أورأى سوادنا فلم يُجبنا ، ولم يعبأ ، كان حقاً على الله عزّ وجلّ أنّ يكبه على منغوه في النار .

الاستنصار لإتمام الحجّة :

عاشوراء مفترق طويق ، ومن فرق الحسين ( عليه السلام ) في عاشوراء عن علم وعمد ، وسمع واعيته ، وحضر استغاثته ، فسبيله نار جهنم ، لا شكّ في ذلك .

وقد شطر الناس عاشوراء منذ سنة 61 هـ إلى اليوم ، شطرين : شطر إلى الجنة وشرط إلى النار .

فمن كان رأيه من رأي الحسين ( عليه السلام ) ، وهواه مع الحسين ( عليه السلام ) ، وموقفه مع الحسين ( عليه السلام ) كان سبيله الجنة .

ومن كان رأيه من رأي يزيد ، وهواه مع يزيد ، وموقفه مع يزيد كان سبيله النار .

ذلك أنّ الحسين ( عليه السلام ) ورث الأنبياء والصدّيقين والموسلين في مسير التريخ كله ، فمن كان هواه مع الحسين ( عليه السلام ) ، كان لا محالة مع حركة الأنبياء والموسلين والصدّيقين ، ومن كان هواه مع آل أبي سفيان ، كان موقفه لا محالة ، مع أعداء الأنبياء وخصومهم .

ولذلك فإن الحسين ( عليه السلام ) ورث الأنبياء ، ويؤيد ورث الطغاة والجبارة ، وعاشوراء من أيام (

الفوقان ) في التريخ .

وقد شطر عاشوراء الناس كما ذكرنا منذ سنة 61 هـ إلى اليوم شطرين : ( أنصلاً ) و ( أعداءً ) .

### الصفحة 193

ولسنا نعرف شطراً وسطاً بينهما إلا أن يكون من المستضعفين الذين وجون رحمة الله بالاستضعاف . إذن ( عاشوراء ) مفترق طويق .

وقد كان الحسين ( عليه السلام ) يحرص في يوم عاشوراء وقبله أن يتمّ الحجّة على كل أولئك الذين وقفوا مع آل أبي سفيان ؛ ( لئلا يكون للناس على الله حجّة ) ، وكان يحرص أن ينقذ من يمكن إنقاذه ، ويصلح من يمكن إصلاحه ويهدي من يمكن هدايته .

كان الحسين ( عليه السلام ) يتمّ الحجّة في استتصلوه واستغاثته ، الذي تكررّ منه على كل الذين قاتلوه وحربوه وظلموه ، أو وقفوا من مصوعه موقف المتوجّح الذي لا يبالي ماذا حدث .

فقد كان ( عليه السلام ) يعلم بأنّ لهذا اليوم شأناً كبيراً في التريخ ، وأنه مفترق الطويق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، فأراد أن يتمّ الحجّة على الناس لئلا يكون للناس حجة .

### توّع الخطاب الحسيني :

ولذلك نجد أنّ الخطاب الحسيني للاستتصار خطاب متوّع .

فهو ( عليه السلام ) حريص على أن يُنفذ إلى تلك القلوب المغلقة ، ويفتحها بأي أسلوب ممكن .

فهو يخاطب عقولهم ترة ، ويخاطب ضمائرهم ترة ، والضمير آخر قلعة يقاوم الباطل في نفس الإنسان .

ويخاطب قلوبهم وعواطفهم ترة ، والعاطفة خزين مبارك من الخير والرحمة في نفس الإنسان ، وآخر ما ينضب من نفس الإنسان قلبه وعاطفته .

لقد خاطب الحسين ( عليه السلام ) عقولهم يوم عاشوراء ، فقال لهم : ( أحيان

## الصفحة 194

استنصرتُمونا والهيّن فأصرخناكم موجفين سلّتم علينا سيفاً لنا في أيّمانكم ، وحشيتم علينا نرا أقتدحناها على  
عوننا وعدوكم فأصبحتم إلّبا لأعدائكم على أوليائكم ، لا من عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ) .

وخاطب ضمائرهم فقال : ( يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين .. فكونوا أهوراً في دنياكم ) .

وخاطب عواطفهم ثالثاً فقال في آخر استغاثة له ( عليه السلام ) : ( أما من مغيث يغيثنا ، أما من ذاب يذب

عن حُرْم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ) ، ومن مشاهد الاستغاثة المؤثرة استسقوه للطفل الرضيع يوم

عاشوراء ، وهو يتلظى عطشاً ، فرفع إليهم الرضيع وقال : ( أما منكم من أحد يأتنا بشربةٍ من الماء لهذا الطفل

الرضيع ؟ ) ، ثم قال لهم : ( اسقوا هذا الرضيع ) ( 1 ) .

والعاطفة خزين مبرك من الخير والرحمة كما ذكرنا ، وآخر ما ينضب في نفس الإنسان ، تفيض بالوقّة

والرحمة .

وهذه الوقّة والرحمة التي تفيض بها العاطفة تطهر القلب مما يعلق به من الدن وتلين القلب . وتفتح مغاليق

القلوب .

وقد تنغلق العقول ويتصامم الناس عن نداء العقل ، ولكنهم يستجيبون لنداء العاطفة ، وتنتفح له قلوبهم .

4 . المعنى الشمولي لخطاب الحسين ( عليه السلام ) :

لا نجد مبرراً للقول بأن خطاب الحسين ( عليه السلام ) بالاستتصار كان مقتصراً على أولئك الذين عاصروا

الحسين ( عليه السلام ) ، وشهوا وقعة الطف .

( 1 ) الخصائص الحسينية / للسيد التستوي / ص 186 .

## الصفحة 195

وليس ثمة دليل في خطاب الحسين ( عليه السلام ) لحجب هذا الخطاب عن الأجيال التي تعاقبت من بعده ،  
ممن لوّا هذا الخطاب وأسرعوا في الاستجابة له .. فقد كان المجتمع الإسلامي يومئذ يمرّ بفترة رهيبة من  
التزيخ ، فقد فيها الكثير من أخلاقيته وقيمه وكفاءاته .

ولست أوري ماذا فعل معاوية ، خلال سنيّ حكمه من إفساد وظلم ، حتى بلغ المجتمع الإسلامي في عصر  
ابنه يزيد هذا المبلغ من ضعف الإرادة ونضوب القيم ، وفقدان الأخلاق ، وليس أدلّ على ما نقول من أن ابن  
رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يدعوهم إلى الخروج على يزيد ، وهم يعرفون الحسين ( عليه السلام )  
ويعرفون يزيد . ثمّ لا يستجيب له من كل أولئك الذين خاطبهم الحسين ( عليه السلام ) ، أو بلغهم خطابه ، إلا  
اثنتين وسبعين رجلاً فقط .

وأصدق وصف لهذا العصر هو الوصف الذي يصفهم به الحسين ( عليه السلام ) ، كما يرويهِ الطوري في  
التزيخ ، وهو أوّل خطبة له ( عليه السلام ) بعد وصوله إلى كربلاء :

يقول ( عليه السلام ) : ( إنّ الدنيا قد تغيّرت وتكرّرت ، وأدبر معروفها ، ولم يبق منها إلاّ صباية كصباية  
الإناء ، وخسيس عيشٍ كالوعى الوبيل . ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؟ ) .

وهو وصفٌ دقيقٌ لذلك العصر ، ولإثبات هذا الوصف يقول الإمام ( عليه السلام ) : ( ألا ترون إلى الحق لا  
يعمل به ؟ ) .

ومن أجل ذلك نعتقد أنّ خطاب الحسين ( عليه السلام ) لا يقتصر على عصوره ، ليس من سبب لحجب هذا  
الخطاب عن العصور التي تلي ذلك العصر .

ولسنا نريد أن ننفي مخاطبة الناس في ذلك العصر من جانب الحسين ( عليه السلام ) ، ولكننا نريد أن نقول  
إنّ روح هذا الخطاب أوسع من ذلك العصر .

إنّ الصواع الذي خاضه ( عليه السلام ) في سنة إحدى وستين هجرية حلقة متوسطة من

سلسلة طويلة من الصواع بين التوحيد والشوك والهدى والضلال ، يتصل طرف منه بصواع الأنبياء ( عليهم السلام ) مع أئمة الكفر ، والحسين ( عليه السلام ) ورث هذه السلسلة المتصلة من أئمة التوحيد .

ويتصل الطرف الآخر منه بسلسلة طويلة من الصواع ، في امتداد الطف يقوده أئمة التوحيد ، حتى يتسلم المهدي من آل محمد ( صلى الله عليه وآله ) لواء التوحيد ، ويظهر الأرض من رجس الشوك والظلم .

وعاشوراء من المفصل الأساسية في هذه السلسلة الممتدة من الصواع بين التوحيد والشوك والهدى والضلال .

وخطاب الحسين ( عليه السلام ) خطاب شامل لكل أولئك الذين بلغهم هذا الخطاب ، ومكنهم الله تعالى من وراثة ذات عاشوراء ، ورزقهم الله الوعي والبصيرة .

#### التلبية :

والتلبية الوردية في نصوص الزيارات التي يزور المسلمون بها الحسين ( عليه السلام ) تشير إلى هذه الحقيقة التاريخية .

فإن الحسين ( عليه السلام ) ( داعي الله ) ، وندوة ودعوته توحيد الله .

وخطابه الدعوة إلى نصره دين الله وشريعته وأحكامه وحدوده ، ورفض الطاغوت والكفر به .

وهذه دعوة عامة ، وخطاب شامل لتلك الأجيال الذين تعاقبوا بعد عاشوراء .

وإذا حببنا عصوراً عن التلبية المباشرة لدعوة الحسين ( عليه السلام ) لاستتصراه ، فنحن اليوم نلبى ذلك الخطاب ، ونستجيب لتلك الدعوة في رالة الظلم والشوك ومجاهدة الظالمين ، وتثبيت رُكان التوحيد في الأرض ، وهدم بنيان الشوك والظلم والاستكبار .

وقد ورد في نصوص زيارة الحسين ( عليه السلام ) : ( لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ . إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي



**عند استغاثتك ، ولساني عند استنصرك ، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري ورأسي وهواي ) ، والتلبية من**

مقولة ( الغم ) و ( الفعل ) ، وليس من مقولة ( القول ) . والقول تعبير عن غم الإنسان على الفعل .

فالتلبية الحقيقية لخطاب الحسين ( عليه السلام ) ، أن يصفَ الإنسان مع الحسين ( عليه السلام ) في مواجهة

الظالمين ، وعدم الركون إليهم ، ورفضهم ، والرواة منهم ، والصمود والثبات في مواجهتهم .

ولست أعتقد أنّ مرور ألف وثلاثمائة عاماً على مصوع الحسين ( عليه السلام ) وأصحابه وأهل بيته الذين

لجّوا دعوته... قد خفّف من قسوة الصواع وضلوة المعركة ، ولا أعتقد أن التلبية لذلك الخطاب أيسر في

عصرنا ، من التلبية لنفس الخطاب في ذلك العصر .

فالمعركة هي المعركة ، والخطاب هو الخطاب ، والتلبية هي نفس التلبية ، وضريبة التلبية هي نفسها .

**حركتان في التريخ ( النصر والثأر ) :**

ولا تختلف مسؤوليتنا اليوم تجاه استنصار الحسين . فإنّ قضية عاشوراء هي رفض الظلم والكفر بالطاغوت

، وطالما يوجد في حياة المسلمين ظلم وثوك واستكبار ، يبقى خطاب الحسين في يوم عاشوراء نافذاً فاعلاً في

حياة المسلمين .

ونحن اليوم مسؤولون عن نصر الحسين ( عليه السلام ) ، مخاطبون بالاستنصار ، كما كان الناس مخاطبون

بالاستنصار ، مطالبون بالنصر في عصره ( عليه السلام ) .

غير أنّا نحمل بعد مصوع الحسين ( عليه السلام ) مسؤولية أخرى غير مسؤولية ( النصر ) ، وهي

مسؤولية ( الثأر ) لدماء الحسين ( عليه السلام ) وأهل بيته وأصحابه ( رضوان الله عليهم ) ، وهي مسؤولية

أخرى غير مسؤولية النصر .

## الصفحة 198

فهاتان مسؤوليتان تتطلبان حركتين في تريخ ورثي عاشوراء :

حركة باتّجاه النصر ، وأخرى باتّجاه الثأر لدماء الشهداء في كربلاء .

وقضية ( النصر ) غير قضية ( الثأر ) ، إنّ ( النصر ) يعني الاستنصار لدعوة الأنبياء في تشييد رُكان التوحيد والعدل ، وهُدْم بنيان الشوك والظلم ، ونصر المسلمين المستضعفين وإمدادهم وإغااثتهم ، في معاناتهم وعذابهم على أيدي الظالمين .

( والثأر ) يعني المطالبة بدماء الشهداء من أسوة التوحيد ، وبدماء الشهداء في يوم عاشوراء . فهذه دماء حرّمها الله تعالى ، وأهوها الناس ، ولا بدّ من الثأر لها ، شأن كل دم حرمة الله تعالى .

غير أنّ دماء الشهداء لما كانت في سبيل الله ، فإنّ الله تعالى هو الثائر الأول لها ، وهي ثأر الله قبل كل شيء ، وهذه قيمة كبيرة لدم الشهيد في هذا الدين و مفهوم رفيع من مفاهيم هذا الدين ، ونحن نخطب الحسين ( عليه السلام ) في الزبيرة بثأر الله ، فنقول السلام عليك يا ثار الله وابن ثره ، وعلينا نحن في امتداد ( ثأر الله ) أن نثأر لهذه الدماء ، ودماء كلّ الشهداء التي رُيقت ظلماً وعدواناً في سبيل الله .

ولما كانت هذه الدماء قد رُيقت في الصواع بين الحقّ والباطل ، فالمطالب بالدم ليس هو شخص المجرم القتال ، بل يُطالب به كلّ من وقف معه في تلك الجبهة ، وكلّ من يقف معه بعد ذلك في تلك الجبهة ...

شأن كلّ دم يهراق في معركة . فإنّ المطالب بالدم في ساحة المعركة لا يكون هو القتال فقط ، وإنما كلّ من يقف مع القتال في نفس الجبهة في نفس المعركة .

ولما كانت معركة عاشوراء قائمة مستورة وملتصّة الحلقات إلى اليوم ، فكلّ من يقف مع أعداء الحسين ( عليه السلام ) ، ويتعاطف معهم ، ويؤاؤمهم ويميل إليهم ، ويرضى بفعالهم ، ويحبهم... يكون مطالباً بدماء الحسين ( عليه السلام ) والثلة الطاهرة من أصحابه .

## الصفحة 199

وهو شأن ( عاشوراء ) كما أنّ ذلك شأن كلّ صواع قائم بين الحقّ والباطل ، وكلّ دم يهراق ظلماً في وسط المعركة . حيث تعمّ مسؤولية المطالبة بدم الشهيد كلّ الذين وقفوا معه وإلى جنبه أو خلفه في المعركة ، ( فهم أولياء الدم جميعاً ) .

وتعمّ الجريمة كلّ من وقف مع القتال أو خلفه في نفس الصواع ، فيكون مطالباً بالدم الذي أهريق ظلماً في

ذلك الصواع .

إذن نحن اليوم بعد مصوع الحسين ( عليه السلام ) في عاشوراء مسؤولون عن قضيتين ، وليست قضية واحدة ، وهما ( النصر ) و ( الثأر ) .

وقضية الحسين ( عليه السلام ) حلقة واحدة ، ولكنها مفضّلة في مسلسل الصواع التريخي بين الأنبياء وخصومهم من أئمة الكفر .

والحسين ورث كل ذلك التواتر ، وحفيده المهدي من آل محمد ( عجل الله فوجه ) يرث جده وينهض بتلبية خطاب جده الحسين لنصرة دين الله ، كما ينهض بالثأر لدماء الشهداء في كربلاء ودماء الشهداء قبل كربلاء وبعده ؛ ولذلك فهو الإمام ( الورث ) ( الثائر ) من آل محمد ، ( عجل الله فوجه ) .

**تفسير وتحليل جملة من المضامين الواردة في خطاب الاستنصار الحسيني :**

ويستوقفنا في خطابات الحسين ( عليه السلام ) خطابه المعروف في مكة عشية خروجه إلى العراق ، وقد تناقل رباب السير هذا الخطاب ، وورد في أكثر المصادر التي نوتت سورة الحسين ( عليه السلام ) وخروجه إلى العراق .

وقد ذكرنا الخطاب في بداية هذه المقالة ، ويبدأ الإمام الخطاب بهذه الكلمة العجيبة : **( خُطَّ الموت على وئد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة )** .

وهذه البداية تفسّر كلّ حركة الإمام وخروجه ، وتوضّح للناس الذين

## الصفحة 200

يستتصوهم الحسين ( عليه السلام ) ما يؤول إليه أمره وأمر من معه ؛ ليخرج من يزوج معه ، وهو على بينة من أمره ، وهو أمرٌ يهمّ الإمام كثراً ، ويصرّ عليه في كل مراحل حركته بمقدار إصراره على استنصار الناس ودعوتهم للخروج معه على يزيد .

فهو يدعوهم ويغفهم في وقت واحد ، يدعوهم إذا صحّ غمهم على لقاء الله في خروجهم هذا ، وطابت

أنفسهم بالقتل في سبيل الله .

ويعفيهم ، إذا لم تطب نفوسهم بالقتل في سبيل الله ، فإنّ الحسين يسعى إلى الموت ، وليس إلى سلطان ولا

مال .

ويطلب من الأنصار من يصدق عزمه وتصدق نيّة على ابتغاء القتل في سبيل الله .

ومصيبة الناس في دنياهم إقبالهم على الدنيا وتعلّقهم بها وهروبهم وخوفهم من الموت .

وهو سرّ ضعفتهم ، وسقوطهم ، وخضوعهم للظالمين ، وهوان أنفسهم عليهم ، هو نقطة الضعف الكوي في

حياتهم . فإذا هانت الدنيا في أعين الناس ، زال الخوف من الموت عن نفوسهم لم يتمكن الظالم من ظلّمهم ، ولم

يعطوا أنفسهم للظلم . وكيف يهرب الإنسان من الموت وقد ( **حُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد**

**الفتاة** ) .

فالموت يحاصر الإنسان ، ولا يستطيع ابن آدم أن يخرج من حصار الموت ، فلا ينفعه هروب .

ثمّ لماذا يخاف الإنسان من الموت ، والموت جمال المؤمن وكماله ، ويزدان به كما يزدان جيد الفتاة

بالقلادة... ولا ينقص من جمال الموت أنّه يحاصر الإنسان ، كما لا ينقص من جمال القلادة أنّها تطوق جيد الفتاة

. فليس كلّ طوق ذلّ وأسر :



## الصفحة 201

ولست أعرف تصويراً للموت أجمل من هذا التصوير ، الذي يقدمه الحسين ( عليه السلام ) للموت عشية خروجهِ إلى العواق .

ثم يقول ( عليه السلام ) : **( وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف )** .

إنّ الموت عند الحسين ( عليه السلام ) لقاء الله ، ولقاء أسلافه الصالحين إبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله . وهو يشاق إلى هذا اللقاء اشتياق يعقوب إلى يوسف . فهو غصن من تلك الشجرة وثرة طيبة لها ، يحن إليها حنين الفوع إلى أصله . فليس بالموت يمكن ردع الحسين ( عليه السلام ) عن رسالته وقضيته .

وهذه رسالة الحسين ( عليه السلام ) إلى طاغية عسوه وإلى أنصولة معاً .

ثم يقول ( عليه السلام ) : **( لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم . رضا الله رضانا أهل البيت )** . وهي صورة أخرى لنفس المشهد ولكن بلون آخر... فقد كان المشهد السابق مشهد الشوق والولته إلى لقاء الله ولقاء أحبائه ، وهذا مشهد التسليم والرضا لأمر الله .

وهو نفس المشهد ، ولكن بصيغة أخرى : وسواء عرض الإمام هذه العاقبة من خلال الاشتياق والولته أو من خلال التسليم والرضا ، فالرسالة واحدة والنتيجة واحدة . ثم يقول ( عليه السلام ) : **( لن تشذَّ عن رسول الله )** **صلى الله عليه وآله ( لحمته ، وهي مجموعة له في حظيرة القدس )** .

إنّه من لحم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ودمه ، وبضعة من رسول الله ، من جسمه وروحه ، ووعيه ، وهُده ، وبصوته ، ورسول الله ( صلى الله عليه وآله ) هو الخير والهدى كله ، وما تفرّق من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يجتمع له في حظيرة القدس ، ولا تشذَّ عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لحمه ولا بضعة له .

ومن أراد أن يجتمع برسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مع الصديقين والصالحين في حظيرة القدس ، فعليّه أن يلتحق بالحسين ( عليه السلام ) . ومن شذَّ عنه ( عليه السلام ) شذَّ عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

ثم يختم ( عليه السلام ) كلامه بهذا الخطاب : ( **أَلَا وَمَنْ كَانَ بَاذِلًا فَيُنَا مَهْجَتَهُ ، مَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ** )

## الصفحة 202

**نفسه فليرحل معنا ، فَإِنِّي رَا حِل مَصْبِحًا إِن شَاءَ اللَّهُ ) .**

إِنَّ السَّبْطَ الشَّهِيدَ يَسْعَى إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ ، وَيَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ مُهْجَهُمْ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى أَنْ يَنْتَرِعُوا حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَيَوْطِنُوا أَنْفُسَهُمْ لِلِقَاءِ اللَّهِ .

وهو خطاب عجيب . قلّما نعهد نظراً له في خطابات القادة السياسيين والعسكريين إذا دعوا الناس للقتال .

فهو ( عليه السلام ) لا يُمْنِيهِمْ بِمَالٍ وَلَا سُلْطَانٍ ، إِنَّمَا يَمْنِيهِمْ بِلِقَاءِ اللَّهِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَوْطِنُوا أَنْفُسَهُمْ لِلِقَاءِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْضَى مِنْهُمْ بغير ( مُهْجِهِمْ ) .

ثم يقول لهم إنه يتقدمهم في هذه الرحلة : ( **فَأِنِّي رَا حِل مَصْبِحًا غَدًا إِن شَاءَ اللَّهُ** ) ، ولست أوري ماذا تستبطن هذه الجملة القصيرة ( **فَأِنِّي رَا حِل مَصْبِحًا إِن شَاءَ اللَّهُ** ) من الغم ، والإرادة ، والقوة ، والبصيرة ، والهدى ، والتسليم لمشيئة الله وإرادته .

وقد شاء الله تعالى أن يكون هذا الغم والإرادة والبصيرة والتسليم مبدأ لبركات كثيرة في تزيخ الإسلام .

\* \* \*

وفي متول البيضة خطب الحسين ( عليه السلام ) في أصحاب الحرّ فقال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) قَالَ : ( **مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا ، نَاكثًا عَهْدَهُ مَخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعَوَانِ ، فَلَمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ** ) .

وهذا الحديث الذي يرويه السبط الشهيد عن جدّه رسول الله ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) منهجاً في العمل السياسي والحركي للمسلمين ، يختلف عن المنهج الذي تبناه بنو أمية في عصورهم ، ويلخصه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب في كلمته المعروفة ( نحن مع من غلب ) .

وقد عمل بنو أمية على إشاعة هذا المنهج السياسي بين المسلمين ، واختلفوا

### الصفحة 203

في ذلك الأحاديث ، وبشّروا به من على المنابر ؛ لإجهاض كل معارضة سياسية وحركية في وجوههم ، ولإسباغ الشرعية على حُكمهم .

فمن هذه الأحاديث....

روى الحجاج قال : قال لي أبو هريرة :

ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك رجال من أهل الشام ، فيأخذوا صدقتك . فإذا أتوك فتلقتهم بها ، فإذا دخلوها ، فكن في أقاصيها ، واخل عنهم وعنهما ، وإياك وأن تسبهم فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك ، وإن صبرت جاءت في مزانك يوم القيامة (1) .

وعن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله قال : قال لنارسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : إنكم سترون بعدي إثرة وأموراً تنكرونها .

قالوا : فماذا تأمونا يا رسول الله ؟ قال : أتوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم (2) .

وعن جنادة بن أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت ، وهو مريض ، فقلنا : ( أصلحك الله حدثنا بحديث ينفحك الله به ، سمعته من النبي ( صلى الله عليه وآله ) فقال : دعانا النبي ( صلى الله عليه وآله ) فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرونا وعُسْرنا ويُسْرنا وإِثْرنا علينا ، وأن لا ننزع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفواً بواحا عندكم من الله فيه رهان ) (3) .

وهذا أقصى ما يطلبه الحكّام الظلمة من الناس ، وفي كتب الحديث ، الكثير من هذه الروايات التي يابها القوّان ويرفضها الإسلام .

( 1 ) الشعر والشعراء / لابن قتيبة / ص 572 .

( 2 ) صحيح البخاري 4 / 181 (كتاب الفتن) ط مصر 1286 هـ .

( 3 ) صحيح البخاري 4 / 181 (كتاب الفتن) ط مصر 1286 هـ .

## الصفحة 204

ونحن من دون أن نناقش هذه الأحاديث مناقشة سنّدية ، نقطع بأنّها منحلّة موضوعة على رسول الله ( صلى

الله عليه وآله ) ، وننّتهم في ذلك بني أمية ولا . وقد خفي أمر ذلك على كبار المحدثين ، الذين رووا هذه

الأحاديث وأكثرها من روايتها .

ودليلنا على ذلك هو القوان .

ونعتقد أنّ المنهج العلمي الصحيح في نقد الرواية هو عرض الرواية على القوان .

والنقد من حيث السند يأتي بعد العرض على القوان ، فما خالف القوان نرفضه ونرده ، صح سنّده أم لم

يصحّ . هذا هو منهج أهل البيت ( عليهم السلام ) في نقد الرواية .

ولذلك فنحن لا نطيل الوقوف عند مناقشة هذه الروايات وننقدها من حيث السند ، فالأمر عندنا أوضح من

ذلك . ودليلنا على ذلك آيات محكمات من كتاب الله تنهى عن الوجود إلى الظالمين وعن طاعة المسوفين .

والإيك إضمامة من آيات كتاب الله :

يقول تعالى : (وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسْكُمْ النَّارَ) (1) .

ويقول تعالى : (وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمَسْرِفِينَ \* الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ) (2) .

ويقول تعالى : (وَلَا تَطْعَ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرَهُ فُرْقَانًا) (3) .

ويقول تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُوعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ



(1) هود / 113 .

(2) الشعراء / 151 - 152 .

(3) الكهف / 28 .

## الصفحة 205

مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا

(1) .

وينهض أبو عبد الله سيد الشهداء يومئذٍ ؛ لإزالة هذا اللبس عن سنة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، فيعلن في الناس ، أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : ( مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَاءُوا... فَلَمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ ) .

وهي مسؤولية شاقّة وصعبة ، وانطلاقاً من هذه المسؤولية خرج الحسين ( عليه السلام ) على طاغية عصره .

فإذا ابتلى الله تعالى المسلمين بسُلطان جائر... فلا يسع المسلمين جميعاً إلا أن ينهضوا لتغييره ، بفعل أو قول ، ومن يركن إلى الظالم ويسكت عنه ( كان حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ ) ...

وهي كلمة عجيبة ، تستوقف الإنسان طويلاً ، وتشعر الإنسان بثقل المسؤولية الصعبة في ظروف الظلم والاستبداد السياسي . فلا يكفي ألا يركن الإنسان إلى الظالم ولا يتعاون معه ، ولا يسندته حتى لا يدخل مَدْخَلَهُ فِي النَّارِ ، وإنما يجب عليه أن يسعى إلى تغييره بفعل أو قول ، فإن لم يفعل كان حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ .

ثم يقول ( عليه السلام ) : ( وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرٍ ) ، ومن أولى من ابن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أن ينهض بالتغيير ويقود حركة التغيير ويدعو إلى التغيير .

وهو ( عليه السلام ) في هذه الرحلة قائد وقنوة ، قائد يقود حركة التغيير ويدعو إلى التغيير ( وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ

غَيْرٍ ) .

و ( قنوة ) ، يتقدّمهم في كلّ محنة وعذاب ، ويكون نصيبه منه الأوفى . يقول ( عليه السلام ) : ( فإن تمثّم على بيعتكم تصيوارثدكم . فأنا الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله . نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهلكم ، ولكم في أسوة ) .

(1) النساء / 60 .

### الصفحة 206

ثمّ يقول : ( وإن لم تفعلوا ونقضتُم بيعتي.... فحظكم أخطاتم ، ونصيبكم ضيعتُم ، ومن نكث فإنما ينكثُ على نفسه ) .

إنّ آل أبي سفيان أعداء الناس ، وقد تمكّنوا من رقاب الناس ، وأفسدوا أخلاق الناس ودينهم وقيمهم وأدلوهم... والحسين ( عليه السلام ) يخرج ليقود حركة التغيير ، وإن نقضوا عهدهم ، فلم يضرّوا إلا أنفسهم ، وأمكّنوا آل أبي سفيان من رقابهم ، ووطّئوا أنفسهم لظلم آل أبي سفيان واستكبلهم ، وأورثوا أبناءهم ذلاً ، ومن نكث فإنما ينكثُ على نفسه .

### الصفحة 207

#### الولاء والبراءة في مرآة عاشوراء

\* توحيد الولاء

\* البراءة والمفاصلة

\* التحدي والصراع

## \* عاشوراء يوم الفرقان

### \* الرواة

## \* انتصار الثورة الإسلامية منطلق

### ثوري ، وقيمة حضرية

## الصفحة 208

## الصفحة 209

### الولاء والرواة في مرآة عاشوراء

لـ ( عاشوراء ) علاقة وثيقة بـ ( الولاء ) و ( الرواة ) .

فهي حركة سياسية كبرى في هذه الأمة في مواجهة الطاغوت نهض بها ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

ولهذه الحركة عمق وامتداد . عمق في حركة الأنبياء ( عليهم السلام ) في مواجهة طغاة عصورهم ، وامتداد في مواجهة الصالحين من هذه الأمة ضد أئمة الكفر .

وهذه الحركة بما لها من عمق وامتداد محفوفة بـ ( الولاء ) و ( الرواة ) .

وفيما يلي توضيح لعلاقة ( عاشوراء ) بـ ( الولاء والرواة ) .

### توحيد الولاء :

قبل أن ندخل في تفاصيل الكلام عن الولاء والرواة ، نقول : إنَّ الولاء من مقولة التوحيد دائماً ، فلا يقبل الولاء الشُّرك مطلقاً ، وتوحيد الولاء من أهم مقولات التوحيد .

وليس من الممكن أن يجمع الإنسان إلى ولاء الله ولاءً آخر ، مهما كان ذلك الولاء...

وأيّ ولاء آخر غير ولاء الله ، فهو لا محالة يقع في مقابل ولاء الله .

وإنّ أكثر مصاديق الشرك الذي كان يحلّبه الأنبياء ( عليهم السلام ) ، وينقله

## الصفحة 210

القوآن الكريم ، هو من شوك الولاء ، وليس من الشرك بالخالق .

فقليل من الناس الذين يُشركون بالخالق ، ويعتقدون بوجود إله خالق غير الله لهذا الكون... ولكن الكثير من

الناس من يُشرك بالله في الولاء ، ويشرك غير الله تعالى مع الله في ولاءه ، ويوزع ولاءه وطاعته لله تعالى

ولغير الله معاً ، ويعطي للطاغوت حظاً من ولاءه . وصواع التوحيد والشرك في حياة الأنبياء ، في هذا الأمر

بالذات في أغلب الحالات .

وهذا الصراع في جوهره صواع عقائدي حضري .

والبشوية تنتشر شطرين حول هذه المسألة :

. شطر يوحّد الله بالولاء والطاعة ، ولا يقبل الله تعالى شريكاً في الولاية و الحاكمية .

. وشرط آخر يتخذ في الحياة محور أخرى للولاية ، وينقاد لها...

وقد يكون الولاء للهوى ، وقد يكون الولاء للطاغوت... ولا يختلف الأمر كثيراً .

والصواع بين هذين الشطرين في حياة البشوية يعتبر كوى قضايا الإنسان ، وأهمّ الأحداث التي عاشتها

البشوية على وجه الأرض في التاريخ .

**عناصر الولاء :**

الولاء : هو الارتباط بالله سبحانه وتعالى ، وأهمّ عناصر الولاء هو :

وَأُولَئِكَ فِي الطَّاعَةِ وَالانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ .

( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ) (1) .

(1) النور / 51 .

## الصفحة 211

(وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ ابْنَ عِيسَى غَفُورٌ رَحِيمٌ ) (1) .

( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) (2) .

( قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ) (3) .

( وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) (4) .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) (5) .

( قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ ) (6) .

وكما إنَّ الولاء لله يتطلب الطاعة لله وللرسول والانقياد والتسليم... كذلك يتطلب رفض الطاعة لغير الله .

( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ) (7) .

ثانياً : الحب والإخلاص لله سبحانه وتعالى .

( قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ) (8) .

( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(1) الحوات / 14 .

(2) النساء / 13 .

(3) آل عمران / 32 .

(4) آل عمران / 132 .

(5) النساء / 59 .

(6) النور / 54 .

(7) الشعراء / 150 و 151 .

(8) التوبة / 24 .

## الصفحة 212

أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ (1) .

ثالثاً : النُصْرَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصِرُوا اللَّهَ فَيُنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ) (2) .

( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) (3) .

قيمة الولاية :

عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : ( بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

وَالْوِلَايَةِ ، وَلَمْ يَنَادِ بِشَيْءٍ ، كَمَا نُوَدِّي بِالْوِلَايَةِ ) (4) .

وعن عجلان أبي صالح قال : ( قلت لأبي عبد الله ( عليه السلام ) أَوْقَفْنِي عَلَى حُدُودِ الْإِيمَانِ . فقال :

بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، وصلاة الخمس ، وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وولاية ولينا ، وعدوة عدوتنا ، والدخول مع الصادقين ( 5) .  
وعن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : ( بُني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ) .

قال زرارة (روي الحديث ) : فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟ قال : الولاية أفضل ؛ لأنها مفتاحهنَّ ، والوالي هو الدليل عليهنَّ ... ثم قال : نروة الأمر ، وسنامه ومفتاحه ، وباب الأشياء ، ورضى الرحمن ، الطاعة للإمام بعد معرفته .

( 1 ) البقرة / 165 .

( 2 ) محمد / 7 .

( 3 ) الحج / 40 .

( 4 ) أصول الكافي 2 / 18 .

( 5 ) نفس المصدر السابق .

## الصفحة 213

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ) ( 1) .

أما لو أن رجلاً قام ليله ، وصام نهله ، وتصدق بجميع ماله ، وحج بجميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان . ثم قال : ( أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته ) ( 2) .

وهذا الحديث يوقف الإنسان للتأمل طويلاً ، فمن قام ليله وصام نهله ... ولم يعرف ولي الله لم يكن له على

الله حقّ في ثواب ، ولا كان من أهل الإيمان .

### الولاية ومسألة الحاكمية والسيادة :

ولا تتمّ الولاية ، من دون ممارسة فعلية للحاكمية والسيادة في حياة الناس .

فإنّ الإسلام شريعة قائمة في حياة الإنسان يتولّى تنظيم وإدارة المجتمع ، وتوجيه المجتمع الإسلامي باتّجاه تحقيق أهداف الدعوة وغاياتها ، ولا يمكن أن يتحقّق شيء من ذلك دون وجود ممارسة فعلية للقيادة والحاكمية في المجتمع الإسلامي .

وهذه القيادة و الحاكمية هي التي يسمّيها القرآن الكريم بـ ( الإمامة ) .

وهي شيء آخر غير الجانب التشريعي من هذا الدين ، فإنّ الطاعة فيما يبلغ النبي ( صلى الله عليه وآله ) من أحكام وتشريعات ، إنّما هي طاعة لله تعالى ، وليس للأنبياء في ذلك نور غير التبليغ والتوجيه .

( 1 ) آل عمران : 79 .

( 2 ) أصول الكافي : ج 2 ص 18 ، وبحار الأنوار 68 : 332 . 333 .

### الصفحة 214

والقرآن يصوّح بوجوب طاعة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وطاعة أولي الأمر من بعد الرسول ( صلى الله عليه وآله ) في امتداد طاعة الله ومن بعد طاعة الله .

( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) .

وهذه الطاعة ليست هي طاعة الله في امتثال أحكامه ، والالتزام بالحلال والحرام ؛ وإلا لم يكن شيئاً آخر غير طاعة الله .. ولم يكن معنى لطاعة الرسول وأولي الأمر ، بعد طاعة الله تعالى وفي امتداده .

فهي طاعة أخرى إذن غير طاعة الله ، وإن كانت في امتدادها ... تأتي في مساحة الفواغ التي تتركها



الشريعة لأولياء أمور المسلمين ، وتتطلبه مصلحة الأمة والإسلام ، مما لا يمكن ضبطها في الشريعة بأحكام ثابتة ؛ ولأجل أن يملس هذا الدين دوره في حياة الإنسان ، لابد من وجود مملسة فعلية لهذه القيادة و الحاكمية في حياة الناس .

### الرواة والمفاصلة :

إن طبيعة هذا الدين طبيعة حركية جهادية ؛ ذلك أن مهمة هذا الدين إبلاغ رسالة التوحيد إلى البشرية جميعا ، وتحرير الإنسان من الطاغوت ، وتعبيده لله تعالى . وتقوير إلهية الله في حياة الناس . وهذا كله مما يغيظ الكفر ، ويصادر نفوذهم وسلطانهم ، ويدفعهم إلى عرقله مسورة هذا الدين وتطويقه وإعاقة حركته...

ولكي تستطيع هذه الأمة أن تحتفظ بأصالتها في هذا الصراع الحضري ، وبموقعها الحضري على وجه الأرض في الدعوة إلى الله ، لابد لها من أن تقاوم كيد أئمة الكفر ومكروهم ، وتتدخل معهم في مواجهة حقيقية ولا وتعلن المفاصلة عنهم ثانياً . والأول ( الجهاد ) ، والثاني ( الرواة ) .

وهذه المفاصلة هي التي يقول تعالى عنها : ( **وَأَوَّاهٌ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ إِنَّا جَاعِلٌ لِلظَّالِمِينَ** )

### الصفحة 215

عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... وَأَذَانَ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ

(

(1)

المواصلة والمفاصلة في المجتمع الإسلامي :

إن طبيعة هذا الدين الحركية ورسالته تتطلبان من الأمة حالتين في الداخل والخارج :

التماسك والترايط في الداخل ، ( **الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ) (2) .

( **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ) (3) .

حتى كأن الأمة جسم واحد متضامن الأعضاء والأطراف .

( مثل المؤمنين في توادهم وتواحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

بالسهر والحمى ) (4) .

( المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً ) (5) .

( تواصلوا وتجاؤا وتواحموا وكونوا إخوة برة ، كما أمركم الله ) (6) .

هذا فيما يتعلّق بالعلاقة بين أطراف هذه الأمة من الداخل ، وأما العلاقة مع الخوارج ، مع أعداء الله ورسوله

وأئمة الكفر وقادة الاستكبار ، فهي المفاصلة

(1) التوبة / 1 و 3 .

(2) الأنفال / 72 .

(3) التوبة / 71 .

(4) رواهما عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مسلم في صحيحه 8 / 4 ، دار الفكر .

(5) رواهما عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مسلم في صحيحه 8 / 4 ، دار الفكر .

(6) بحار الأنوار 74 / 399 .

## الصفحة 216

والبراءة . وتحريم موالاتهم ومودّتهم والتحبّب إليهم .

( لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ) (1) .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ) (2) .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ )

(3) .

( لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ) (4) .

وهاتان الحالتان : الترابط والتماسك من الداخل والمفاصلة من الخارج ، يتطلبان وجود قيادة مركزية ، تربط هذه الأمة بعضها ببعض في كتلة متواصلة واحدة من الداخل ، وتفصلها عن أعدائها الذين يريدون بها سوءاً من الخرج (5) .

ثم توجه هذه الكتلة المجتمعة باتجاه تحقيق الأهداف الكبرى لهذه الدعوة على وجه الأرض .

وهذه القيادة المركزية التي تمتلك من الأمة الطاعة والنصرة والحب ( العناصر الثلاثة للولاء ) ... هي التي يصطلح عليها القوان الكريم باسم ( الولي ) أو ( الإمام ) .

وولايته على الأمة امتداد لولاية الله ورسوله ، وطاعته ونصوته وحبّه امتداد لما يجب على المؤمنين من الطاعة والحب والنصرة لله تعالى ، وليس محوراً آخر في عرض هذا المحور .

(1) آل عمران / 28 .

(2) النساء / 144 .

(3) المائدة / 51 .

(4) التوبة / 23 .

(5) راجع البحث القيم الذي كتبه سماحة آية الله السيد علي الخامنئي ولي أمر المسلمين حفظه الله . بعنوان (الولاية) .

## التوحيد والشرك في الولاء :

ذلك أنّ الولاء من مقولة التوحيد ، ولا ولاية لأحد إلاّ في امتداد ولاية الله وبأمرٍ وإذنٍ من الله .

والولاء لله إمّا أن يكون أو لا يكون... فإذا كان فلا بدّ أن يكون بوجهيه الإيجابي والسلبي ، ولا تقل قيمة

الوجه السلبي عن الوجه الإيجابي... والوجه السلبي هنا رفض الولاء لغير الله... ولا يتمّ الولاء لله تعالى إلاّ

يرفض أيّ ولاء آخر من دون إذن الله .

وقبول أيّ ولاء بغير إذن الله يعني الشرك بالله العظيم ، وأكثر مصاديق الشرك في القرآن ليس هو الشرك

بالخالق ، وإنّما هو الشرك في الولاء .

تأمّلوا في قوله تعالى :

( ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا... ) (1) .

يضرب الله لنا مثلاً في التوحيد والشرك رجلين : رجلٌ يتنزلُ عنه شركاء متشاكسون ، كلٌّ له ولاية وسلطان

عليه ، وهم فيما بينهم متشاكسون مختلفون ، وهو موزعٌ بين هؤلاء الشركاء المشاكسين . ورجلٌ قد أسلم أمره

إلى رجلٍ واحدٍ آخر ( ورجلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ ) يطيعه في كل شيء ، وينقاد له ، ويتقبل ولايته وحاكميته .

كذلك التوحيد والشرك ، فالموحدون من الناس كالرجل الذي أسلم أمره لرجلٍ آخر في راحة من أمره .

والمشركون من الناس كالذي يتنزلُ عنه شركاء

( 1 ) الأُمر / 29 .

## الصفحة 218

متشاكسون... وواضح من هذا المثال أنّ المقصود بالشرك والتوحيد ، الشرك في الولاء ، والتوحيد في الولاء .

يقول القرآن عن لسان يوسف ( عليه السلام ) :

## ( يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَلْبَابَ مَتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ) (1)

إنَّ صاحبِي يوسف ( عليه السلام ) لم يكونوا ينكرون الله الواحد القهارَ ، وإنما كانوا يشركون رَبَّابَا مَتَفَرِّقِينَ مع الله في الولاية و الحاكمية ، فيُنكر عليهم يوسف ( عليه السلام ) ذلك ؛ لأنَّهم لم يسألوا أمرهم كله لله الواحد القهار .

يقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في أسباب البعثة : ( بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ؛ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ ، إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ عَهْدٍ عِبَادَهُ إِلَى عَهْدِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ عِبَادِهِ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَمِنْ وِلَايَةِ عِبَادِهِ إِلَى وِلَايَتِهِ ) (2) .

فالولاية إذن لله سبحانه وتعالى ، وتمتدُّ الولاية الإلهية إلى مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يَرْضِي مِنْ عِبَادِهِ ، فلن تكون ولاية في قبالة ولاية الله ، ولن تكون ولاية بغير إذن الله .

مصدر الحاكمية في حياة الإنسان هو الله :

ويجب أن نقف عند هذه النقطة قليلاً ، فإنَّ الولاية المشروعة في حياة الأمة لما كانت امتداداً لولاية الله ، لا بد أن تكون الولاية بإذن الله وأمره ، وما لم يأذن الله لأحد بأن يلي أمر عباده ، لن يكون له الحق في أن يتولى شيئاً من أمور الأمة .

وبرجعة القرآن الكريم نجد هذه الحقيقة واضحة ، فيما يحكي الله تعالى لنا

(1) يوسف / 39 .

(2) الوافي 3 / 22 .

قد خصّهم بذلك ، وأناط إليهم هذا الأمر . ففي قضية إواهم يقول تعالى :

( قَالَ إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ نُرِيتِي قَالَ لَا يُتَالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ) (1) .

والإمامة هنا بمعنى الولاية... وقد جعل الله تعالى إواهم ( عليه السلام ) إماماً بعد أن كان نبياً .

وفي قصة داود ( عليه السلام ) يقول تعالى :

( يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ) (2) .

والخلافة هنا بقوينة ( فاحكم بين الناس بالحق ) هي الولاية و الحاكمية .

ويقول تعالى في نزية إواهم لما نجاه الله تعالى من القوم الظالمين :

( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَاقِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ

الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) (3) .

ولسنا نريد أن نُسهب هنا في هذا القول ، فله مجاله الخاصّ به في البحث ، وإنما نريد أن نشير إشارة

سريعة فقط إلى أنّ مصدر الحاكمية والسلطان في حياة الإنسان هو الله تعالى ، وليست الأمة كما تُفسر ذلك النظم<sup>١</sup> والاتجاهات الديمقراطية... فليس لأحد من دون رادة الله أن يتولّى أمراً من أمور المسلمين .

والله عزّ وجلّ هو مصدر السلطة و الحاكمية في حياة الناس ، ولا يقتصر أمر

---

( 1 ) البقرة / 124 .

( 2 ) ص / 26 .

( 3 ) الأنبياء / 72 و 73 .

ولاية الله في حياة الناس على نفوذ الأحكام الشرعية المحددة من قبل الله في عباده ، وإنما تشمل الممارسة الفعلية للحاكمية ، والأمر والنهي في حياة الإنسان من خلال الذين اتخذهم الله أولياء وجعلهم أئمة وخلفاء على الناس .

### التحدي والصراع :

وهذه الحقيقة تُقرّر حتمية الصواع بين محوري الولاية والطاغوت بشكل دائم في تزيخ الإنسان .

إن هذين المحورين يعملان باتجاهين متعاكسين في حياة الإنسان ، وكل منهما يعمل لاستقطاب ولاء الناس ، وقطع الإنسان من المحور الآخر .

إن مهمة هذا الدين ورسالته هي استقطاب ولاء الناس لله تعالى ، وإنقاذ الناس من التشتت والتهيه والضياع والاختلاف ، وتحرير الإنسان من عبودية الطاغوت والهوى ، وإزالة العقبات من أمام طريق الإنسان إلى الله تعالى . وربط الإنسان بالله وتعبيده لله تعالى ، وإخراجه من الظلمات إلى النور .

وفي قبال هذا المحور الوبائي ، يعمل الطاغوت على استقطاب ولاء الناس ، ووضع الحواجز والعقبات في طريق الناس إلى الله تعالى ، واستعباد الإنسان وإخراجه من النور إلى الظلمات .

وإلى هذا الصواع بين المحورين ، تشير الآية الكريمة :

( اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) (1) .

## الصفحة 221

### الاستضعاف والاستكبار :

ولمّا كانت هذه المهمة التي يتولّى أمرها الطاغوت لا تتحقق إلا من خلال استضعاف الإنسان ، فإن الطاغوت يتّبع أساليب كثيرة في استضعاف الإنسان ، وانواع ما أودع الله تعالى في نفسه من القيم .

يقول تعالى عن فعون وقوم فعون :

( فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) (1) .

ومهما يكن من أمر فإن الصواع بين هذين المحورين ، من كبريات قضايا التريخ ، ومن أهم العوامل المحركة لعجلة التريخ .

ومن خلال فهم هذا الصواع نستطيع أن نفهم الكثير من أحداث التريخ وقضايا الكوى ومنعطفاته وثوابته ومتغوّراته .

### خصائص الصواع :

ونشير هنا إلى بعض خصائص هذا الصواع التريخي بين هذين المحورين : ( الحقّ والباطل ) .

إنّ هذه المعركة ، معركة عقائدية تستبطن صواعاً عقائدياً ضلّياً حول الشوك والتوحيد . وقد أثرونا قريبا ، أنّ جوهر هذا الصواع يدور حول الشوك والتوحيد ، وإنّ أكثر معاني الشوك والتوحيد في القرآن ، الشوك في الولاء والتوحيد في الولاء .

ولهذا السبب فهي معركة عقائدية في جوهرها . هذا ولأجل .

وثانياً : هي معركة حضرية ؛ لأنها تعتبر صداماً بين حضرتين : الحضرة



## الصفحة 222

الرومانية والحضرة الجاهلية ، ولكلّ منهما خصائصها... والانتماء إلى أيّ من المحورين ليس انتماء سياسياً فقط إلى أحد محاور القوة والسيادة ، وإنما هو انتماء حضري ، ويستتبع هذا الانتماء خصائص ومزات حضرية في أسلوب التفكير ، والإخلاص ، والعمل ، والعلاقة مع الله تعالى ، ومع النفس ومع الآخرين ومع الأشياء... والصراع بين هذين المحورين يعني الصراع بين حضرتين بشكلٍ دقيق .

وثالثاً : إنّ هذا الصراع معركة سياسية على مراكز القوى .

ولا شكّ أنّ كلاً من هذين المحورين يعمل للاستيلاء على مراكز القوى في المجتمع : المال والسلطان ، والقوى العسكرية ، وثقة الناس ومراكز التوجيه ، والإعلام ، والثقافة . وكلّ منهما يعمل لاستخدام هذه المراكز في تمكين محرّره وخطئه .

رابعاً : هذه المعركة تدخل في حتميات الترخ الكوي ، ولا يمكن أن يتخلّص منها الإنسان بحالٍ من الأحوال ، فإنّ تعاكس المحاور والخطوط تستدعي بصورة حتمية هذه المعركة في كلّ زمان ومكان . ولا يمكن أن يتخلّص منها الإنسان .

إنّ هذا الدين يصادر كلّ مصالح الطاغوت ووجوده ومراكزه ومواقفه ، ولا يمكن أن يتخلّى الطاغوت عن ثوره في الإفساد على وجه الأرض من دون أن يخوض هو وجنّده صواعاً مورياً مع هذا الدين . وهذا الصراع لم يخلُ منه عصر من العصور ، منذ أن خلق الله تعالى الإنسان بهذه التركيبة الخاصة على وجه الأرض إلى اليوم الحاضر .

والقرآن الكريم يقرّر حتمية الصراع بين هذين المحورين بشكلٍ جزم ، يقول تعالى :

## الصفحة 223

( الَّذِينَ آمَنُوا يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ

## الشَّيْطَانُ كَانَ ضَعِيفًا ( 1 ) .

خامساً : إنّ هذا الصواع معركة مصويّة تدوم وتطول ... ويعمل كلّ من المحوريّ على استئصال المحور الآخر من على وجه الأرض ، وإنهائه وتصفيّة وجوده ومراكزه ومواقعه بشكلٍ عام... وليست معركة على قطعةٍ من الأرض ، أو حدود بويّة أو بحرية ، وليست معركة على بضعة آبار من النفط ، أو على كمية من الذهب والفضة... إنّها معركة على الوجود والكيان ، ولا يرضى كلّ من الطرفين إلاّ بالتصفيّة الكاملة للطرف الآخر .

## ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ) ( 2 ) .

( وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيُكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) ( 3 ) .

فهذه المعركة تستمرّ حتّى الاستئصال الكامل للفتنة من على وجه الأرض... وبطبيعة الحال لن تكون معركة بسيطة ، وإنّما هي معركة شوسّة ، لا يعوف التزيخ نظراً لها في الحروب من حيث الشراسة والقسوة .  
ولذلك فالتفكير في اللقاء والتفاهم والحلول النصفية مع الكفر والطاغوت ، تفكيرٌ فيه كثير من الفجاجة والبساطة والضعف والهزيمة النفسية .

وإنّ بداية كلّ هزيمة ميدانية ، هزيمة في النفس... وبداية الهزيمة النفسية التفكير في إمكان اللقاء والتفاهم مع الطاغوت ، وإنهاء الصواع ، والجلوس مع الطاغوت على موائد الصلح .

( 1 ) النساء / 76 .

( 2 ) البقرة / 120 .

( 3 ) الأنفال / 39 و 40 .

إنّ المعركة مع الطاغوت على الوجود ، وليس على اختلاف الحدود أو اختلاف في الاعتبار ، حتى يمكن التفاهم والتصافي والتعايش بسلام ، وتطبيع العلاقات .

وسادساً : إنّ هذه المعركة التلخيصية تتطلب من الأمة مواقف واضحة ، وحدية وصلخة في إعلان الولاء والبراءة... الولاء لله ولرسوله ولأوليائه أمور المسلمين ، والبراءة من أعداء الله ورسوله وأوليائه .

فلا بدّ من موقف...

ولا بدّ أن يكون الموقف جدياً...

ولا بدّ أن يكون الموقف واضحاً ومعلناً...

لأنّ المعركة مع أئمة الكفر جدّ لا هزل فيه ، ولا يكفي أن يضمر الإنسان الحب لله ولرسوله ولأوليائه ، من دون موقف ، ومن دون أن يعرف الناس عنه ذلك... ولا يكفي أن يكون قلبه مع الله ورسوله وأوليائه ، وسيفه وحرابه عليهم (1) .

ولا يكفي أن يعطي الله ورسوله وأوليائه بعض وقته وماله... ليعطي للطاغوت البعض الآخر...

إنّ الولاء كلٌّ لا يتجزأ ، فإما أن يكون الكل لله ، أو لا يكون لله منه شيء ، فإن الله غني عن العالمين .

إنّ الولاء يتطلب الموقف المحدّد ، والإشهار بالموقف في الانتماء

(1) التقى الحسين ( عليه السلام ) في مسوه إلى العواق بمقول (الصفاح) بالفزردق بن غالب الشاعر ، فسأله عن خبر الناس خلفه ، فقال الفزردق : قلوبهم معك والسيوف مع بني أمية ، فقال الحسين ( عليه السلام ) : والقضاء ينزل من السماء ، وكلّ يوم ربنا في شأن ، إن نزل القضاء ، بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء ، فلم يعتدّ من كان الحقّ نسبه والتقى سريره .

مقتل الحسين للمقّم / 182 ، نقلاً عن الطوي / 6 / 218 ، وابن الأثير / 4 / 16 .

## الصفحة 225

والانفصال... وفي الحبِّ والبغض... وفي المودةِّ والمعاداة... وفي السلمِ والحرب...

وسابغاً : إنّ الولاء والواعة وجهها حقيقة واحدة في هذه المعركة... ولا ينفع ولاء من دون واعة ، ولا يؤديّ الولاء نوره الفاعل في حياة الأمة ، ما لم يقترن بالواعة من أعداء الله ورسوله وأوليائه .

ولا يتكوّن الموقف هنا من الولاء فحسب ، إنّ للموقف وجهين : وجه إيجابي ووجه سلبي ، سلم وحرب ، وانتماء وانفصال ، وحبٌّ وبغضٌ ، وما لم يجتمع هذا وذاك لن يكون الموقف موقفاً حقيقياً ، وإنما يكون شعبه من شُعب النفاق ، وطوراً من أطوار المجاملة السياسية واللعب على الحبال...

يقول تعالى في هذين الوجهين :

( أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ) (1) .

ثامناً : وكما إنّ محورَ الولاية ، مركز واحد ، وخطّ واحد ، وامتداد واحد ، على طول الترخ ، كذلك محور الواعة .

ونحن لا نفوق في الولاء بين أنبياء الله وأوليائه ، القريب منهم من عصونا والبعيد منهم من عصونا... فكلهم يحملون رسالة الله ويبلغون دين الله ، وآتاهم الله من لدنه النوة والإمامة والولاية على عباده... فواليهم جميعاً ، ونؤمن بما أتول الله إليهم ، لا نفوق بين أحدٍ منهم .

( قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ) (2) .

(1) الفتح / 29 .

(2) البقرة / 136 .

## الصفحة 226

( آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) (1) .

كذلك.. نتوأ من أعدائهم جميعاً.. نتوأ من فوعون ونمرود ، كما نتوأ من أبي جهل ويؤيد ، وكما نتوأ من طغاة وجلالزة عصورنا .

وكما أن الولاء أمرٌ واحد ، كذلك الواءة أمرٌ واحد .

ومثلما نتوأ من طغاة عصورنا ونلعنهم ؛ لنفس الأسباب نلعن الحجاج ويؤيد وأبي جهل ونمرود وفوعون وقابيل .

فإنّ المعوكة بين محوريّ الحقّ والباطل ، ليست معوكة شخصية ، وإنما هي معوكة حضلية ، تمتد جنورها إلى أعماق التريخ .

وكما أن المعوكة في جوهرها واحدة في كلّ مراحلها ، كذلك الولاء والواءة .

عاشوراء مسوح للولاء والواءة :

وننتقل الآن إلى ( عاشوراء )

إنّ وقعة الطف من المواقع المؤثرة ، العقائدية والحضلية الكورى في التريخ . التي لا يملك الإنسان نفسه من أن يمرّ عليها مروراً عارواً ، أو يقف عليها وقوفاً متفوجاً ، أو يقوأها بلا مبالاة ولا اكرآث.. ورغم مرور أكثر من ألف وثلاثمائة عام على هذه الواقعة المفجعة.. فإنها لا تزال تملك تأثراً فوق العادة على النفوس والقلوب والعقول ، وتفوض نفسها على كلّ من آتاه الله بصورة ووعياً في دينه .

( 1 ) البوة / 285 .

## الصفحة 227

ولا زال الأجيال تتلقّى قضية كوبلاء بحرارة وحماسة ، وتتفاعل معها في الإيجاب والسلب والولاء والرواءة

فما هو السرّ الكامن في هذه الواقعة ، والذي جعل منها مرآة لولاء والرواءة . غير هذا التريخ الطويل .

### عاشوراء يوم الفرقان :

إنّ عاشوراء تتميزّ بالوضوح الكامل الذي لا يبقي شكاً لأحد في طوفي المعركة .

فلم يكن هناك التباس في أمر المعركة التي حدثت على أرض الطف ، ولم يكن أحدٌ من المسلمين يومئذٍ يشكّ في أنّ الحسين ( عليه السلام ) ، يدعو إلى الله ورسوله وإلى الاستقامة على صراط الله المستقيم ، وأنّ يزيد بن معاوية قد تجاوز حدود الله ، وأعلن الحرب على الله رسوله ، وأعلن الفسق والفجور ، وهو يجلس مجلس رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) .

ولم يكن أحدٌ من المسلمين يومئذٍ يتردّد لحظة واحدة ، وهو يقف على ساحة الصواع بين أبي عبد الله الحسين ( عليه السلام ) ويزيد بن معاوية ، أنّ الحسين على هدىً ، ويزيد على ضلالة .  
وعليه فلم يكن في أمر هذه المعركة خفاء أو لبس.. فمن وقف مع الحسين ( عليه السلام ) وقف عن بيّنة ، ومن وقف مع يزيد وقف عن بيّنة.. .

وقليلٌ من مشاهد الصواع بين الحقّ والباطل يمتلك هذا الوضوح ، الذي تمتلكه واقعة الطف .

وقف الحسين يوم عاشوراء بين الصقّين ، وقال مخاطباً جيش ابن زياد : ( أيّها الناس أنبئوني منّ أنا ، ثمّ

رجعوا إلى أنفسكم وعاتوها ، وانظروا هل يحلّ لكم

## الصفحة 228

قتلي وانتهاك حرّمتي ؟ أأنت ابن بنت نبيّكم وابن وصيه وابن عمه ، وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله

بما جاء من عند ربّه؟ أو ليس حنزة سيد الشهداء عمي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحقّ: فو الله ما تعدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرب به من اختلقه.

وإن كذبتُموني فإنّ فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخيركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخوي، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن رُقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي. أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي.

فقال شمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يوري ما يقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: (والله إنّي رأك تعبدُ الله على سبعين حرفاً. وأنا أشهد أنّك صادق ما توري ما يقول، وقد طبع الله على قلبك) (1).

وقال الحسين (عليه السلام) للوليد عامل يزيد على المدينة، لما أراد أن يجبرُ الحسين (عليه السلام) على البيعة ليزيد والروض له:

(يا أيّها الأمير إنّ أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجلٌ شرب الخمر، وقاتل النفس المحترمة مُعلن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله) (2).

الفاصل الحضري بين المعسكرين في عاشوراء:

لقد كانت الجبّهتان المتصلّعتان في كربلاء متميّزتين في انتمائهما لمحور

(1) تريح الطوي 6 : 223 .

(2) مقتل الحسين للسيد عبد الزراق المقوم (رضي الله عنه) : ص 127 ط النجف .

الولاية الإلهية ، والطاغوت ، ولم يكن الأمر يخفى على أحد .

( لقد مضى أصحاب الحسين ( عليه السلام ) ليلة العاشر ولهم نويّ كنويّ النحلّ ، بين قائم وقاعد وراكع

وساجد ) (1) .

سِمة العبيد من الخشوع عليهم      لله أن ضمّتهم الأسحار

وإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم      بيض القواضب أنّهم أحوار

وتقول فاطمة بنت الحسين : ( وأما عمتي زينب فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محابها تستغيث إلى

ربّها.. والله ، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة ) (2) .

كذلك كان الأمر في معسكر الحسين ( عليه السلام ) الشوق إلى لقاء الله و الإعراض عن الدنيا وزخرفها ،

والانقطاع عن الدنيا إلى الله حتّى لقد كان بعضهم يداعب أصحابه ويملّحهم في الليلة العاشرة .

فقد هزل يُويّر عبد الرحمن الأنصلي رحمه الله . فقال له عبد الرحمن : ( ما هذه ساعة باطل . فقال يويّر

: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاؤلاً شاباً ، ولكني مستبشر بما نحن لاقون ، والله ما بيننا وبين الحور

العين ، إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم.. ولوددت أنّهم مالوا علينا الساعة ) (3) .

والطوف الآخر في هذه المعركة كان همه ما يُصيب من الذهب والفضة ، والإمارة والجايزة في قتال ابن

بنت رسول الله .

فقد تولّى عمر بن سعد أمر قتال ابن بنت رسول الله طمعا في إمرة الوي .

( 1 ) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقوم : ص 238 .

( 2 ) مثير الأخوان : ص 56 .

( 3 ) تزيخ الطوي : ص 6 ، ص 241 .



## الصفحة 230

يقول الياضي : ( ووعد الأمير المذكور ( عمر بن سعد ) أن يملكه مدينة الوي ، فباع الفاسق الوشد بالغي ،

وفيه يقول :

أترك ملك الوي والوي بغيي وأرجع مأثوماً بقتل حسين

ثم يقول : ( وحزر رأس الحسين بعض الفجرة والفاسقين ، وحمله إلى ابن زياد ودخل به عليه وهو يقول :

أوقر ركابي فضةً أو ذهباً إني قتلت الملك المحجباً

قتلت خير الناس أمأوأباً وخوهم إذ يذكرون نسباً

فغضب ابن زياد من قوله وقال له : ( إذا علمت أنه كذلك فلم قتله ؟ والله لا سلمت مني خوأ أبداً ) (1) .

ويتبجح الأحنس بن مرثد الحزومي في رضه للأجساد الطاهرة بعد استشهادهم ، وهو يعلم أنه يعصي الله

تعالى في طاعة أمره ، ويقول كما يروي الخوارزمي :

نحن رضنا الظهر بعد الصدر بكل يعبوب شديد الأسر

حتى عصينا الله رب الأمر بضعنا مع الحسين الطهر (2)

لقد كان هم الحسين وأصحابه في كربلاء موضة الله ولقاء الله... وكان هم جند ابن زياد ، ما يدفع لهم الأمير

من الجاؤة والإموة والذهب والفضة .

لم يكن في الأمر إن أي خفاء . وجميع الذين عاصروا المعركة أو شاهدها أو وقفوا عليها من قريب أو

بعيد... كانوا يميزون فيها الحق من الباطل ، ودعوة الله عن دعوة الطاغوت .

( 1 ) انظر مرآة الجنان للياضي 1 / 132 . روايات السيد المهزبان .

( 2 ) مقتل الحسين للخطيب الخوارزمي 2 / 39 .

## الصفحة 231

ولم يتخلف أحد عنها عن جهل أو لبس ، وإنما عن إثارة العافية والراحة على القتل في سبيل الله... ولم يشهر أحد فيها السيف على ابن رسول الله عن لبس أو جهل... وإنما عن وضوح وعلم بأنهم يحاربون الله ورسوله وأوليائه بقتال الحسين ( عليه السلام ) .

وهذا الوضوح في ساحة المعركة يجعل معركة الطف معركة متموّدة من بين سائر المواقع التاريخية... إنها تعكس صورة صلخة من صراع الحقّ والباطل ، ومجابهة بين الولاء لله والولاء للطاغوت ؛ ولذلك كانت هذه المعركة رمزاً خالداً للصراع بين الحقّ والباطل . ومسوحاً للولاء والبراءة ، في حياة المؤمنين .

إنّ وقعة الطف لا تبقى مجالاً لأحد في التردد والتأمل .

فهي المواجهة الصلخة بين الحقّ والباطل ، وجند الله وجند الشيطان ، والهدى والضلال...

... فلا بدّ من موقف محددّ واضح في هذه القضية... فإن لم يكن هذا الموقف موقف الولاء لجند الله والولاء من أعدائهم... فهو لا محالة موقف الرضا بفعل يزيد وجنده ، وهو الموقف الذي يستحقّ اللعن والطرد من رحمة الله ، ففي زبيرة ورث :

**( فلعن الله أمة قتلتك )**

**ولعن الله أمة ظلمتك**

**ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به ( 1 ) .**

إنّ فقدان الموقف في عاشوراء هو بنفسه الموقف الرافض . فمن لم يقف مع الحسين ( عليه السلام ) يوم استنصر المسلمين ، وخذله ، فلا بدّ أن يكون راضياً بفعل يزيد ،

**( 1 ) زبيرة ورث .**

## الصفحة 232

ولو لم يكن راضياً بفعل يزيد ، لما أبطأ عن تلبية دعوة الحسين ونصوته .

### وحدة الولاء والبراءة في زيارة (ورث) :

إنّ النصّ المعروف في زيارة الحسين ( عليه السلام ) باسم زيارة (ورث) نصّ حافل بمشاهد الولاء

والبراءة .

ومن أهمّ هذه المشاهد : وحدة الولاء والبراءة ، وورثة الحسين ( عليه السلام ) للأنبياء ( عليهم السلام ) ،

وربط الولاء للحسين ( عليه السلام ) وأهل بيته وأصحابه بالولاء للأنبياء : وربط قيم عاشوراء بالقيم الموروثة

من تليخ الأنبياء ( عليهم السلام ) .

ولعلّ التسليم على الحسين ( عليه السلام ) في زيارة ورث ، بصفته ورثاً للأنبياء ( عليهم السلام ) للإشارة

إلى هذه الحقيقة .

( السلام عليك يا ورث آدم صفة الله ،

السلام عليك يا ورث نوح نبيّ الله ،

السلام عليك يا ورث إراهيم خليل الله ،

السلام عليك يا ورث موسى كليم الله ،

السلام عليك يا ورث عيسى روح الله ،

السلام عليك يا ورث محمد حبيب الله ،

السلام عليك يا ورث أمير المؤمنين وليّ الله ) (1) .

فإنّ هذه الصفة من أولياء الله وعباده الصالحين امتداد واحد لولاية الله على وجه الأرض ، وخطّ حضريّ

واحد ، يدعون إلى الالتفاف حول محور واحد ، ويحملون قضية واحدة ، كما أنّ أعداءهم أمة واحدة ، وخطّ

( 1 ) زيارة وراث .

الصفحة 233

وحربٌ واحدة ، رغم كلّ التباينات والتقاطعات الموجودة بينهم .

فالإحساس بوحدة الولاء ، ووحدة الولاية ، يُعمق الشعور بأنّ الأمة المسلمة على امتداد التاريخ منذ آدم ( عليه السلام ) إلى اليوم الحاضر أسوة واحدة ، تلتقّ حول محور واحد ، وتحلّب جبهة واحدة ، وتشترك في الحبّ والبغض والسلم والحرب ، وقضيتها قضية واحدة ، ومهمتها على وجه الأرض مهمة واحدة ، وخطها واحد ، وحضرتها واحدة ، وإيمانها واحد .

إنّ هذا الإحساس بمعية الله ومعية المؤمنين يزيل الشعور بالوحشة عن نفوس الدعاة إلى الله تعالى ، في خضمّ الصواع مع الطاغوت ، وفي مواجهة شوكة الطاغوت وجبروته وكبريائه .

فقد كان إبراهيم ( عليه السلام ) وحده أمة قانتا لله في مواجهة نمرود .

( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ( 1 ) .

مشاهد الولاء في زيارة ( وراث ) :

مشاهد الولاء في متن هذه الزيارة ثلاثة :

1 . التسليم : السلام عليك يا وراث آدم صفوت الله..

2 . الشهادة : أشهد أنّك الإمام البرّ التقي الوصي..

3 . الموقف : قلبني لقلوبكم سلم ، وأمري لأمركم متبع..

وضمن هذه المراحل الثلاثة يعبرّ الوائر عن ولائه للحسين ( عليه السلام ) في المعركة الكرى التي وقف فيها أبو عبد الله في مواجهة طاغية عَصُه... ينطلق فيها من جنور هذه المعركة التاريخية إلى يومنا هذا .

(1) النحل / 120 .

## الصفحة 234

والولاء يتجسد في هذه الزيارة ضمن هذه المفاهيم الثلاثة وهي :

- 1 . السلام والأمن والمحبة ( التسليم ) .
- 2 . الثقة المطلقة ( الشهادة بالإمامة وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ) .
- 3 . الموقف تجاه محور الولاية .

وسنعرض فيما يأتي هذه المشاهد الثلاثة للولاء في زيارة ورث .

السلام في ( النفس ) و ( المجتمع ) :

وأول هذه المشاهد التسليم ضمن ثلاث فَوَات :

( السلام عليك يا ورث آدم صفوة الله... )

السلام عليك يا بن محمد المصطفى... )

السلام عليك يا ثار الله وابن ثره ... ) ( I ) .

والتسليم من أهمّ عناصر الولاء ، وهو بمعنى ترك المشاكسة ، والمشاققة ، والاختلاف ، واللجاج ، والعناد ، داخل النفس وفي السلوك ، وإزالة عوامل البغضاء والكراهية والضغينة والاختلاف في الرأي والمخالفة ، وإحلال المحبة والمودة والانسجام النفسي والطاعة والانقياد والتسليم محلّ المشاققة والمخالفة واللجاج والبغضاء .

وهذه العلاقة في التسليم ، تأتي في خاتمة الصلاة ، في السلام ، ( السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

.)

وكأنَّ حصيلة الصلاة ، وحصيلة هذا العروج الروحي إلى الله تعالى هي التسليم والطاعة والانقياد والمحبة

والمودة لله ولرسوله ولأوليائه .

( 1 ) زبدة ورث .

### الصفحة 235

و ( السلام ) ليس فقط أساساً للعلاقة مع الله ورسوله ، وإنما هو أيضاً أساس للعلاقة مع الأمة المسلمة الملتفة

حول هذا المحور .

وقد اعتبر الإسلام ( السلام ) تحية بين المؤمنين ، وجعل هذه التحية خاتمة للصلاة ( السلام علينا وعلى

عباد الله الصالحين ) .

وهذا الاهتمام بنشر السلام بين أعضاء هذه الأسرة ؛ للتأكيد على نوع العلاقة القائمة بين أفراد وأعضاء

الأسرة المسلمة ، وأنَّ هذه العلاقة قائمة على أساس ترك المشاققة والمخالفة وإزالة البغضاء والضغائن والكراهية

من النفوس ، وبذل المحبة والمودة في النفوس والانسجام والوفاق والتعاون والتناصر في السلوك .

الشهادة للحسين ( عليه السلام ) بإمامة المسيرة :

تأتي بعد ذلك الشهادة ضمن ثلاثة فوات :

1 . الشهادة للحسين ( عليه السلام ) بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف : ( أشهد أنك قد أقمت

الصلاة ، وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين ) ( 1 )

و ( إقامة الصلاة ) هنا غير أداء الصلاة .

إنَّ أداء الصلاة تكليف شخصي وفريضة شخصية .

أمَّا إقامة الصلاة فهي تثبيت الصلاة ، والارتباط بالله ، وإعلان الصلاة وتفعيلها في حياة الإنسان .

... ثم ( وأمرتَ بالمعروف ونهيتَ عن المنكر ) .

فلم يكن الحسين ( عليه السلام ) يبتغي من خروجه على يزيد مُلكاً أو سلطاناً أو جاهاً ،

( 1 ) زبيرة ورث .

### الصفحة 236

وإنما كان يعمل لتثبيت دعائم المعروف وهدم أسس المنكر ، وإقامة محور الولاية لله وهدم محور الطاغوت .

وقد خطب الحسين ( عليه السلام ) يوم عاشوراء فقال :

( ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله... وإني لا أرى

الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً ) ( 1 ) .

وفي متول ( البيضة ) خطب الحسين ( عليه السلام ) في أصحابه فقال : ( أيها الناس إن رسول الله قال :

من رأى سلطاناً جائراً ، مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً عهده ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم

والعنوان ، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله .

ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطّوا الحدود ،

واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله ، وأنا أحقّ من غير... ) ( 2 ) .

فلم يكن الحسين ( عليه السلام ) يطلب سلطاناً أو مالاً... وهو يرى أنه يستقبل الموت في سؤفه هذا ، وإنما

كان يرى ظالماً جائراً ، يفسد في الأرض ، ويهلك الحرث والنسل ، ويحلّ حرام الله ، ويتجاوز حدود الله..

فنهض ( عليه السلام ) بالعُصبة المؤمنة التي احتفت به في كربلاء ؛ لفضح الطاغية وكسوه والتشهير به و تسقيطه أمام الرأي العام الإسلامي المضلل ، وتوعية الرأي العام بحقيقة الطاغية وإفساده في الأرض ، وانتزاع الأمة من محور الطاغوت وإعادتها إلى محور الولاية الإلهية .

2 . الشهادة بـ ( الطهر ) والزاهة للحسين ( عليه السلام ) ، الزاهة من كل إثم وذنب ،

(1) حلية الأولياء لأبي نعيم 2 / 39 .

(2) تزيخ الطوي 6 / 229 .

### الصفحة 237

والعصمة من كل خطأ وزلل وعصيان... طهارة النفس والسلوك... ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) (1) .

والشهادة بأن هذه الزاهة وهذا الطهر طهر موروث ، خلفاً عن سلف . وقد شاء الله تعالى أن يحتفظ بهذا

الطهر في هذه السلالة الطيبة ، عبر الحضرات الجاهلية التي سادت حياة الإنسان... وعبر ظلمات الحضرات

الجاهلية .

استمر إشعاع هذا النور الإلهي في ظلمات حياة الإنسان ، واستمر هذا الطهر بين رجاس الجاهلية ، لم

يتلوث ، ولم يلبسه شيء من مدلهمات ثيابها...

وقد اصطفى الله تعالى هذه السلالة المباركة للإمامة في حياة الإنسان عبر العصور المختلفة .

( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* نَرِيهٖ بَعْضَهَا مِمَّنْ بَعْضٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ) (2) .

ولنقرأ هذه الفقرة من الشهادة في زيارة ولث :



( أشهد أنّك كنتَ نوراً فيّ الأصلابِ الشامخة والأرحامِ المطهّرة ، لم تنجسكِ الجاهلية بأنجاسها ، ولم تُلبسكِ من مدلهماتِ ثيابها... ) ( 3 ) .

ولأُحِبَّ أن أتجاوزَ هذه الفقرة دون أن أُشيرَ إلى جمال التعبير في هذه الفقرة...

إنّ الطُّهرَ في هذا البيت الطاهر حصيلة اللقاح بين أصلابٍ شامخة ورُحامٍ

( 1 ) الأخواب / 33 .

( 2 ) آل عمران / 32 . ( حُماة الوحي ) للشيخ شهاب الدين الإثرافي والشيخ محمد موحد فاضل ، في

تفسير هذه الآية الكريمة وعلاقتها بإمامة أهل البيت ( عليهم السلام ) ص 176 . 168 .

( 3 ) زبيرة ورث .

### الصفحة 238

مطهّرة . أصلابٌ شمخت وترفعت مما يتساقط حوله الناس من متاع وزخرف زائلٍ ، ورُحامٍ طهّرت وسلّمت من أوضار وأوساخ وأدناس الحضرات الجاهلية التي تتلوت على حياة الإنسان ...

3 . الشهادة بموقع الحسين ( عليه السلام ) من حياة الأمة ، ومركزه القيادي الذي وضعه الله فيه ، وما آتاه الله تعالى من الإمامة والولاية على المسلمين .

( أشهد أنّك من دعائم الدين وأركان المؤمنين ، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي ، الرضي ، الزكي ، الشهيد ،

المهديّ .

وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى ، وأعلام الهدى ، والعروة الوثقى ، والحجة على أهل الدنيا ) ( 1 )

الموقف :

ثم يأتي بعد هذه المرحلة من التعبير عن الولاء : ( التسليم ) ، و ( الشهادة ) و ( الموقف ) .

والموقف هنا في ( الإيمان والرأي ) وفي ( العمل ) .

الموقف النفسي في ( الإيمان والرأي ) : ( أني بكم مؤمن وبإياكم موقن ، بشرائع ديني وخواتيم عملي ، وقلبي لقلبكم سلم ) ( 2 ) .

والموقف في ( العمل ) : ( وأؤري لأمركم متبع ) ( 3 ) .

مؤمن ولايتكم وإمامتكم وقيادتكم . وأصدق دليل على هذه الدعوة : أنني

( 1 ) زيارة ورث .

( 2 ) زيارة ورث .

( 3 ) زيارة ورث .

### الصفحة 239

أسلمكم شوائع ديني وخواتيم عملي.. فليس شيء أعزّ عند الإنسان المؤمن من شوائع دينه الذي يدين به لله تعالى ، وخواتيم عمله ، الذي يختم بها حياته ، حيث لا يمكن أن يتدرك منه شيئاً .

فإن من الممكن أن يتدرك الإنسان ما فوط فيه من أعماله ، وإصلاحها بالتوبة.. ومراجعة النفس ،

وتصحيح العمل... أمّا خواتيم العمل فهي التي تغرّ عاقبة الإنسان ومصيره.. ونحن نأخذ منكم شوائع ديننا

وخواتيم أعمالنا... وليس شيء أدلّ على الثقة والصدق في الولاء من ذلك.. ومن خلالكم نأخذ معالم ديننا وبكم

هدانا الله تعالى .

ثم هذا التسليم المطلق الذي لا يشوبه شقاق ، ولا يعكوه ريب في أعماق النفوس : تسليم القلب للقلب ، (

وقلبي لقلبكم سلم ) ، فإن انسجام القلوب ، وتلاقى القلوب ، وتفاهم القلوب من أسمى معاني و مصاديق ( السلم )

ثمّ (التبعية المطلقة) والانقياد والتسليم في مقام العمل (وأمرني لأمركم متبع) ، وهو يؤول إلى التسليم لأمر الله تعالى .

والموقف هنا إيمان مطلق ، وتسليم مطلق ، وثقة مطلقة في النفس.. و يستتبعه الالتزام الكامل ، والتبعية الكاملة في مقام العمل .

وورد في زيارة الحسين ( عليه السلام ) الخاصة في يوم عرفة ( إني سلم لمن سالمكم ، وحرب لمن حربكم ، وولي لمن والاكم وعدو لمن عاداكم إلى يوم القيامة ) (1) .

وفي زيارة الأربعين الخاصة : ( أشهد أنّي بكم مؤمن ، وبإيابكم موقن ، بشرائع ديني وخواتيم عملي ، وقلبي لقلوبكم سلم ، وأمرني لأمركم متبع ، ونصرتني لكم مُعدة حتى يأذن الله لكم ، فمعكم معكم ، لا مع عدوكم ، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسامكم وشاهدكم وغائبكم ) (1) .

( 1 ) انظر زيارة الحسين الخاصة ليوم عرفة ، وزيارة عاشوراء .

( 2 ) زيارة الأربعين .

## الصفحة 240

فالنصرة معدّة وجاهوة ، انتظرُ فيها إذن الله تعالى .

معكم ، معكم :

ثمّ بعد ذلك يأتي هذا التشييد الولائي الرائع.. وهذه النعمة الإيمانية العذبة... ( فمعكم ، معكم ، لا مع عدوكم... ) .

بالتأكيد ، بتكوار المعية ( فمعكم ، معكم... ) وبالسلب والإيجاب... والولاء والرواة ( لا مع عدوكم ) .

نردّد هذه التلبية الولائية لداعي الله ، الذي وقف يوم عاشوراء في كربلاء... يدعو البشوية إلى العودة إلى الله وتحطيم الطاغوت ، وكسر كبريائه وجبروته ، والعودة إلى عبودية الله .

( لبيك داعي الله ، إن كان لم يُجِبْكَ بدني عند استغاثتك ، ولساني عند استنصرك ، فقد أجابك قلبي.. )

(1) .

وإنّ أفضل التلبية تلبية القلب... فإذا فانتنا تلبية داعي الله بأبداننا في كربلاء ، فإن قلوبنا التي عمرها الله تعالى وولائه وولاء أوليائه لا تنفك عن الاستجابة لدعوته ، وبمقرعة الظالمين ، وكسر شوكتهم وسلطانهم ، وتعبيد الناس لله ، وتحكيم شريعة الله تعالى وحدوده في حياة الإنسان ، وانواع الإنسان من محور الطاغوت إلى محور الولاء لله تعالى .

**الواعة :**

والوجه الآخر لمسألة الولاية الواعة ..ولاولاية من دون الواعة..والولاء والواعة وجهان لقضية واحدة .

( 1 ) الزيرة المخصصة لأؤل من رجب .



## الصفحة 241

ويصدق الإنسان في ولاءه بقدر ما يصدق في الرواة ، فإنّ الولاء وحده لا يكلف الإنسان كثراً ، وأكثر ما يُصيب الإنسان من أذى وعناء في أمره الرواة .

وليس من الصعب من أن يُجامل الإنسان الجميع ، ويمدّ يده إلى الجميع ، ويعيش مع الكل بسلام ، ويدلّي كلّ العواطف والأحاسيس ، ويلعب على كلّ الحبال ويتجنبّ الصدام مع الجميع ، ويوزع الابتسامة في كل مكان ، ويُرضي الجميع .

إنّ مثل هذا الإنسان يستطيع أن يعيش في رَغَدٍ وعافية ، ويستطيع أن يكسب ود الجميع وتعاطفهم ، ويستطيع أن يعيش من نون مشاكل ومتاعب ، ولكن لا يستطيع أن يرتبط بمحور الولاية الإلهية على وجه الأرض ، ولا يستطيع أن ينتمي إلى هذه الأسرة المسلمة ، التي أعطتْ ولاءها لله ولرسوله ولأوليائه .

ولا يستطيع أن يملك موقفاً ، ولا يستطيع أن يُحبّ ويبغض ويرضى ويسخط بصدق ، ولا يستطيع أن يتجاوز حدود المُجاملة السياسية والاجتماعية في علاقاته .

إنّ الصديق في التعامل ، والموقف من الأحداث ، والقوة والحريّة والراحة في المواقف ، لا تتم من نون ولاء ، والولاء لا يتم من نون ولاء ، والرواة تُكلف الإنسان الكثير في علاقاته الاجتماعية وصلاته في المجتمع وفي الأسرة ، وفي راحته وعافيته وفي استقراره . وهذه حقيقة من مرائها حقائق كثيرة .

إنّ الرواة ضريبة الولاء والتعبّ والعناء ، والأذى ضريبة الرواة ، وهذه معادلات أرواها الله تعالى بسنته التي لا تتبدّل في حياة الإنسان .

\* \* \*

عن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) قال : ( عَشْرٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ ( عَزَّ وَجَلَّ ) بِهِنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ :

شهادة أن لا اله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء

التركة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، والولاية لأولياء الله ، والبراءة من أعداء الله ، واجتناب كل

مسكر ( 1 ) .

( 1 ) خصال الصدوق : 2 / 52 . =

## الصفحة 242

فالفاصلة بين الإسلام والكفر هي الولاية .

وعن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : ( ... إن أوثق عوى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله

، وتوالي ولي الله ، وتعادي عدو الله ) ( 1 ) .

وعن الرضا ( عليه السلام ) : ( روي أن الله أوحى إلى بعض عباده بني إسرائيل ، وقد دخل قلبه شيء : )

أما عبادتك لي فقد تغزرت بي ، وأمر هديك في الدنيا فقد تعجلت الواحة ، فهل واليت لي ولينا وعاديت لي عوا

؟ ثم أمر به إلى النار . نعوذ بالله منها ... ) ( 2 ) .

ولاء ( الأعرور ) :

روي أن رجلاً قدم على أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني أحب وأحب فلاناً ،

وسمى بعض أعدائه . فقال له ( عليه السلام ) : ( أما الآن فأنت أعرور ، فإما أن تعمي وإما أن تبصر ) ( 3 ) .

ورؤية الأعرور ، نصف الرؤية ، فهو يرى بإحدى عينيه فقط .

= وقد ورد في رسالة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إلى النجاشي . ملك الحبشة . : ( وإنني أدعوك إلى

الله وحده ولا شريك له ، والموالاتة على طاعته ، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني ، إنني رسول الله ) .

مكاتيب الرسول : 120 ) .

وفي رسالته ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) إِلَى أُسْتَقْفِ نَحْرَانَ : ( إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ عَنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِنْ أَتَيْتُمْ ، لَا جَزِيَّةَ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ ، أَذْنَتَكُمْ بِحَرْبٍ ) . ( مَكَاتِبِ الرَّسُولِ : 170 ) .

(1) المحاسن : 165 . وبحار الأنوار : 57 / 27 .

(2) فقه الرضا : 51 . وبحار الأنوار : 57 / 27 .

(3) بحار الأنوار : 58 / 27 .

### الصفحة 243

وكذلك ولاء الإنسان الذي يفقد الواءة ، ولا يجوأ على الواءة ، ويريد أن يجمع بين الكلّ ويؤضي الجميع . ومثل هذا النمط من الناس ، لا يبقى أعرا إلى آخر عوه بنصف الرؤية ، فإما يهديه الله تعالى فتكتمل لديه الرؤية ، وإما أن يفقد هذه الرؤية النصفية الضعيفة فيعمى ويفقد الواءة مطلقاً .

وقيل للصادق ( عليه السلام ) : إن فلاناً يؤألكم ، إلا أنه يضعف عن الواءة من عدوكم ؟ فقال ( عليه السلام ) : ( هِيَاهُ . كَذَبٌ مِّنْ ادْعَى مَحَبَّتِنَا ، وَلَمْ يَتَوَّأ مِّنْ عَدُونَا ) (1) .

والسائل في هذا الحديث دقيق في طرح السؤال : إن الشخص الذي هو موضع السؤال لا يشك في ولاءه ، ولكنّه يضعف عن الواءة ، وضعفه يجعل موقفه من الواءة مهزواً وضعيفاً ، ولا يملك القوة الكافية في أن يُعلن عن موقفه في الواءة والواءة ، والوصل والفصل ، والارتباط والمقاطعة ، بشكل صريح وحاسم .

فُجِيبَهُ الْإِمَامُ ( عليه السلام ) : إنّ الواءة الصادق لا يمكن أن ينفصل عن الواءة ، ومن يجد في نفسه ضعفاً عن الواءة ، فهو كاذب في ولاءه .

وفي حديث الأعمش عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) ، قال : ( حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَاجِبٌ ، وَالْوَالِيَةُ لَهُمْ وَاجِبَةٌ ، وَالْوَالِيَةُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَاجِبَةٌ ... وَالْوَالِيَةُ مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمُرْقِينَ وَاجِبَةٌ ، وَالْوَالِيَةُ مِنَ الْأَنْصَابِ وَالْأَرَامِ وَأُمَّةِ الضَّلَالِ وَقَادَةَ الْجَوْرِ كُلِّهِمْ ، أَوْلَاهُمْ وَأَخُوهُمْ ، وَاجِبَةٌ ) (2) .

وعن أبي محمد الحسن العسكري عن آبائه (عليهم السلام) ، قال : ( قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله )  
( لبعض أصحابه ذات يوم : يا عبد الله ، أحبّ في الله وأبغض في الله ، ووال في الله

(1) بحار الأنوار : 27 / 58 .

(2) الخصال : 2 / 153 و 154 . وبحار الأنوار : 27 / 52 .

### الصفحة 244

وعدّ في الله ، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجدر رجلُ طعم الإيمان ، وإن كثرت صلواته وصيامه ، حتى  
يكون كذلك .

وقد صارت مؤاخاة الناس في يومكم هذا أكثرها في الدنيا ، عليها يتقوّنون ، وعليها يتباغضون ، وذلك لا  
يُغني عنهم من الله شيئاً .

فقال له : وكيف لي أن أعلم أنني قد واليت وعاديت في الله ( عزّ وجلّ ) ؟ ومن ولي الله ( عزّ وجلّ ) حتى  
وُالِيه ، ومن عوّه حتى أعاديه ؟

فأشار له رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إلى عليّ ( عليه السلام ) ، فقال : أتوى هذا ؟ فقال : بلى .

قال : وليّ هذا وليّ الله فواله ، وعدوّه هذا عدو الله فعاده .

قال : والٍ وليّ هذا ولو أنه قاتل أبوك وولدك ، وعادٍ عدوّه هذا ولو أنه أبوك أو ولدك ) (1) .

وهذا المضمون قد وردَ تأكّيده في حديث الغدير المعروف ، والمرويّ عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله )

:

( من كنت مولاه ، فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل

من خذله ) .



وقد استوفى العلامة حُجَّة الحق السيد مير حامد حسين الكهوي (رحمه الله) في عبقات الأوار ، والعلامة الأميني (رحمه الله) في الغدير ، بواسطة هذا الحديث الشريف من حيث السند والتمتُّن .

وقد صدرَّ العلامة الأميني كتابه القيم ( الغدير ) بحديثٍ عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في هذا المعنى ، نوذُّ أن نختم به أحاديث الولاء والواعة .

عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، قال : ( مَنْ سَوَّهَ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مَمَاتِي ، وَيَسْكُنَ

( 1 ) التفسير للإمام العسكري : 8 . معاني الأخبار : 113 .

### الصفحة 245

جَنَّةِ عَدْنِ النَّبِيِّ غُرْسَهَا رَبِّي ، فليواليُ عليا من بَعْدِي ، وليوالي وليه ، وليقتد بالأئمة من بعدي ، فإنهم عترتي ، خلِّقوا من طينتي ، ورزقوا فهما وعلمًا ، فويل للمكذِّبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتِي ، لا أنالهم الله شفاعة ) ( 1 ) .

الطوائف الثلاثة الملعونة :

وقد ورد اللعن والواعة في زيارة ورث لثلاث أمم وطوائف :

( فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ .

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ .

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ ) ( 2 ) .

والطائفة الأولى : هي الطائفة التي باثرت قتال الحسين ( عليه السلام ) . ( لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أُسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ

وَتَهَيَّأَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ يَا مَوْلَايَ ، يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ) ( 3 ) .

والطائفة الثانية : هي الطائفة التي ظلمت الحسين ( عليه السلام ) ، وجرلت عليه ومكنت منه ، وشايعت

وبايَعَت وظَاهَرَت عليه ، وخالفتَه .

وهذه الطائفة تشمل كلَّ أولئك الذين أعوًا لقتالِ الحسين ( عليه السلام ) أو مكثوا منه ، أو خالفوه أو ظاهروا عليه ، أو ساهموا في الإعداد لقتاله ، أو أعانوا الطاغية في قتاله بطويقة أو أخرى ... وأشياح هؤلاء جميعاً وأتباعهم .

وقد ورد اللعن والوأة من هذه الطائفة ، في طائفة واسعة من الزيارات بصيغ

- ( 1 ) أخرجه الحافظ أبو نعيم في ( حلية الأولياء ) : 1 / 86 . وأخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في ( تزيينه ) : 4 / 410 .
- ( 2 ) زبيرة ورث .
- ( 3 ) زبيرة ورث المطلقة . وباختلاف يسير عن زبيرة عاشوراء المخصوصة .

## الصفحة 246

مختلفة .

ففي زبيرة عاشوراء المخصوصة : ( فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت ، ولعن الله أمة دفعتم عن مقامكم ، ورأتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها ... ولعن الله أمة قتلتم ، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم ، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياحهم وأتباعهم ) ( 1 ) .

وأيضاً جاء في زبيرة عاشوراء : ( وأوأ إلى الله ورسوله ممن أسس أساس ذلك - الظلم والجور عليكم أهل البيت - وبنى عليه بنيانه ، وجرى في ظلّمه وجوره عليكم وعلى أشياحكم ، برئت إلى الله وإليكم منهم ) ( 2 ) .

وهذه الطائفة طائفة واسعة تشمل كلَّ أولئك الذين ساهموا في قتال الحسين أو مكثوا من قتاله أو أعوًا له ،

أو بايعوا الطاغية على قتاله أو شايعوا أو ظاهروا عليه ...

### الطائفة الثالثة ( الشريحة الواضحة ) :

والطائفة الثالثة : هي الطائفة التي سمعتْ بذلك فوضيتْ به .

وهذه الطائفة تستوقف الإنسان طويلاً ، فمن هم أولئك الذين سمعوا بذلك فوضوا به ؟

إنّ هذه الطائفة ليست بالتأكيد مُشركة في القتال ، ولا هي مشركة في ممّسة الظلم بصورة عملية ، ولا كانت تدخل ضمن الطائفة الأولى أو الثانية ؛ وإلاّ لم يكن من موجب لإفادها بالذكر ثالثاً .

( 1 ) زيلة عاشوراء المخصوصة .

( 2 ) زيلة عاشوراء المخصوصة .

### الصفحة 247

فهذه الطائفة لابدّ أن تكون ممّن سمعوا استنصار الحسين ( عليه السلام ) ولم ينصروه ، وآثروا العافية على الوقوف بجانب سيّد الشهداء ( عليه السلام ) في معركة الطفّ ، وخذلوا سيّد الشهداء ( عليه السلام ) ولم ينصروه في يوم عاشوراء ... وهذه الطائفة لابدّ أن تكون راضية بما حدث في يوم عاشوراء .

فلا يُمكن أن يتمّ هذا الخذلان والسكوت والقعود عن نصرة ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، في معركته مع طاغوت عصره ، والقعود بعد ذلك عن أخذ ثرّه ، ولا أنّهم كانوا راضين بما حدث .

إنّ تخلف هؤلاء عن الالتحاق بالحسين ( عليه السلام ) ، وتقاعسهم عن نصرة الحسين ، وإيثارهم للعافية في دنياهم على آخرتهم ، ينطوي على الرضا بما قام به يزيد ، وإن لم يكن كذلك ؛ فإنّ كلّ هذا التخلف والتقاعس وإيثار العافية يُؤدّي أخيراً إلى الرضا بالظلم .

وقد ذُكرت هذه الطائفة في نصوص أخرى للزيلة بصيغ مختلفة ، كلها تصب في معنى التخاذل عن نصرة

( أبي عبد الله الحسين ) ( عليه السلام ) ، والتعاس عن الالتحاق به ، وإيثار العافية على الوقوف إلى جانب سيّد الشهداء ( عليه السلام ) .

فقد ورد في الزيارة المطلقة الثانية : ( لُعِنَتْ أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ ، وَأُمَّةٌ خَائَفَتْكُمْ ، وَأُمَّةٌ جَحَدَتْ وَلَايَتَكُمْ ، وَأُمَّةٌ ظَاهَرَتْ عَلَيْكُمْ ، وَأُمَّةٌ شَهِدَتْ وَلَمْ تَسْتَشْهَدْ ... ) ( 1 ) .

وموضع الشاهد الفقرة الأخيرة : ( وَأُمَّةٌ شَهِدَتْ وَلَمْ تَسْتَشْهَدْ ) .

ووردَ في الزيارة المطلقة السابعة : ( وَأَشْهَدُ أَنَّ قَاتِلِكَ فِي النَّارِ ، أَدَيْنَ اللَّهُ بِالْوَاءِ مَنْ قَتَلَكَ ، وَمَنْ قَاتَلَكَ

وَشَايَع

( 1 ) الزيارة المطلقة الثانية .

## الصفحة 248

عَلَيْكَ ، وَمَمَّنْ جَمَعَ عَلَيْكَ ، وَمَمَّنْ سَمِعَ صَوْتَكَ وَلَمْ يَعْزُكَ ) ( 1 ) .

وموضع الشاهد : ( وَمَمَّنْ سَمِعَ صَوْتَكَ وَلَمْ يَعْزُكَ ) .

ووردَ في زيارة ليلة القدر وليلة العيدين : ( أَشْهَدُ أَنَّ الَّذِينَ خَالَفُوكَ وَحَرَبُوكَ ، وَالَّذِينَ خَذَلُوكَ وَالَّذِينَ

قَتَلُوكَ ، مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ) ( 2 ) .

وواضح في هذا النص أنّ الطوائف الثلاث الملعونة هي :

1 . الطائفة التي خَالَفَتْ وَظَلَمَتْ .

2 . والطائفة التي قَاتَلَتْ الْحُسَيْنَ وَقَتَلَتْ .

3 . والطائفة التي خَذَلَتْ الْحُسَيْنَ ( عليه السلام ) ، ولم تلبُ دَعْوَةَ الْحُسَيْنِ ( عليه السلام ) ولم تنصُرْهُ .

فالذين سمعوا صوخة الحسين ( عليه السلام ) في وجه يزيد ، وسمعوا نداء الحسين ( عليه السلام ) وهو يستنصر المسلمين فلم يتحركوا ، وخذلوا سيّد شباب أهل الجنة ، وآثروا عافية دنياهم على سلامة الآخرة ، وتخلّفوا عن الالتحاق بالحسين ( عليه السلام ) ... أولئك من أهل الرّاءة ، ومن الذين يستحقّون اللعن .

### عاشوراء (يوم الفرقان) :

إنّ معركة الطفّ كانت معركة حقيقية ، في الأبعاد العقائدية والحضرية والسياسية .  
ولذلك ؛ فهي تتطلّب مواقف حقيقية من الولاء والرّاءة ، وترفض التوجّج واللامبالاة .

( 1 ) الزيّرة المطلّقة السابعة .

( 2 ) الزيّرة المخصوصة لليلة القدر و ليلة العيدين .

## الصفحة 249

فطبيعة المعرك والصراعات الحضريّة والعقائدية أنّها تشطر الناس شطّوين : مخالف وموافق ، ويجري هذا التشطير والانقسام بصورة مستترة فيما بعد ، وإلى ما شاء الله من العصور .

ومعركة الطفّ في القمّة من هذه المعرك والصراعات ؛ نظرا إلى المواجهة والمقابلة العقائدية والحضرية والسياسية التي تمتّ في هذه المعركة ، ولوضوح الطرفين في اتجاّاتهما العقائدية والحضرية ، فلم يكن خافيا أمر الحسين ابن بنت رسول الله وسيّد شباب أهل الجنة على أحد من المسلمين ، كما لم يكن خافيا أمر يزيد بن معاوية ابن آكلة الأكباد ، وسلالة الشجرة الملعونة في القوان على أحد ، ولا أحد يشكّ في ماهية وحقيقة الطرفين المتصلّعين ، ومنّ منهما كان يدعو إلى الله ، ومنّ منهما كان يخالف رادة الله ويعصي الله .

هذه المأساة والمواجهة التريخيّة شطّوت الناس شطّوين متميّنين :

الشطّر الأول : الموالي والناصر والمُنتميّ والموتبط والمساند .

## والشطر الثاني : المُخالف والمُعادي .

وهذا الصراع لم يدع أحدا يقف بين الصفيين ليؤج على المعركة من دون أن يصيبه غبار من هذا الطرف أو ذاك .

فلا بد من موقفٍ مُحددٍ ، من ولاء أو راءة .

ولذلك قلنا : إن هذه المعركة شطرت الناس في الولاء والراءة شطرين متميزين ، من سنة إحدى وستين هجوية إلى يومنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله من العصور .

## أبعاد وامتدادات المواجهة ليوم الفرقان :

ولقد كان يوم بدر ( يوم الفرقان ) الأول في تليخ الإسلام ، يقول تعالى : ( يَوْمَ

## الصفحة 250

## الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ) ( 1 ) .

وهو أول مواجهة قتالية بين التوحيد والشرك في تليخ الإسلام ، وعلى نتائج هذه المواجهة الميدانية كان يتوقف مصير البشرية جميعاً .

صحيح أن الذين وقفوا مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في بدر ثلاثمائة أو يزيدون ، وأن الذين وقفوا إلى جانب قريش لقتال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ألف أو يزيدون قليلاً ، إلا أن هذه المواجهة كانت أعمق وأوسع مما يتراءى لنا لأول مرة من خلال التليخ في وادي بدر ، في السنة الثانية بعد الهجرة .

فقد كان يقف من وراء المشوكين من قريش في بدر جبهة عريضة من الشرك ، في الجزيرة وخرجها ؛ وتصاعد الأحداث بعد هذا اليوم أثبت هذه الحقيقة ، ولقد وقف رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بهذه العصابة الصغيرة أمام جبهة الشرك العريضة .

فيوم بدر إذن ، فَرَّقَ الناسَ إلى شطرين متمايزين في الولاء :

شطر قوامه ثلاثمئة وخمسة مقاتلين .

وشطر قوامه جبهة الشرك العريضة ، وبكلِّ إمكاناتها الواسعة .

فهو ( يوم الفرقان ) الأول حقاً في تزيخ الإسلام .

إنَّ النظرة الساذجة الأولى لساحة بدر . في السنة الثانية من الهجرة . لا تلتقي إلاَّ بهذين الجمعين الصغيرين

المُتقاتلين ، ولكنَّ النظرة العميقة الممَّعنة تلتقي في هذه الساحة بحضرتين وعقيدتين تتصلعان على البقاء ، وفي

جبهات عريضة واسعة ، وليس مع ألف من المقاتلين أو يزيدون فقط .

ولم يكن يوم بدر ( يوم الفرقان ) الذي يشطر الناس في الولاء والنواة إلى

(1) الأنفال : 41 .

## الصفحة 251

شطرين في السنة الثانية من الهجرة فقط ، وإنما يظلّ هذا اليوم يوم فرقان في تزيخ الإسلام ، إلى أن يأذن الله

بنهاية الأرض .

يوم الفرقان الثاني في تزيخ الإسلام :

وإذا كان يوم بدر ( يوم الفرقان ) الأول في تزيخ الإسلام ، فإنَّ يوم عاشوراء ( يوم الفرقان ) الثاني في

تزيخ الإسلام .

كان يقف فيه الحسين ( عليه السلام ) مع ثلَّة صغيرة من أهل بيته وأصحابه ، وفي الجانب الآخر يقف ابن

زياد مع جيش واسع ، ومن وراءه يزيد وسلطانة وملكه الواسع وأمواله الكثيرة وإمكاناته ، وكلَّ الموالين له

والمُستفيدين منه .

ففي يوم عاشوراء إذن ، نجد كلَّ خصائص ( الفوقان ) ، فقد شُطرَ الناس إلى شطرينَ متمايزين في الولاء والأخلاق والفكر والخطِّ والعقيدة ..

ولا زال هذا اليوم ( فُوقاناً ) في تزيخ الإسلام ، يُفوقُ الناس في الولاء والواعة ، إلى أن يأذن الله بنهاية الأرض .

### يوم الفرقان الثالث في تزيخ الإسلام :

وما دُمنّا قد أشرنا إلى يومين من أيام ( الفوقان ) في التزيخ الإسلامي : ( يوم بدر ، ويوم عاشوراء ) ، فلا نستطيع أن نتجاوز هذا الحديث دون أن نُشير إلى اليوم الثالث من أيام ( الفوقان ) في تزيخ الإسلام الحديث ، والذي يأتي امتداداً ليوم بدر ويوم عاشوراء .

وهو : يوم انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران .

والذي هو من أيام الله الكورى في التزيخ ، هدمَ الله تعالى فيه عرشَ أكبرِ إمبراطوريةٍ في آسيا ، تحميه أضخم الأجهزّة السرية والعلنية ، وأكبر قلعة للاستكبار في المنطقة ، تحميها سادس قوة ّ

## الصفحة 252

عسكويّة في العالم ، وذلك بقيادة الإمام الخميني ( قدس سوه ) .

إنّ هذا اليوم لا يعني فقط سقوط نظام أسوة بهلوي في تزيخ إيران ، وإنما يعني نهاية مرحلة من التزيخ وبداية مرحلة جديدة في تزيخ الإسلام .

فإنّ سقوط أسوة بهلوي ، وقيام الجمهورية الإسلاميّة يُعتبرُ نهاية لعصر من الخمول والركود والاستضعاف واليأس ، والارتداء في أحضان الغوب والشرق ، والتخلّف الفكري والثقافي والسياسي والعسكري والاقتصادي ، والهزيمة النفسيّة ...

وبداية عصر جديد من التحرك باتّجاه حاكمية دين الله على وجه الأرض ، وفك القيود والأغلال من الأيدي والأقدام ، وكسر الطوق السياسي والاقتصادي والعسكري والعلمي والحضري ، الذي فرضه الاستكبار الغوبي



والشوقي على العالم الإسلامي ، والعودة إلى الله ، وتعبيد الإنسان لله ، وتحكيم شريعة الله في حياة الإنسان ، وإعادة الأعراف والقيم والأخلاق ، والحدود الإسلامية إلى صلب الحياة من جديد .

وبالإجمال ، مرحلة جديدة للتاريخ .

إنّ هذا اليوم امتداد حقيقي ليوم عاشوراء ، كما كان يوم عاشوراء امتداداً واقعياً ليوم صفيين وبدر .

### انتصار الثورة الإسلامية منطلق ثوري وقيمة حضارية :

ونُلخّص فيما يلي أبرز نقاط وعناصر هذه الثورة المباركة :

إنّ هذه الثورة ثورة مبدئية بكل معنى الكلمة ، وهي فرع جديد من العمل والحركة الثورية في تاريخنا المعاصر ، وحدث سياسي بارز لا شبيه له في الأحداث المعاصرة ، وصواع جديد بين التوحيد والشرك ، بين التوحيد في الولاء والشرك في الولاء .

فهي تتّجه لفتح رتباط الإنسان المسلم بالاستكبار الشوقي والغربي ، وفك رتباطه بمحور الولاء المصطنعة : ( القومية ، الوطنية ، العشائرية ، الحزبية ... ) ، وربطولائه بالله تعالى ، ورسوله وأوليائه ، وتوحيد الولاء

### الصفحة 253

لله تعالى ، ومقاطعة ومُحاربة كل المحاور الأخرى التي تعمل لانواع الولاء من الناس .

تلك كانت طبيعة الثورة ومحتواها .

إنّ من المهمّ أن نفهم نحن مسار الثورة الإسلامية المعاصرة ومحتواها ، ومن دون ذلك لا نستطيع أن نساهم أو ندعم أو نُساند هذه الثورة .

إنّها ليست ثورة على التخلف العلمي والتقني ، ولا هي ثورة على التخلف الاقتصادي والفقير الاجتماعي ، ولا هي ثورة ضدّ الاستعمار ، ولا هي ثورة من أجل تحرير آبار النفط من قبضة ملوك النفط أو من الشركات

الاحتكارية، ولا هي ثورة طبقةٍ أخرى ( صواع طبقي ) ، كما حدث في ثورة الزنج في تـاريخ الإسلام ، وإن كانت تحوي على كل هذه الأمور ، وتطمح لكل هذه المكاسب ، وتحقق هذه النتائج كلها إن شاء الله ، إلا أنها في جوهرها شيء آخر .

إنها ثورة الولاء لله تعالى على الولاء للطاغوت ، وثورة التوحيد على الشرك ، وثورة الإسلام على الجاهلية الحديثة .

وهي إذا حققت غايتها على وجه الأرض ، فسوف تقضي على التخلف العلمي والثقافي والتقني ، وتقضي على الفقر والتخلف الاقتصادي ، وتقضي على الاستثمار والاستعمار ، وتقضي على الاحتكار ، وعلى الشركات الاستعمارية ، وتقضي على التلاعب بأموال المسلمين وثرواتهم ، وتقضي على الاستضعاف والاستكبار ، وعلى استضعاف طبقة طبقة أخرى ، ومملوسة السيادة لطبقة على أخرى .

إن هذه الثورة سوف تحقق كل هذه الغايات ، وغايات أخرى أبعد من هذه وأسمى منها إن شاء الله . ولكن ، على أن تحافظ على جوهرها ومحتواها الحقيقي ( ثورة التوحيد على الشرك ) .

إن السمة البارزة والأولى لهذه الثورة هي : ( الربانية ) ، وهذه السمة هي التي

## الصفحة 254

تربطها ببدرٍ وصيفين وعاشوراء ، وبحركة الأنبياء ( عليهم السلام ) ، وبمسار الصالحين من أولياء الله .

ومتى أُوغت الثورة من هذه السمة ، وتشبعت بالأهداف والشعرات الجانبية ، فقدت كل قيمتها ، وفقدت تأييد الله تعالى لها .

إن هذه الثورة تختلف اختلافاً جوهرياً عن كل الثورات المعاصرة لنا ، كالثورة الفرنسية ، وثورة أكتوبر ، والثورات التي قامت في القارة الأفريقية وفي آسيا بعد الحرب العالمية الثانية ، والثورات في المنطقة العربية .

إن الكثير من هذه الثورات كانت ثورات طبقيّة ، ثورة طبقة مستضعفة على طبقة مستأثرة . أو ثورات تحريرية من الاستعمار وسيطرة الأجنبي ، أو القضاء على أنظمة ديكتاتورية . أو حكام مجرمين .

ولا نستطيع أن نستثني ثروة مُعاصِرة عن هذه المنطلقات .

والثروة الإسلامية هي الوحيدة التي انطلقت من منطلق آخر ، يختلف اختلافاً نوعياً عن هذه الثروات جميعاً

انطلقت باتجاه تحرير الإنسان من المحلور البشوية للولاء ، مهما كان نوعها ، إن لم يكن مرتبطاً بالله تعالى ، وتعبيد الإنسان لله تعالى ، وتحكيم شريعته في حياة الإنسان ، وترسيخ محور الولاية الإلهية بكل امتداداتها في حياة الإنسان .

**تواكُم من الفعل والحواب ( الفعل والانتغال ) :**

إن هذه الثروة حصيلة جهود كثرة وكبيرة ، من قبل كل العاملين في سبيل الله وطلّاع العمل الإسلامي ، من الذين وعوا محنة الأمة وتحملوا المسؤولية ، ونهضوا بأعباء المسؤولية .

إن هؤلاء جميعاً لهم نور في بناء قواعد هذه الثروة ، وفي انجاز هذه الحركة الوبائية على وجه الأرض ، وفي تحريك هذا السيل

## الصفحة 255

البشوي الهادر الذي زرع مكان الطاغوت .

إن الطالب الذي كان يدعو إلى الله ورسوله ، وإلى تحكيم شريعة الله بين زملائه الطلبة ، له نور في بناء هذه الثروة ، والعامل الذي كان يبث الوعي الإسلامي في صفوف إخوانه العمال ، له نور في هذه الثروة ، والخطيب الذي كان يخطب في المساجد والاجتماعات ، وينشر هدي الإسلام ووعيه ، له نور في هذه الثروة ، والعالم ، والكاتب ، والشاعر ، والأديب ، والمعلم وكل حملة الرسالة ، من النساء والرجال ، والذين وضعوا حجراً في أساس هذه الثروة ، من مشرق الأرض ومغربها ، لهم نور وحظ في هذه الثروة المباركة .

إن هذه الثروة التي زلزلت الأرض تحت أقدام الطغاة ، لم تكن حصيلة فترة زمنية محدودة . وجهد جماعة من العاملين ، وإنما كانت حصيلة أجيال من العمل في سبيل الله ، من قبل كل العاملين في حقول العمل الإسلامي

كما إنّ هذه الثورة حصيلة كلّ الآلام والحمران ، والاضطهاد والعذاب والعناء الذي لاقاه المسلمون في مرحلة الوركود والضعف .

وساهم في هذه الثورة كلّ الشهداء الذين اضطهروا في سبيل الله ، وكلّ من التفت السّيّاط على جسمه في غيابات السجون ، وكلّ الدوع والدماء والآهات ... وكلّ الهجرات التي كانت في سبيل الله .

أجل ، إنّ هذه الثورة كانت انفجاراً هائلاً لكُلّ هذه الآلام والمحن ، ولو كان الأمر في هذه الثورة الإسلامية يقتصر على العامل الثاني : (ركام الآلام والعذاب ) ، لكان من الممكن أن تغلب على هذه الثورة الصفة الانفعالية ، إلا أنّ وجود العامل الأول وقوته وفعاليتها في تحقيق هذه الثورة المباركة ، كان عاملاً قوياً في توجيه الثورة وتصحيح مسراها ، والمحافظة عليها من الانحراف .

### محولات لأقلّمة الثورة :

فليست هذه الثورة ثورة إقليمية ، كما يحاول أعداء الإسلام أن يصفوها ، وكما

## الصفحة 256

تتطلي أحياناً على بعض السذج من المسلمين ، وليست ثورة إسلامية إرانية ، وإنما هي ثورة إسلامية شاملة ، وشاء الله تعالى أن تكون نقطة انفجار هذه الثورة أرض إيران ، والشعب الذي يُفجر هذه الثورة ، الشعب الإيراني المسلم .

وأية محاولة لأقلّمة هذه الثورة وعزلها عن مشاعر وأحاسيس وقلوب المسلمين خيانة لهذه الأمة ، إن كانت من قبل أعداء هذه الأمة والمتربصين بها سوء ، أو من أبنائها الذين لم يعوا خطورة هذا الدور .

إنّ عزل الثورة الإسلامية عن مشاعر المسلمين وعن الرأي الإسلامي ، وتطويقها ، يعدّ خيانة كبرى ومقدمة للإجهاد عليها . ويجب علينا كمسلمين أن نواجه هذه المؤامرات بوعي وانتباه ، وبعيداً عن جوّ الحساسيات ، وفي جوّ من المسؤولية الشرعية .

إنّ هذه الثورة بداية لانفجار شامل وثورات إسلامية كثرة على وجه الأرض ، وليست تلك الثورات شيئاً آخر غير هذه الثورة ، ولا امتداداً لها ، وإنما هي مراحل مختلفة لثورة واحدة ، شاء الله تعالى أن تتم المرحلة الأولى منها في إيران ، وفي أحضان هذا الشعب المسلم الشجاع .

رأيت خطّ الزوال ينطلق من نقطة ويمتدّ على منطقة واسعة من الأرض ، بفعل التفاعلات غير المرئية في طبقات الأرض!؟

كذلك هذه الثورة .

**التفاعلات التي كانت تجري في الأعماق غير المرئية لهذه الأمة :**

لقد تمّ في عمق هذه الأمة تفاعلات واسعة وكبيرة وقوية ، بتأثير الفعل ( العامل الأول ) والانفعالات ( العامل الثاني ) ، في غياب من رصد الاستكبار العالمي .

وحيث كان الاستكبار العالمي زهو بانتصاراته الكوى في العالم الإسلامي ، ويعيش في نشوة هذه الانتصارات على العالم الإسلامي ، جرت هذه

## الصفحة 257

الانفعالات في أعماق الأمة الإسلامية ، وتفاعلت وتفاقت ، ثم كأتت الثورة التي تشبه الزوال ، فاهوت الأرض من تحت أقدام حُكّام الغوب وأتباعهم ، ولم ينتبه هؤلاء الطغاة من نشوة وسكر السلطان إلا بعد أن حدث الزوال .

إنّ الذي حدث في طهران كان شيئاً أكبر بكثير من تصوراتنا المحدودة ، كان تحقيقاً لوعد الله سبحانه وتعالى للصالحين المُستضعفين من عباده في هذه الأمة **( وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتِضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمُنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) (1)** .

وعلينا قبل كلّ شيء ، أن نعي بصورة جيّدة الأبعاد الحقيقية لهذه الثورة ، وأن ننشر هذا الوعي في صفوف المسلمين ؛ لنُحِبِّبِ المؤامرات التي يحيكها أعداء الإسلام لتطويق ومحاصرة الثورة الإسلامية .

إنّ الذي يقوُّ كتبٌ ومحاضرات الإمام الخميني ( قدس سوه ) ، يجد وعياً دقيقاً لهذه المؤامرة ، وتوجيهها عملياً لإحباطها ، وحرصاً مسؤولاً لوحدّة ومصير المسلمين ، ولارتباطهم بالثورة ، سواء كانوا سنة أم شيعة ، عرباً وفوساً ، وتعميم مسؤولية المحافظة على هذه الثورة على المسلمين جميعاً .

إنّ هذه الثورة من عملٍ وجهُدٍ وعناء كل المسلمين الصالحين .

ورسالة هذه الثورة فكّ الأغلال والقيود عن أيدي وأقدام كل المسلمين .

ومسؤولية المحافظة على هذه الثورة من واجب كل المسلمين كذلك .

ومن أجل هذه الشمولية الواسعة في هذه الثورة ، نجد أنّ فكرة تصدير الثورة رافقت ولادة .

إنّ من يعرف طبيعة وجنور وأعماق هذه الثورة ، يترك أنّ هذه الثورة لا تعترف بالحدود الإقليمية ، ولا

بالوعدة القومية ، وأنّها لا تقف من وراء الحدود

(1) القصص : 6.5 .

## الصفحة 258

تستأذن سدنة الحدود ؛ ليفتحوا إليها الطويق ، إنّها السيل الذي لا يقف ولا يتودد ولا ينتظر .

ونحن نضع هذه الحقائق في طويق الثورة ، وبين يديّ هذه الأمة المؤمنة ومفكريها ، وقادتها وعلمائها

والعاملين في صفوفها ؛ ليعرف كلّ واحد منا مسؤوليته رأء هذا الحدث الكبير .

## الولاء والوادة بعد الثورة :

وهذه الثورة من أيام الفرقان في تزيخ الإسلام ، انشطر الناس تجاهها إلى شطرين :

شطر الموالين ، وشطر المعادين .

وليس للثورة ولاء جديد في قبال الولاء لله ولرسوله ولأوليائه ، وإنما هو امتداد لولاء الله .

إنّ هذه الثورة كانت من الأحداث القليلة والناورة في التاريخ ، التي لم تسمح لإنسان أن يقف منها موقف المُتفَرِّج واللامبالاة ، وإنما تفرض على كل الناس أن يحكموا لها وعليها ، ومنذ أيام بؤوغ هذه الثورة ، ومنذ أن اندلع لهيبها في طهوان ، وجدنا كل القلوب المؤمنة والضامئ الحية قد تجمعت حول هذه الثورة ، وتعاطفت معها

وكانت تعيش باهتمام بالغ ساعات ميلاد هذه الدولة المباركة ، وحبسَ التاريخ أنفاسه ليتابع لحظات هذا الميلاد ، لحظات ( عودة الحضرة الرّبّانية ، وعودة سيادة الإسلام على وجه الأرض ) و ( حاكمية الله في حياة الإنسان ) ، بعد تلك السنوات العُجاف من الرُكود والخمول والضعف ، والهزائم النفسية ،

## الصفحة 259

والانصهار المُذِلّ في حضرة الاستكبار الشوقي والاستكبار الغربي ، ونفوذ وسيطرة الكفر العالمي على بلادنا وأمتنا وثرواتنا .

وفي مقابل ذلك ، فقد أحسّ كلّ الظالمين العتاة والجلادين والذين باعوا دينهم وضماؤهم ، كل أولئك أحسوا بالشرّ وأحسوا بالخطر ، وبأنّ هناك حدثاً جديداً ، وميلاداً جديداً ، وأنّ الذي يجوي في طهوان ليس أمراً كسائر الأمور التي تجري هنا وهناك . إنّ نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة ، ونهاية لحضرة وبداية لحاضرة .

لقد أحسّ هؤلاء بالشرّ ، وبالخطر يفاجئهم على حين غفلة ، فأعلنوا عدائهم تجاه الثورة منذ اللحظات الأولى لانطلاقتها ، ولم يُخفوا حقدهم وتخوفهم من هذه الثورة .

لقد استقبلت الثورة طائفتان من الناس :

**الطائفة الأولى :** استقبلتها بقلوب مؤرها العطف والحبّ والحماس ، والاندفاع لنصوتها ، والدعاء إلى الله بتأييدها .

**الطائفة الثانية :** استقبلتها بقلوب حاقدة مُتخوفة متحسبة ، لم تتمكن من إخفاء هذا الحقد والخوف والتحسس

وهذا الانشطار في الولاء والبراءة في خصائص أيام الفرقان في التلخيخ ، ولسوف تبقى هذه الثرة تحتفظ بهذه الخاصية المزوجة في مراحلها المختلفة .

### حتمية الصراع :

ولقد كان من الطبيعي أن يكون ميلاد هذه الدولة المبكرة واستورها إيداناً بصراع مُمتدّ طويل ، بينها وبين الجاهلية الحديثة ،

## الصفحة 260

فلا يُمكن أن يسكت أو يهدأ الغوب أمام هذه الموجة الوبانية ، نون إثرة الفتن والمتاعب في طريق دعة هذه الثرة ، ودون أن يعمل على تطويق ومصاهرة هذه الثرة .

إنّ الذي يتفهم سنن الله في التلخيخ ، يستطيع أن يفهم بوضوح حتمية هذا الصراع بين هاتين القوتين : ( القوة الإسلامية النامية ، وقوة الكفر العالمي ) ، وأنّ هذا الصراع سوف يكون من أقسى أنواع الصواع وأطولها ؛ ذلك أنّ هذا الصراع صواع من أجل البقاء ، والصراع على البقاء يطول ويقسو ويستمر ؛ لأنه صراع عقائدي حضري ، وليس صواعاً على ماء وطن ، وعلى نطف وصُلب ونحاس ، حتى يمكن اللقاء والتفاهم فيه .

ولا يُمكن تجنب هذا بحالٍ من الأحوال .

إنّ هذه الثرة والدولة قد كسوتا دائرة النفوذ الاستكبري : ( الشوقي والغوبي ) على العالم الإسلامي ، وخرجت الدولة الإسلامية لأول مرة عن منطقة نفوذ القوى الكوى بشكلٍ كامل ، وتعمل الثرة الآن لفك هذا الحصار عن كلّ العالم الإسلامي .

ومن الطبيعي أن يُواجه الاستكبار هذه الثرة ودولتها الناشئة بكلّ أنواع الضغوط والمؤامرات ، من الداخل والخارج ؛ لتجيمها واستهلاكها وتطويقها .

### والعاقبة للمتقين :



والعاقبة في هذا الصواع للمتقين .

ومهما نشكّ في شيء فلا نشكّ في هذه الحقيقة ، أن الأمة المؤمنة لا تدافع عن نفسها ، وإنما تدافع عن دين الله ، وشريعة الله وحدوده ، ولا تواجه أعداءها وإنما تواجه أعداء الله ، ولا تحارب بحولها وقوتها وإنما تحارب بحول الله وقوته .



## الصفحة 261

فإذا استوفت هذه الأمة الشروط ، ووضعت ثقتها في الله ، وأعطت نفسها لله ، وابتعدت عن التعلق بالدنيا وحبها ، وتخلصت من أهوائها ، وقامت لله تعالى مثى وفادى ؛ فإن الله تعالى ينصوها ، طال عليها الأمر أم قصر ، فإن ذلك وعد الله تعالى ، ولا يخلف الله وعده .

واستمعوا إلى كتاب الله الكريم وآياته البينات :

( وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ) (1) .

( وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ) (2) .

( إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) (3) .

( فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) (4) .

( وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ) (5) .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصِرُوا اللَّهَ لَيُنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ) (6) .

إن المعركة إذا طالت وإذا قست ، فلن يتوكلنا الله لأعدائنا ، ولن يتخلى الله تعالى عنا ، ولن يخلف وعده ؛ تبرك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

( هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ) (7) .

(1) الصافات : 171 . 173 .

(2) الروم : 47 .

(3) غافر : 51 .

(4) المائدة : 56 .

(5) النساء : 45 .

(6) محمد : 7 .

(7) الأخاب : 22 .

## الصفحة 262

لِيُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ :

وإن طالت هذه المحنة ؛ فلكي يمتحن الله قلوب عباده ، ويعرف الثابتين منهم عن المهزومين ، وهو العالم بخفايا القلوب ، ولكي يُثبِتَ الله للمؤمنين قدم صدق على أرض المعركة ، ولكي يتخفف المؤمنون في هذا الصواع من حبِّ الدنيا والتعلق بها ، ولكي يزدادوا يقينا بالله تعالى في هذا الصواع .

فإنَّ الإنسان لا يَبْزُقُ اليقين في ساعات الرخاء والراحة والعافية ، مثل ما يناله في الابتلاء .

ولكي يتموَسَّ المؤمنون على مواجهة التحدّيات الكبيرة ، وتجاوز الصعاب في سبيل الله ، ويزدادوا بأساً وقوّةً وإيماناً ، ولكي يقوى قبولهم الولاء والواعة ؛ فإنَّ الولاء يقوى من خلال التضحية والعطاء ، والواعة تقوى من خلال المواجهة والقتال .

وليس هذا الصواع وما يستتبعه من آلام وعناء يخصّ هذه الثرة ، أو يخصّ هذا الدين ، وإنما هو سنة الله تعالى في حياة الصالحين من عباده ، الذين يرتضيهم الله تعالى لرحمته ، والذين يُسكنهم الله تعالى جنّته مع عباده الصادقين .

( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَخَنُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ )  
وَإِيجَةٌ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ( 1 ) .

( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمَ الْبَاسِئِ وَالضُّرَاءِ ) (2).

إن نفوسنا الضعيفة لتهوى أن تقتطف النصر من أقرب وأيسر الأسباب ، وأن

(1) التوبة : 16 .

(2) البقرة : 214 .

### الصفحة 263

لا يُكَلِّفُهَا دِينَهَا شَيْئًا ، وَأَنْ نَمْدُ أَيْدِيَنَا فَنَنَالَ النَّصْرَ وَالْإِمَامَةَ وَالْخِلَافَةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

ولكن الله الحكيم يعلم أن النصر إذا جاء ببسر ، وعلى غير طريق ذات الشوكة ، لا يؤهل الإنسان للإمامة وخلافة الله على وجه الأرض ، فيريد الله تعالى لنا أن نتمرس ونقوى ، ونحقق حاكمية دين الله في الحياة ، على طريق ذات الشوكة .

(وَتَوَدُونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ \* لِيَحِقَّ

الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ) (1) .

واستمعوا إلى هذه الآيات البينات من سورة آل عمران ، تشوح الصواع والعناء والمحنة ، والنصر والفتح ،

في تسلسل رائع جميل : (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* إِنْ يُمْسِكْ قَوْحٌ فَقَدْ مَسَّ

النَّوْمُ قَوْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

\* وَلِيُحْصِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ \* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ

وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ) (2) .

وفي هذه الآيات المباركة من سورة آل عمران إجابات شافية ، على كل الأسئلة التي تخطر على بال

المؤمنين ، في هذا الصواع الوهيب بين الإسلام والكفر .

## تداول النصر والهزيمة في ساحة المعركة :

لقد كان المسلمون يظنون . بعد أن نصرهم الله تعالى ببدر . أن النصر حليف

(1) الأنفال : 8 . 7 .

(2) آل عمران : 139 . 142 .

### الصفحة 264

الفئة المؤمنة دائماً ، لا يُفلقهم ولا يعوهم ، وأنهم إذا آمنوا بالله ورسوله ، وجاهدوا في سبيل الله ، فلن يتخلف عنهم النصر في حالٍ من الأحوال .

فلما أذاهم الله مرَّ الانتكاسة في أحد ، وانتكس المسلمون في هذه المعركة عندما خالف الروم أمر رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وتخلّفوا عن مواقعهم بحثاً عن الغنائم ، اهتوت نفوس المسلمين ، واهتوت الثقة في نفوسهم بالنصر ، وعانوا يشكّون في أن تكون لهم عاقبة الأمر ، وغلب الضعف على النفوس ، وتمكّن الحزن في نفوسهم على الذين استشهدوا في هذه المعركة ، من سواة المسلمين ، ومن الصفوة المؤمنة الذين صدقوا الله وأخلصوا له في العمل والجهاد .

فيعيد الله تعالى إلى نفوسهم الثقة بالنصر ولألاً ، ويظمّنهم بأن العاقبة للمؤمنين ، مهما كانت القروح والآلام والانتكاسات والعناء خلال طريق ذات الشوكة .

ويؤيل الضعف والوهن والحزن عن نفوسهم ، ويثبّت أفئدتهم وقلوبهم بالنصر والعلو : **(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** .

ثم يذكرهم الله تعالى أن ما مسهم من القوح في الحرب لم يخصهم فقط ، وإنما مس أعداءهم أيضا ، وهذا القوح وما يصيب المقاتلين ، من أذى وتعب وخسائر ، من مُتطلّبات المعركة ، لا يمكن أن يخصّ طوفاً بون الآخر ، ولا يمكن أن تجري معركة من دون قروح : **( إِنْ يَمَسُّكُمْ قَوْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَوْحٌ مِثْلُهُ )** .

وقد جرت سنة الله تعالى أن يدأول الأيام بين الناس ، فيجعل يوماً للمؤمنين على الكافرين ، وآخر للكافرين على المؤمنين ، وينصر هؤلاء في يوم ، ويذيقهم مرّ الانتكاسة في يوم آخر ، وهكذا يدأول بينهم النصر ، على أن العاقبة للمؤمنين فقط .

## الصفحة 265

وهذه المدولة لا تُغيّر مشيئة الله تعالى ، وتبقى العاقبة للمتقين .

وإنما يدأول الأيام بين الناس ، ويذيق المؤمنين الشدة والرخاء ، ونشوة النصر حيناً ومرارة الانتكاسة حيناً آخر ؛ ليميّز الذين آمنوا وصدقوا في إيمانهم وثبتوا على الإيمان ، عن المنافقين وضعاف النفوس وأصحاب النفوس المهزومة .

### تمحيص وتهذيب المسورة في المجتمع :

إنّ مسورة الدعوة لو كانت محفوفة بالنصر دائماً ، ومفروشة باليسر والرخاء ، وراكت عليها العناصر المنافقة التي تُحسّن التسلّق على الجوان العالية ، أولئك الذين يغيّبون حين البأس ، ويحضرون حين توزيع الغنائم ، وتطول ألسنتهم في المطالبة بالغنائم : ( فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدْوَرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ) .

إنّ مسورة الدعوة إن كانت تخلو من المكروه ومرارة الانتكاسات ، تجمعت حولها طائفة واسعة من المنافقين وضعفاء النفوس ، واحتوا منها المواقع الحساسة . وإذا ما تولّت هذه الطائفة أمور الدعوة والمسورة ، تعطلّ نورها القيادي في حياة الناس ، وفقدت الدعوة قوّتها على التغيير والقيادة ، وتحولت الدعوة من طريق ذات الشوكة في مواجهة الطاغوت ، إلى مسورة مُتوّفة ، عامرة باللذات ومتع الحياة ، وفقدت كل إمكاناتها على العمل والتغيير والحركة ، كما حصل ذلك في عصر بني أمية وبني العباس .

فلا بدّ في هذه المسورة . بين حين وآخر . من انتفاضة قويّة ، يطرد فيها المنافقين وضعفاء النفوس عن موكب هذه الدعوة ، وتستخلص المؤمنين الأقوياء ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وأخلصوا الله في عملهم .

فليست مسورة هذه الدعوة كسائر ما يألفه الناس ، من مسورات الأنظمة

## الصفحة 266

والحكومات التي تطلب الحياة الوديعه المتوفه ، والبعيده عن المتاعب والمنغصّات ، فإن هذه الحياة الوديعه والمتوفه تجعل جو الدعوة مرتعا للمنافقين وضعفاء النفوس .

فإذا تعرّضت هذه المسيرة للألام والمحن والمصائب ومتاعب الطريق والدم والانتكاسات المره ، صفا جو الدعوة للمؤمنين ، وخلّصت هذه المسيرة للصفوة الصادقة من المؤمنين والمجاهدين ، ويتميز المؤمنون عندها عن غيرهم : ( وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ) .

متى يتخذ الله الشهداء في هذه الأمة قيمين على المسيرة ؟ :

وليس هذا فقط فائدة تداول الأيام ، وتناوب النصر والهزيمة والشدة والرخاء ، على المؤمنين ، وإنما يفيدهم عندما يريد الله تعالى أن يتخذ منهم شهداء وقوات وقيمين على حياة البشرية .

فمن خلال الابتلاءات والمحن التي تتناوب عليهم ، يؤهلهم الله تعالى لموقع الشهادة والقيومة على الناس ، ويتخذ منهم شهداء وقيمين .

ومن خلال هذه المعاناة ، ومن خلال مرارة الانتكاسات ووقح الحروب وآلام المواجهة ، يتكون في هذه الأمة شهداء على الناس ، وأئمة وقوات في المجتمع ، وأمثلة في الصبر والثبات والمقاومة .

إنّ النماذج الإيمانية الفريدة في تزيخ البشرية ، لا تتكون في الحياة الهادئة الوديعه المتوفه ، وإنما تتكون في زحام متاعب الحياة ، وفي وسط متاعب العمل ، وبين الدماء والدوع .

ولابدّ للمسيرة من هذه النماذج الفريدة في الإيمان والثبات ، وهذه النماذج يتخذها الله تعالى ويختلها في ظروف المحنة والتداول : ( وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ) .

## الصفحة 267

التحصين والتهديب داخل النفوس :

ولهذا التداول فائدة ثالثة في تكوين هذه الأمة وتقويم شخصيتها ، وذلك هو تمحيص المؤمنين وتركيتهم ، وتطهير قلوبهم من ريب الشكِّ ومن سلطان الهوى ، وتخليص نفوسهم من نقاط الضعف ؛ فإن الشدة والمعاناة كما تُنقى صفوف المؤمنين من المنافقين ، كذلك تنقى قلوب المؤمنين من نقاط الضعف والنفاق ، والوهن والشك ، وتُحصِّص المؤمنين .

أما بالنسبة إلى الكافرين ، فإن المعاناة والمحنة تمحقهم وتهلكهم وتبيدهم ، فلا يستطيع أولئك أن يقاوموا المعاناة والمحنة .

**(وَلِيُحْصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) .**

**درجات المؤمنين في الجنة على قدر معاناتهم في الدنيا :**

فليس من الصحيح أن نتصور أن كل من شهد الشهادتين وأسلم ، أو آمن بالله ورسوله ، يدخل الجنة بدرجة واحدة .

فإن في الناس منافقين لا تتجاوز الشهادتان أسنتهم ، ولا تستقر في قلوبهم .

والمؤمنون درجات ومراتب في إيمانهم ، فليس كلهم بمسوى واحد من الإيمان والعمل الصالح .

فهناك المؤمنون الذين يؤثرون العافية على الجهاد والقتال في سبيل الله ، وهناك المؤمنون المجاهدون الصابرون ، ومن الخطأ أن نتصور أن هؤلاء جميعاً في الجنة في درجة واحدة ، فلكل درجة ومرتبته ومكانته عند الله .

وهذه المرتبة والمكانة تتحدد في ظروف المحنة فقط ، حيث يتميز المؤمن من المنافق ، ويتميز الصابرون عن غيرهم من المجاهدين .

## الصفحة 268

**( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ) .**



## دولة المُوطئيين :

وهذه الثورة المبكرة بداية انعطاف كبير في تزيخ وحضرة الإنسان ، وأمر ذو وَبَال وذو خطر كبير في حياة الإنسان ومستقبله .

والَّذي يستقوى الروايات الواردة عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ، وعن أهل بيته ، لا يشك أن هذه الثورة ، بخصائصها البارزة وقيادتها ، سوف تُمهّد للانقلاب الكبير في تزيخ الإنسان ، وهو ظهور الإمام المهدي من آل محمّد ( عَجَلَ اللهُ تَعَالَى فُوجَهُ ) .

وَأَنَّ اليوم الموعود الَّذي وعدنا اللهُ به ورسوله ، بقيام دولة الإسلام الكورى ، وتمكين المستضعفين من الأرض ، وقيام الإمام المهدي بثورته الكورى في الأرض ، لقريب إن شاء اللهُ .

وَأَنَّ هذه الثورة توطئ الأرض لتلك الثورة الكورى ، وتمهّد الأمة لظهور وقيام القائم من آل محمد ( عليه السلام ) .

وفيما يلي نقل إضمامة من هذه الروايات :

عن عبد الله بن مسعود قال : ( أتينا رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ، فخرج إلينا مُستبشرا ، يُعرف السرور في وجهه ، فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به ، ولا سكتنا إلا ابتدأنا ، حتى مرّت فتية من بني هاشم ، فيهم الحسن والحسين ، فلما رأهم الترمهم وانهملت عيناه ، فقلنا : يا رسول الله ، ما نوال نوى في وجهك شيئا تكوهه ؟

فقال : إنا أهل بيت اختار اللهُ لنا الآخرة على الدنيا ، وأنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريدا وتشريدا في البلاد ، حتى ترتفع آيات سود من المشرق ، فيسألون الحق فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، فيقاتلون ، فيقاتلون

## الصفحة 269

فِينصرون . فمن أركهم منكم ومن أعقابكم ، فليأت إمام أهل بيتي ولو حيا على الثلج ، فإنهار آيات هدى ،

يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي ، يواظيء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، فيملك الأرض فيملؤها قسماً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ( 1 ) .

وروي المجلسي في بحار الأنوار عن الإمام الباقر ( عليه السلام ) ، قال : ( كأنني بقومٍ قد خرجوا بالمشرق ، يطلبون الحق فلا يعطونه ، ثم يطلبونه ، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه ، حتى يقوموا ، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم ) أي : المهدي ( عليه السلام ) ، قتلهم شهداء .  
أما أنني لو أدرت ذلك ، لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر ( 2 ) .

وروي في البحار عن بعض أصحابنا ، قال : ( كنت عند أبي عبد الله ( عليه السلام ) جالساً ، إذ قرأ هذه الآية : ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَقُولًا ) ، فقلنا : جعلنا فداك ، من هؤلاء ؟

فقال ثلاث موات : هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ( 3 ) .

وروي في البحار عن أبي الحسن الرضا ( عليه السلام ) ، قال : ( رجلٌ من أهل قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح والعواصف ، ولا يملون من الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين ) ( 4 ) .

وروي في البحار عن علي بن ميمون الصائغ ، عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) ، قال :

( 1 ) أخرجه الحاكم في المستدرک : ج 4 / ص 464 و ص 553 . والمُتَّقِي في كتّول العمال : ج 7 / ص 187 . وابن ماجة في سنّته : ج 2 / ص 518 و ص 269 . وابن حَجَر في الصواعق المُحرّقة : ص 100 . هذا الحديث .

( 2 ) بحار الأنوار : ج 51 / ص 83 ، ج 52 / ص 243 .

( 3 ) بحار الأنوار : ج 60 / ص 216 .

### الصفحة 270

( وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على أهل الخلاق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ) .

وروي بأسانيد أخرى أيضاً عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) ، أنه ذكر الكوفة وقال : ( ستخلو كوفة من المؤمنين ، ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية ، ثم يظهر العلم ببدة يقال لها قم ، وتصير معدنا للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين ، حتى المخزوات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا .

فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ، ولم يبق في الأرض حجة ؛ فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب ، فتم حجة الله على الخلق ، حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم . ثم يظهر القائم ويصير سببا لنقمة الله وسخطه على العباد ؛ لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكلهم حجة ( 1 ) .

وقال صاحب تفسير الكشاف في تفسير قوله تعالى : ( وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ )

( 2 ) .

قال : ( وسئل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عن القوم ، وكان سلمان إلى جنبه ، فضرب على فخذيه وقال : هذا وقومه ) ( 3 ) .

هذه إضمامة من الروايات التي تشير إلى استمرارية هذه الثروة المباركة ، حتى ظهور الإمام المهدي من آل محمد ( عليه السلام ) ، وأن هذه الثروة المباركة سوف تمهد لظهور وقيام الإمام المهدي ، عجل الله فوجه إن شاء الله .

(2) محمّد : 38 .

(3) تفسير الكشّاف : ج 4 / ص 331 .

## الصفحة 271

المتخلّفون عن ثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )

\* الصراع في مرحلتي التنزيل والتأويل

\* خبر الضحّاك بن عبد الله المشرقي

\* تأملات في خبر الضحّاك

1 . الاعتذار . وجها الحياة الدنيا .

كيف تتحوّل العوائق إلى المتطلّقات ؟

2 . الاستجابة المشروطة

3 . التخلّل من الاتّوام

\* الجسر الذي مدّه الضحّاك

إلى الدنيا من عمقِ ( الطفّ )

## الصفحة 272

## الصفحة 273

**المتخلفون عن ثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )**

( الضحّاك بن عبد الله المشرقي )

( وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) (1) .

**الصواع في مرحلتَي التزويل والتأويل :**

موت هذه الدعوة . خلال مسيرتها . بمرحلتين من الصواع : مرحلة التزويل ، ومرحلة التأويل .

**الأولى :** في حياة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

**والثانية :** تبدأ بخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) .

في المرحلة الأولى كان الصواع يدور حول محور ( التزويل ) ، وكانت الجاهلية المتمثلة يوم ذاك في

مشوكي قريش وحلفائها ، واليهود وحلفؤهم ، يتصدون لنفي ( التزويل ) وإنكار علاقة هذا الدين بالله تعالى ،

ونزول الوآن من لدن الله تعالى .

(1) التوبة : 118 .

## الصفحة 274

واستمر هذا الصواع قائماً في حياة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) كلها ، وانجلي هذا الصواع عن

هزيمة قريش واليهود أمام الدعوة ، وانتصر لها .

ويبدو لأول وهلة أن الجاهلية انسحبت عن مواقعها الهجومية أمام حركة الدعوة ، واستسلمت وانقادت ، إلا

أنا عندما نؤمن النظر في تزيخ الإسلام ، نجد أن الجاهلية بدأت تخطط . بعد وفاة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) . للالتفات على هذه الدعوة ، وتحريفها والدس فيها ، وتشويه مفاهيمها .

وأحس ورثة الثورة بهذه المؤامرة الجديدة ، وعرفوا قادة المؤامرة ، وبدأت المرحلة الثانية من الصراع حول محور ( التأويل ) ، وأبرز المعرك في هذه المرحلة من الصراع : ( صفيين ) و ( الطف ) .

والذي يُنعم النظر في التزيخ الإسلامي ، يجد أن ( صفيين ) و ( الطف ) امتداد لـ ( بدر ) و ( أحد ) ، وأن الذين حاربوا علياً والحسن والحسين ( عليهم السلام ) ، في صفيين والطف ، هم الذين قاتلوا رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) من قبل ، في بدر وأحد .

ورحم الله عمّار بن ياسر ، فقد كان يقول في صفيين ، لبعض من أنكر عليه محاربة معاوية وعمرو بن العاص : ( هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي؟! فإنها راية عمرو بن العاص ، قاتلتها مع رسول الله ثلاث مرات ، وهذه الرابعة ، ما هي بخويهن ولا أوهن ، بل هي شهن وأقجهن ) .

وقال لمن تودد يومئذ في قتال معاوية مع الإمام علي ( عليه السلام ) :

( أشهدت بواً وأحداً وحنيناً ، أو شهدها لك أب فيخبرك عنها ؟

قال : لا .

قال : فإنّ مواكنا على مواكرايات رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وإنّ هؤلاء على مواكرايات المشركين من الأوثاب .

هل توى هذا المعسكر ومن فيه!؟

فوالله لو ددت أن جميع من أقبل مع

## الصفحة 275

معاوية ، ممن يرى قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه ، كانوا خلقاً واحداً فقطعته ونذبحته ، والله لدمؤهم جميعاً أحلّ

من دم عصفور ، أفترى دم عصفور حواماً؟! ... ) ( 1 ) .

### شريحة المتخلفين عن الصواع :

وفي كل صواع ثلاثة أطراف : الطرفان المتصلعان ، والطرف المتفرج المتخلف ، والطرف الثالث أكثر تعقيداً من الطرفين الآخرين المتقاتلين في ساحة الصواع والقتال .

وفهم هذا الطرف ( المروج ) على الساحة أشق من فهم الطرفين الآخرين .

وقد أعطى القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بتحليل هذا الطرف بالذات ، والآية المباركة التي صرنا بها الحديث . من سورة التوبة المباركة . واحدة من الآيات القرآنية ، في استعراض وتحليل هذه الشريحة المتخلفة من المجتمع الإسلامي يوم ذاك .

ونحن في هذه الولاية نحاول أن نستعرض نموذجاً من المتخلفين عن ثورة الحسين ( عليه السلام ) .

ندرس ونحلل مواقفهم .

ولا يكاد يختلف المتخلفون عن معوكة ( الطف ) عن المتخلفين عن معوكة ( حنين ) في عهد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، إلا أن حنين تنور حول محور ( التزويل ) والطف تنور حول محور ( التأويل ) .

والصواع هو الصواع ، ليس على أرض ولا على مال ، وإنما هو صواع حضري حول الإسلام والجاهلية .

وتعود الجاهلية هذه الولاية . بعد أن انكسرت

( 1 ) وقعة صيفين لنصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : ص 321 . 322 .

شوكتها في بدر ، وأحد ، والأخواب ، وحئين . من داخل صفوف المسلمين ، لتعود الصواع مع الإسلام ،

بتحريف الإسلام عن مسره الصحيح ، وتشويه مفاهيمه وأفكاره وأصوله ، والدسّ فيه .

والصواع هذه الموه كأيّ صواع حضري ، يحمل نفس الضلوة والعنف ، ولا يقبل الهدنة ولا الصلح .

ولما كان الصواع في الطفّ نفس الصواع في حثين ، فإن المتخلفين هنا هم من شريحة المتخلفين هناك ،

والمواقف نفس المواقف ، والقوانين والسُنن في هؤلاء وأولئك نفسها .

ولنتأمل في نموذج من هؤلاء المتخلفين عن الحسين ( عليه السلام ) .

### خبر الضحاك بن عبد الله المثنوي :

وهذا نموذج من المتخلفين عن الحسين ( عليه السلام ) ، وقصته معروفة في كتب السيرة :

رافق الإمام الحسين ( عليه السلام ) إلى ساحة المعركة ، ودخل المعركة معه ، وقاتل قتال الأبطال وأبلى

بلاءً حسناً في القتال .

استحسنه الإمام ، ولكنه اشترط على الإمام ( عليه السلام ) . منذ أن التحق به . أن يجعله في حلّ منه ، إذا

دلت دائرة الحرب عليه ولم يعد ينفعه قتاله ودفاعه عنه .

فلمأ رأى أنّ المعركة قد دلت على الحسين ( عليه السلام ) ، ووجد أنّ الحسين وأهل بيته وأصحابه (

عليهم السلام ) لا محالة مقتولين ، ولم يعد ينفع الحسين قتاله ودفاعه ، استأذن الحسين ( عليه السلام ) أن يتوك

ساحة القتال وينجو بنفسه ، فأذن له الحسين كما وعدّه من قبل ، فهرب الضحاك بن عبد الله المثنوي بنفسه من

ساحة المعركة ، وتوك الإمام ومن معه من أهل بيته وأصحابه للقتل في ساحة المعركة ، ونجا بنفسه .

فلنقرأ أولاً خبر الضحاك بن عبد الله المثنوي برواية الطوي من أبي مخنف ،

### الصفحة 277

ثمّ نحاول أن نحلّ هذا الخبر .

روى أبو مخنف عن الضحاك بن عبد الله المثنوي ، قال : ( قدمْتُ ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين



، ثمّ جلسنا إليه ، فدّ علينا فرحبّ بنا ، وسألنا عما جئنا له .

فقلنا : جئنا لئسلمّ عليك ، وندعو الله لك بالعافية ، ونحدث بك عهدا ، ونخبرك خبر الناس .

وإنّا نحدثك أنهم قد أجمعوا على حربك ، فررأيك .

فقال الحسين ( عليه السلام ) : ( حَسْبِي اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ) .

قال : فتذمّمنا ، وسلمنا عليه ، ودعونا الله له .

قال : ( فما يمنعكما من نصرتي ؟ )

فقال مالك بن النضر : عليّ دينٌ وليّ عيال ، فقلت له : إن عليّ ديناً وإن ليّ لعِيالاً ، ولكنك إن جعلتني في حلٍّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً ، قاتلتُ عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً .

قال : ( فأنت في حلٍّ ) ( 1 ) .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشوقي ، قال : ( لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أُصيبوا وقد خلصَ إليه وإلى أهل بيته ، ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي ، وبشير بن عمرو الحضرمي ، قلت له : يا بن رسول الله ، قد علمت ما كان بيني وبينك : ( قلت لك : أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً ، فإذا لم أرَ مقاتلاً فأنا في حلٍّ من الانصراف ، فقلت لي : نعم ) ؟!

فقال : ( صدقت ، وكيف لك بالنجاة ؟ إن قدرت على ذلك فأنت في حلٍّ ) .

قال : فأقبلت إلى فرسي ، وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تُعقر ، أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً ، فقتلتُ

( 1 ) تزيخ الطوي ، طبعة ليدين : ج 7 ص 321 .

يومئذ بين يدي الحسين رجلين وقطعت يد آخر .

وقال لي الحسين يومئذ مرأاً : ( لا تشلل ، لا يقطع الله يدك ، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك ) ، ( صلى الله عليه وآله ) .

فلما أذن لي ، استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويت على متنها ثم ضوّبتها ، حتى إذا قامت على السنايك رميت بها عرض القوم ، فأفرجوا لي ، وأتبعني منهم خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهيت إلى ( شفية ) . قرية قريبة من شاطئ الفوات . فلما لحقوني عطفوا عليهم ، فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي ، وأيوب بن مشوح الخيواني ، وقيس ابن عبد الله الصائدي ، فقالوا : هذا الضحّاك بن عبد الله المشريقي ، هذا ابن عمنا ، ننشدكم الله لما كفّتم عنه .

فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم : بلى ، والله لنجيبن إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم .

قال : فلما تابع التميميون أصحابي ، كف الآخرون . قال : فنجاني الله ( 1 ) .

وقال السموي في ( إِبصار العين ) : ( بقي الضحّاك بن عبد الله المشريقي مع الحسين ( عليه السلام ) ، حتى إذا أمر ابن سعد بالرمّة فرموا أصحاب الحسين ، وعقروا خيولهم ، أخفى فرسه في فسطاط ، ثم نظر فإذا لم يبق مع الحسين إلاّ سويد بن عمر ، وبشر بن عمرو الحضرمي ، فاستأذن الحسين ، فقال له : ( كيف لك النجاة ) ؟ قال : إن فرسي قد أخفيتهُ فلم يصب ، فلركبه وأنجو ، فقال له : ( شأنك ) ، فركب ونجا بعد لأي ( 2 ) .

تأمّلات في خبر الضحّاك :

أقبل الضحّاك بن عبد الله المشريقي ، ومالك بن النضر الأرحبي على

ونَفَسَ المهوم للشيخ عباس القميّ : ص 298 . 300 .

(2) إِبْصَارِ الْعَيْنِ : ص 101 .

### الصفحة 279

الحسين ( عليه السلام ) ؛ لِيُسَلِّمًا عليه وليجُددَ به العهد . كما في رواية أبي مخنف . ، ويظهر أن هذا اللقاء تم في موقع كربلاء ( الطف ) ، بعدما استقرّ الحسين ( عليه السلام ) بأهله وأصحابه فيه ، ولم يكن في الطويق .

وقبل أن يُحاصرَ الحسين ( عليه السلام ) ؛ فقد استأذن مالك بن النضر الأرحبي الحسين ( عليه السلام ) في الانصراف ، وانصرف من دون أن يواجه مشكلة من قِبَل الجيش الأموي .

ويظهر من الرواية أنهما كانا عرْفَيْن بموقع الحسين ( عليه السلام ) ، وحقه ودمته وحرمة في الإسلام ، وموقعه من رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) .

ففي رواية أبي مخنف : ( فتدَمَّنا ، وسلمنا عليه ، ودعونا الله له ) .

والتدَمَّمُ بمعنى : حفظ الذمام ، وحفظ العهد والحق والحرمة ، كما في المدونات اللغوية .

إذن ، فهما قد عظما وأكروا ما على دَمَتها من حقّ الحسين وحرْمته وعهده ، فلما رَأَدا الانصراف ، استوقفهما الحسين ( عليه السلام ) وقال لهما : ( فما يمنعكما من نُصرتي ؟ ) .

ويُلفتُ نظرنا أن الإمام يسألهما عما يَمنعهما من نُصرتِهِ ، قبل أن يسألهما النصرة ويدعوها إليهما .

وكأنّ في خروج الحسين ( عليه السلام ) على يزيد . بتلك العصاة القليلة . إلى العواق ما يُعني عن الدعوة والاستتصار ، فلا حاجة مع ذلك إلى أن يستتصر أحداً أو يدعوهُ .

ففي خروج الحسين ( عليه السلام ) إلى العواق دعوة واستتصار لكلّ المسلمين ، وللحسين ( عليه السلام ) حقّ وحرْمة على ذمة كلّ المسلمين .

إذن ، يسأل الضحّاك وصاحبه : ( فما يمنعكما من نُصرتي ؟ ) .

أمّا مالك بن النضر الأرحبي ، فقد رآح نفسه ورأحنا بوضوحه وصراحته

## الصفحة 280

في الاعتذار عن الاستجابة للحُسين والتخلّف عنه ، فقال : ( عليّ دينٌ وليّ عيال ) ، فأعرضَ عنه الحسين ( عليه السلام ) ، وانصرف هو لشأنه ، فقد أقبلت السعادة والتوفيق عليه فأعرضَ عنها .

وأما الضحّاك بن عبد الله المثنوي ، فأجاب الحسين ( عليه السلام ) بجوابٍ معقّدٍ ، شديد الالتواء والتعقيد ، فلا هو رفض دعوة الحسين وأعرضَ عنها ، كما رفضها صاحبه وأعرضَ عنه ، ولا هو استجاب للحسين ( عليه السلام ) وقبلَ عنه ، كما استجاب له أهل بيته وأصحابه .

ولنتأمّل في جواب الضحّاك ، فإنه يمثّل شريحة واسعة من النفوس والمواقف راء ( الدعوة ) .

وإننا ندرس من خلال الضحّاك بن عبد الله في موقع الطفّ ، ومن خلال المتخلّفين في موقع حنين ، شريحة كبيرة في التزيخ الإسلامي ، وشريحة كبيرة في تزيخنا المعاصر ، ونحاول أن نرسم أبعاد هذه الشريحة في حياتنا المعاصرة ، ونشخص نقاط الضعف في شخصيتها ، عسى أن نقوم من سلوكها ما يمكن تقويمه .

وسوف نجعل جواب الضحّاك للحسين ( عليه السلام ) في موضع التأمل والنراسة ، ضمن مجموعة من

النقاط :

### النقطة الأولى ( الاعتذار ) :

قدّم الضحّاك أولّ ما قدّم الاعتذار للإمام ( عليه السلام ) ، بما عليه من ديون ومال ، شأنه في ذلك شأن صاحبه ، فقال : إنّ عليّ نينا ، وإن ليّ لعيالاً ) .

وأولّ ما يلفت نظرنا في هذا الجواب : أن الضحّاك ومالك بن النضر لم يختلفا في الجواب ، فكلّ منهما

اعتذر عن تلبية دعوة الحسين ( عليه السلام ) بالعيال والدين ، غير



## الصفحة 281

أن الضحّاك استجاب لدعوة الحسين ، استجابةً محدودةً ومقيّدةً ومشروطةً ، بعد أن اعتذر أولاً ، وأما صاحبه الأرحبي ، فلم يستجب مطلقاً لدعوته .

وفي هذا الاعتذار والاستجابة المشروطة ، من التعقيد ما ليس في موقف صاحبه ، وقد كان أحرى به أن يستجيب استجابةً محدودةً ثم يعتذر . فلماذا قدّم الاعتذار على الاستجابة ؟

إنّ في الأمر لسواً كأمناً في أعماق نفس الضحّاك ، فعندما طلب الحسين ( عليه السلام ) منه النصوة ، تراحت في نفسه حالة الشحّ وحالة الإنفاق ، فغلبت حالة الشحّ حالة الإنفاق ، وسبقتها إلى البروز ، ولكن لم تُصادر الحالة الأخرى تماماً ، كما كان في موقف مالك بن النضر الأرحبي .

ولنتأمل إذن في اعتذار الضحّاك بعياله وديونه .

إنّ الابتلاء بالدين والعيال من سنن الله في حياة الإنسان ، وقلماً يشذ عنه إنسان ، شأنهما في ذلك شأن غورهما من سنن الله تعالى في حياة الإنسان .

فلابدّ للإنسان من عيال ، ولا بدّ أن يدخل مع الناس في بيع وشراء ، فيكون دائناً ومديناً ، يطلب الناس ويطلبونه .

### وجها الحياة الدنيا :

والدين والعيال هما وجهان مختلفان للدنيا ، فالعيال تعبير عن تعلق الإنسان بالدنيا ، وهو أحد وجهي الدنيا ، وهو ما يُسمّيه القرآن الكريم بـ ( الشهوات ) ، وتجمع هذه الآية الكريمة طائفة من هذه التعلقات :

( زَيْنَ النَّاسِ حُبِ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْوَمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ

## الصفحة 282

## حُسْنُ الْمَأْتِ ( 1 ) .

والدِّين هو الوجه الآخر للدنيا ، وهو وجه التبعات والمسؤوليات .

والدنيا هي عبءة عن تعلقات وتبعات ، ومن أجل لذة التعلقات يتحمل الإنسان مرارة التبعات ، ولا بد لكل إنسان من هذه التعلقات ومن هذه التبعات ، ولا يشذ عن هذه السئنة الإلهية في الحياة إلا القليل .

وهذه ( التعلقات ) و ( التبعات ) بمجموعها ، هي العوائق في طريق الإنسان وحركته إلى الله تعالى ، تعيق الإنسان عن الله سبحانه ، وقد أعاقنا . في هذه القضية . مالك بن النضر الأرحبي ، إعاقه كاملة ، وأعاقنا الضحاك بن عبد الله المثنوي إعاقه ناقصة .

فكيف نتعامل نحن في الدنيا مع هذه العوائق ؟ وما هو موقف الإسلام منها ؟

إنّ الحلّ الذي يعطيه الإسلام للتعامل مع هذه العوائق ( التعلقات والتبعات ) دقيق في غاية الدقة ، وأكثر الذين شطّوا في فهم الحلّ الإسلامي لمسألة الدنيا بوجهيها ، كانوا ضحية عدم الدقة في تناول هذا الحلّ بأبعاده الكاملة .

فليس في الإسلام أن يتخلّى الإنسان عن عيال أو دين ، أو حتى أن يتخفّف عنهما ، والتخليّ أو التخفّف من العيال والمال من الرهبانية التي يرفضها الإسلام .

وقد كان رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) يعيش مع الناس ، ويتروّج ويتعامل مع الدنيا ، كما يتعامل غيره ، وكان له عيال وعليه ديون وتبعات كما كان لغيره ، وكان له بيت يضمّ عياله ، وكان يدخل السوق في حاجاته وشؤونه كما كان الآخرون يعملون .

وقوام الحلّ الإسلامي هو : أن يتحرّر الإنسان من أسر العيال والمال ، وليس أن يتخلّى أو يتخفّف منهما ، وبين الأمرين بونٌ بعيد ، فليس من الإسلام أن يتخلّى

## الصفحة 283

الإنسان أو يتخفف من عياله وماله ، ولكن من صلب الإسلام وتعليماته وتوجيهاته أن يتحرر الإنسان من سلطان عياله وماله .

فلا يرفض الإسلام البيت أو السوق في حياة الإنسان ، ولا يأمره أن يعتزل هذا أو ذلك ، ولكن يرفض أن يتحوّل البيت أو السوق إلى سجن في حياة الإنسان ، يقيّدان حركته ويمنعانه عن الانطلاق ، ويحزانه ويعيقانه عن الله تعالى .

وبشكل أوضح وتعبير أدقّ ، إنّ الإسلام يرفض أن يتحوّل العيال والمال في حياة الإنسان إلى عائق ، تعيق حركة الإنسان ، كما أعاققت حركة مالك بن النضر الأرحبي ، والضحاك بن عبد الله المثنوي .

### كيف تتحوّل العائق إلى منطلقات ؟ :

ومن عَجَبٍ أنّ الطريقة الإسلامية الصحيحة للتعامل مع وجهي الحياة الدنيا ، تحول هذين الوجهين من الدنيا ( التبعات والتعلقات ) من عائق إلى منطلقات ، فتكون الدنيا للإنسان منطلقاً إلى الله سبحانه وليست عائقاً ، ويكون ماله وعياله مادّة لحركته إلى الله تعالى ، ومطلقاً لعروجه إليه عزّ وجلّ .

وإلى هذه الحقيقة يُشير الإمام عليّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في كلمته ، وقد سمع رجلاً يذمّ الدنيا ، فقال له فيما قال :

( إنّ الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ودار موعظة لمن اتعظ بها ، مسجد أحبّاء الله ، ومصلى ملائكة الله ، ومهبط وحي الله ، ومتجر أولياء الله ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمّها ، وقد آذنت ببيئها (1) ، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، فمئّلت

( 1 ) بيئها : بعدّها وزوالها عنهم .

## الصفحة 284

لهم ببلائها البلاء ، وشوقتهم بسرورها إلى السرور ، راحت بعافية ، وابتكرت (1) بـفجعةٍ ترغيباً وتوهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً ، فذمها رجال غداة الندامة ، وحمدوا آخرون يوم القيامة ، ذكروهم الدنيا فتذكروا ، وحدتتهم فصدّقوا ، ووعظتهم فاتعظوا (2) .

ويقول ( عليه السلام ) في كلمة أخرى : ( الدنيا دار ممرٍ ، لا دار مقرٍ ، والناس فيها رجلان ، رجل باع نفسه فلؤبّقها ، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها ) (3) .

مقارنة بين زهير بن القين (رحمه الله) والضحاك :

ولقد كان زهير بن القين (رحمه الله) يملك من المال والعيال ما كان يملكه الضحاك ابن عبد الله ، وكان يعيش في دنياه كما كان يعيش الضحاك في دنياه ، بل قد يكون حظ زهير من الدنيا أعظم من حظ الضحاك .

فقد كان زهير بن القين (رحمه الله) زعيماً في قومه ، وجيهاً في بلده ، ولم يحفل المؤرخون بأمر الضحاك وصاحبه في شأن من شؤون الدنيا ، وكان الضحاك أقرب إلى الحسين ( عليه السلام ) ، وأكثر ميلاً إليه من زهير ، فقد كان زهير (رحمه الله) عثمانياً الهوى ، كما يذكر أصحاب السير ، وكان يحرص ألا يلتقي الحسين ( عليه السلام ) بمتولٍ في طريقه إلى العواق ، فإذا وجد الحسين قد تول مولاً فيه ماء ، تول غوه .

وأما الضحاك وصاحبه مالك بن النضير ، فقد قصدا الحسين في كربلاء ، وجلسا إليه ودعوا له ، ولم يكن يحدث شيء من ذلك لو لم يكن الضحاك ومالك بن النضر من شيعة الحسين ( عليه السلام ) ، وممن تميل إليه قلوبهم .

(1) ابتكرت : أصبحت تتبكر ، أي تصيح .

(2) نهج البلاغة : باب الحكم / الحكمة رقم : 126 .

(3) نهج البلاغة : باب الحكم / الحكمة رقم : 128 .



## الصفحة 285

ومع ذلك كله ، فإنّ ( العيال و المال ) قد أعاقهما عن الالتحاق به بشكلٍ كامل ، أو بشكلٍ ناقص .

وأما زهير بن القين (رحمه الله) ، فقد رجع من عند الحسين ( عليه السلام ) ، ولم يستغرق اجتماعه بالإمام في أغلب الظنّ بضْع دقائق ، وقد أعد نفسه للوفود على الله مع الحسين ، والانصاف الكامل عن الدنيا ، فأقبل إلى زوجته ( دلهم ) بنت عمرو (رحمها الله) وقال لها بقوة وعزم ، وفي نفس الوقت بسهولة وراحة : ( الحقي بأهلك ، فاتّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلا خوا ) ، ثم قال لمن معه : ( من أحبّ منكمّ نصره ابن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وإلا فهو آخر العهد ) (1) ، ولم يعقه عن ذلك مال ولا عيال .

وقد كانت زوجته ( دلهم ) (رحمها الله) هي التي دفعته وشجّته على الاستجابة لدعوة الحسين ( عليه السلام ) ، فقد أصابه وأصاب رفاقه دُعر غريب عندما جاء رسول الحسين ، وهو على الطعام يدعو إلى زيارة الإمام ، فصمت وصمتوا ، وكان على رؤوسهم الطير .

فاخترقت المرأة المؤمنة الشجاعة ( دلهم بنت عمرو ) (رحمها الله) هذا الصمت والذعر بقوة ، وقالت لزوجها . ورسول الحسين يسمعها ويشهد الموقف . : ( سبحان الله ، أبعث إليك ابن بنت رسول الله ثمّ لا تأتيه ، لو أتيته فسمعت كلامه !؟ ) (2) .

ومع ذلك ، فلم يتوان زهير . عندما قرّر الوفود على الله تعالى مع الحسين . أن يقول لزوجته دلهم . هذه المرأة الشجاعة . : ( الحقي بأهلك ) .

إذن ، ليست المسألة مسألة المال والعيال ، وإنما المسألة في أمر آخر ، في طريقة

(1) مقتل الحسين ( عليه السلام ) ، للسيد عبد الزاق المقومّ : ص 188 .

(2) حياة الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، للشيخ القوشي : ج 3 / ص 67 .

## الصفحة 286

التعامل مع المال والعيال .

والفوق بين الضحّاك وزهير ( رحمه الله ) لم يكن في أنّ الأول كان يملك من المال والعيال ما لا يملكه الثاني ، وإنّما كان في طويقة تعاملهما مع المال والعيال .

فقد كان الضحّاك وصاحبه الأرحبي أسيرين للمال والعيال ، فأعاقهما عن الانطلاق مع الحسين ، وكان زهير بن القين متحرّراً من أسر المال والعيال ، فلم يعيقاه عن الحركة مع الحسين ( عليه السلام ) للوفود على الله .

### النقطة الثانية : ( الاستجابة المشروطة ) :

والنقطة الثانية في جواب الضحّاك أنّه لم يرفض القتال إلى جانب الحسين ( عليه السلام ) ، ولم يعتذر بصورة مُطلّقة ، كما اعتذر صاحبه مالك بن النضر ، بل قاتل مع الحسين ، وضوب الأعداء بين يديه ، ودعا له الحسين ( عليه السلام ) .

وهذه نقطة أُخرى مثبّقة في موقف الضحّاك من الحسين ، فهو ليس من الذين وصفهم الغزدي الشاعر بقوله : ( قلوبهم معك وسيوفهم عليك ) ، وإنّما كان قلبه وسيفه مع الإمام الحسين ، وهو صادق في هذا وذاك ، إلّا أنّه لم يعط سيفه للحسين ( عليه السلام ) ، ولم يضع سيفه تحت أمر الحسين إلّا بمقدار ، وحدد ذلك شوطين : ( إذا لم أجد مُقاتلاً ، قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً ) ، وهذا شوط غريب !

إنّ الضحّاك يحصر نصوته للحسين ( عليه السلام ) بين شوطين :

1 . أن يكون الحسين ( عليه السلام ) بحاجة إليه ، ولا يُغني عنه غوه .

2 . وأن يكون قتاله دون الحسين ( عليه السلام ) نافعاً له ، فإن لم يكن هذا أو لم يكن ذلك ، فإنّ الضحّاك في حلّ من أمره .

ونحن لا يُعجبنا أنّ شكك في صدق نية الضحّاك في موقفه من الإمام ، رغم

فوره من الرُحف في اللحظات الأخوة ، وتركه الإمام ( عليه السلام ) في أحوج اللحظات ، وإيثره للعافية ، فإنّ لدينا . مع كلّ ذلك . من الشواهد ما يكفي لإثبات حسن نية الضحّاك ، وصدقّه في الوقوف إلى جنب الإمام والدفاع عنه ، إلاّ أنّنا نجد عنده إحساسا محدودا بالمسؤولية تجاه الموقف ، وتقديرًا شديدًا في العطاء في إطار هذه المسؤولية ، ومحاولة جادة في إخضاع الإنفاق في سبيل الله لمعادلات دقيقة شديدة التعقيد .

فهو يُعطي من نفسه لله تعالى ، ولكنّه عطاء مشروط ومحدود وبحساب ، وضمن تقديرات دقيقة ، وليس كما يقول الله تعالى :

( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ) (1) .

والدقة في المحاسبة ، والمحاسبة الدقيقة أمرٌ جيدٌ ، لا نشك في حسنه وفائدته ، ولكن عندما يكون طرف المحاسبة هو نفس الإنسان ، وقد ورد في الحديث : ( حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ) ، وأمّا عندما يكون طرف الحساب هو الله تعالى ، فإنّ المحاسبة بهذه الدقة ، وضمن هذه الشروط والقيود أمر قبيح مع الله سبحانه .

والضحّاك هنا يتعامل مع الله تعالى ، وإن كان طرف التعامل في ظاهر الأمر هو الحسين ( عليه السلام ) .

ولا يطلب الحسين ( عليه السلام ) أمثال الضحّاك في حركته هذه ، وإنّما يطلب لنصوته أولئك الذين يبذلون كلّ ما عندهم من الأنفس والأموال لله تعالى ، من دون حساب وشروط وحدود وقيود .

فقد خطب ( عليه السلام ) في الناس لما أراد الخروج من مكة إلى الواق وقال :

(1) التوبة : 111 .

## الصفحة 288

( ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته ، موطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فإنني راحل مصبها إن شاء

الله ) (1) .

ولا شك أنّ هذا العطاء الشحيح خير من النضوب على كلّ حال ، ولكن أصحاب هذه العطاء المحدود لا يستطيعون أن يُسايروا الحسين ( عليه السلام ) في مثل هذه المرحلة .

وأعتقد أنّ عبوة ( لم يوافق ) في هذا الموضوع تسوي عبوة ( لم يستطع ) ؛ فإنّ الضحاك ( لم يوافق ) أن يُقاتل من نون الحسين بلا حدود وقيود ، وبنفس الملاك ( لم يستطع ) أن يساير الحسين إلى الشوط الأخير من رحلته .

### العلاقة بين العمل والجِزاء :

إنّ العمل والجِزاء نوعان من العطاء .

العمل : ما يقدّمه الإنسان لله تعالى : ( الله غني عن العالمين ) (2) ، والجِزاء : عطاء الله للإنسان في مقابل عمله .

العمل من الإنسان ، والجِزاء من الله سبحانه ، وبين الجِزاء والعمل صلة وعلاقة يستعرضها القرآن الكريم بدقة وتفصيل ، ولسنا الآن بصددّها ، وإنّما نحن بصدد اختلاف الجِزاء من عند الله باختلاف العمل من جانب الإنسان ، من حيث الحساب واللاحساب ، وهي مسألة جدوة بالاهتمام وموضع الشاهد في حديثنا هذا ، فإنّ عطاء الإنسان محدود على كلّ حال ، إلّا أنّه قد يعطى لله تعالى بحساب ومقدار ، وقد يعطى من نون حساب وتقدير .

( 1 ) مقتل الحسين ( عليه السلام ) ، للسيد المقوم ، منشورات مؤسسة البعثة . طهران : ص 166 .

واللهوف على قتلى الطفوف ، للسيد ابن طووس : ص 33 . وابن نما : ص 20 .

( 2 ) آل عمران : 97 .

## وهاتان طائفتان من الناس :

1 . طائفة تعطي لله بحساب وتقدير ، كالضحاك بن عبد الله المشوقي ، يعطي لله شيئاً ويحتفظ لنفسه بشيء ، وإذا تولدت على شيء رادة الله تعالى وهواه ، قدم هواه على رادة الله سبحانه .

2 . وطائفة أخرى تعطي لله ما آتاها الله تعالى ، من غير حساب ولا تقدير ، وهؤلاء هم الذين تقول عنهم الآية الكريمة :

( إِنَّ اللَّهَ اشْتَوَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَن لَهُمُ الْجَنَّةَ ) (1) .

هؤلاء اشتوى منهم الله أنفسهم ، وباعوها لله تعالى ، وقطعوا علاقتهم بأنفسهم ، فهي لله عز وجل ، اشتواها منهم ، ولا شأن له بها بعد ، يصنع بها ما يشاء ، والثمن مقبوض ( بأن لهم الجنة ) .

فقد تمّ البيع وتمّ الشراء ، وتم استلام الثمن ، فلا يملك المؤمن من نفسه وماله إذن شيئاً ، ليملك التقدير والحساب في عطائه وبذله ، فهي كلها لله تعالى ، يأخذ منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء ، والله تعالى يجزي هؤلاء وأولئك على نحوين من الخزاء : خزاء محسوب ومحدود ، وخزاء من غير حساب ، وها نحن نشرح تفصيل هذا الأمر :

إنّ الأجر الذي يعطيه الله لعباده في مقابل أعمالهم كريم وعظيم ، وكبير وحسن وغير ممنون ، وهذه خمسة أوصاف للأجر الذي يرزق الله عباده على حسناتهم .

(1) التوبة : 111 .

## الصفحة 290

- 1 . فهو أجر كريم : ( مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له وله أجر كريم ) (1) .
- 2 . وهو أجر عظيم : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ) ، ( وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ )

(2) .

3 . وهو أجر كبير : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ) (3) ، ( فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ) (4) .

4 . وهو أجر حسن : ( فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ) (5) .

5 . وهو أجر غير ممنون : ( وَإِنْ لَكَ لِأَجْرٍ غَيْرِ مُمْنُونَ ) (6) ، ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرِ مُمْنُونَ ) (7) .

وهذه الأوصاف الخمسة عامة شاملة لكل أجر يزرقه الله عباده ، ممن يعطي الله بلا حساب أو بحساب ، إلا

أن الذين يعطون الله تعالى من دون حساب وتقدير ، يحاسبهم الله في السيئات حسابا يسيرا : ( فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى

كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ \* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حُسَابًا يَسِيرًا ) (8) .

(1) الحديد : 11 .

(2) آل عمران : 97 .

(3) فاطر : 7 .

(4) الحديد : 7 .

(5) الفتح : 16 .

(6) القلم : 3 .

(7) التين : 6 .

(8) الانشقاق : 7 و 8 .

## الصفحة 291

هذا في حساب السيئات ، أما في الحسنات ، فإنَّ الله تعالى نوعين من الأجر : أجر محدود وبحساب ، وأجر غير محدود ومن دون حساب .

والأول منهما للذين يعطون الله تعالى بحساب وتقدير ، والثاني منهما للذين يعطون الله تعالى من أموالهم وأنفسهم بلا حساب وتقدير .

وليس معنى الحساب والتقدير من جانب الله المسلواة بين العمل والخاء ، في الحجم والكم ، وإنما معناه : وجود التناسب بين العمل والأجر .

وأما عندما يكون عطاء العبد لله من دون حساب ، فإنَّ جزاء الله تعالى له يكون من غير حساب وتقدير . يقول سبحانه :

( إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حُسَابٍ ) (1) .

وتستوقفنا هذه الآية المباركة من سورة النور طويلاً في شأن الجزاء ، عندما يكون العمل من جانب الإنسان من غير حساب : ( رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حُسَابٍ ) (2) .

وهذه ثلاث خصائص للجزاء الإلهي :

الخاصية الأولى : ( لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ) .

فالجزاء من عند الله ليس بأسوأ ما يعمل العبد ، ولا بمتوسط ما يعمل العبد ، وإنما بأحسن ما يعمل .

ولابد من توضيح لهذه الفقرة من الآية الكريمة ؛ فإنَّ للناس في الجزاء طويقين معروفين :

## الصفحة 292

1 . الخِزَاءُ بِأَسْوَأَ مَا يَعْمَلُ الطُّوفُ الْآخِرُ . فَقَدْ يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ إِلَى صَاحِبِهِ عَوًّا طَوِيلًا ، ثُمَّ يَسِيءُ إِلَيْهِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَيَجْعَلُ صَاحِبَهُ هَذِهِ الْإِسَاءَةَ مِزَانًا لِعِلَاقَتِهِ بِهِ ، وَيُنْسِي كُلَّ مَا سَبَقَ لَهُ مِنْ فَضْلِ وَإِحْسَانٍ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْخِزَاءُ بِالْأَسْوَأِ .

2 . وَقَدْ يَكُونُ الْخِزَاءُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ بِأَوْسَطِ مَا يَفْعَلُونَ . كَمَا يُقَدَّرُ الْمُدْرُسُونَ تَرَجَاتٍ طُلَابِهِمْ بِأَوْسَطِ إِبْجَابَاتِهِمْ فِي الْإِمْتِحَانَاتِ ، وَهُوَ الْحِسَابُ بِالْمُعَدَّلَاتِ .

وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَخْزِي عِبَادَهُ بِأَسْوَأَ مَا يَعْمَلُونَ ، وَلَا يَجْزِيهِمْ بِأَوْسَطِ مَا يَعْمَلُونَ ، وَإِنَّمَا يَجْزِيهِمْ بِأَحْسَنِ مَا عَمَلُوا ، وَلَهُ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَالْخَاصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ لِلْخِزَاءِ . فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمَبْرُكَةِ . هِيَ : ( وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ) .

وَلَا عِلَاقَةَ لِهَذَا بِأَعْمَالِهِمْ إِطْلَاقًا ، فَهُوَ تَعَالَى يُزِيدُهُمْ فِي الْخِزَاءِ مِنْ فَضْلِهِ بِمَا يَشَاءُ وَكَيْفَمَا يَشَاءُ .

وَالْخَاصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ : ( وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) .

وَهَذَا أَعْظَمُ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَقَابِلِ حَسَنَاتِهِمْ رِزْقٌ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَلَا تَقْدِيرٍ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَوْ كَانَ يُعْطَى لِرَبِّهِ مِمَّا آتَاهُ مِنْ غَيْرِ حُدُودٍ وَلَا حِسَابٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْلَى بِأَنْ يُعْطِيَ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ حُدُودٍ وَلَا حِسَابٍ .

النقطة الثالثة ( التحلل من الاتوام ) :

بَعْدَ أَنْ يَعْتَذِرَ الضَّحَّاكُ إِلَى الْحُسَيْنِ ( عَلَيْهِ السَّلَامُ ) بِدِيُونِهِ وَعِيَالِهِ ، يُطَلَبُ مِنَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حَلٍّ مِنَ الْإِنصَافِ إِذَا شَاءَ ، فَيَقُولُ : ( وَلَكِنَّكَ إِنْ جَعَلْتَنِي فِي حَلٍّ مِنَ الْإِنصَافِ ، إِذَا لَمْ أَجِدْ مَقَاتِلًا قَاتَلْتَ عَنْكَ ) .

وَالْحَلُّ فِي مَقَابِلِ الْإِتْوَامِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُوْتَبَطَ الْإِنْسَانُ بِالْإِتْوَامِينَ مُتَعَاكِسِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، فَإِذَا كَانَ



## الصفحة 293

تجاه ديونه وعياله ، فمن الطبيعي أنه لا يستطيع أن يكون مؤثوماً تجاه الإمام ، ولا بد من أن يتحرر من أحد الاتوامين ، وقد آثر أن يتحرر من التوامه تجاه الحسين ، دون التوامه تجاه ديونه وعياله ، والاتوام تجاه الحسين هو الاتوام تجاه الدعوة والجهاد .

### ( التوام ) و ( حل ) :

والضحاك يكشف لنا هنا عن موقف غريب ، في سلوكه وتعامله مع عياله وماله من طرف ، ومع الله تعالى من طرفٍ آخر .

ولابد من أن نكشف في هذه الوقفة هذا الموقف ؛ لتكتمل عندنا الصورة التي نريد أن نرسمها للضحاك ، من خلال جوابه للحسين ( عليه السلام ) .

فهو يطرح أولاً عثوه من خلال التوامه بالنسبة إلى عياله وديونه ، ثم يُطلب ثانياً منه أن يكون في حلٍ من أمره عندما يريد الانصراف ، إذا لم يجد قتاله من دونه نافعاً له .

ثم يعرض على الحسين ( عليه السلام ) استعدادة للقتال والدفاع عنه ، بصورة محدودة ومقيدة .

فهو حسب هذا التسلسل . الذي نجده في جوابه للإمام . يُقدم التوامه تجاه عياله وديونه أولاً ، ثم يُطلب من الحسين ( عليه السلام ) أن يكون في حلٍ من أمره ثانياً .

وواضح أنّ هذا الاتوام الذي يحرص عليه الضحاك تجاه الدنيا ، وهذا الحل الذي يطلبه الضحاك من الحسين تجاه الله ، أمرٌ غريب في شخصية الضحاك ، وقد كان أحرى به وأجدر أن يكون حريصاً بهذا الاتوام تجاه الله ، وبهذا الحل والتحلُّ والتحرر تجاه الدنيا .

إنّ تفكير الضحاك بن عبد الله في هذا الموقف تفكير محتاط ومتخفّظ بصورة غريبة ، فهو في الوقت الذي يستجيب لدعوة الإمام ، يُبقي الأبواب من خلفه

## الصفحة 294

مفتوحة ، ليمكن من العودة إلى الدنيا عندما يبلغ المُتَوَقِّق الذي لا يستطيع بعده أن يجمع بين الدنيا والآخرة ، ولا بدّ من أن يختار أحدهما ، إما ديونه وعياله ، وإما الآخرة ، فيبقي الأبواب من ورائه مفتوحة ، ليمكن من أن يرجع إلى الدنيا في اللحظة الحرجة من المسير .

ونحن إذا استثنينا أولئك الذين يتحرّجون على غير صراط الله ، ويصدّون الناس عن الحركة إلى الله تعالى ، نجد أنّ سائر الناس في تحركهم إلى الله على طائفتين :

**الطائفة الأولى :** تتحرّك إلى الله سبحانه في جدّ وعزم وصدق ، تهدم من ورائها جسور العودة إلى الدنيا ، لا يطردون الدنيا ولا يهجرونها ، ولكنهم إذا بلغوا المُتَوَقِّق الذي لا بدّ لهم من أن يختاروا عنده الدنيا أو الآخرة ، لا يؤثرون على الآخرة شيئاً .

وهؤلاء هم ( الصادقون ) في التحرك إلى الله ( **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَبُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ) (1) ، وموقعهم من الله عزّ وجلّ في الآخرة ( **فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ) (2) .

**وطائفة أخرى من الناس :** يتحرّكون إلى الله في حذرٍ واحتياط ، يحبون الله ورسوله ولكن ، ما لم يراحم دنياهم ، وما لم يسلبهم دنياهم ، فإذا بلغوا المُتَوَقِّق الذي لا بدّ فيه من الاختيار الصعب ، آثروا الدنيا على الآخرة ، واختاروا شقّ الدنيا وعادوا إليها ، ولكيلا ينقطع طريق العودة عليهم في اللحظات الأخيرة ، لا يهدمون من ورائهم الجسور التي تنقلهم إلى الدنيا .

(1) الأخاب : 23 .

(2) القمر : 55 .

## الصفحة 295

فهؤلاء يتحركون إلى الله سبحانه ، ولا نشك في نيتهم وصدقهم . في هذه الحدود . ، ولكن كلما قطعوا شوطاً من الطريق ، متوا من ورائهم بقوه جسراً ينقلهم إلى الدنيا .

وهكذا كان الضحّاك بن عبد الله ، اشترط على الحسين ( عليه السلام ) . قبل كل شيء . أن يكون في حلٍّ من الانصاف إلى دينه وعياله ، فدخل مع الحسين فيما دخل فيه من قتال جيش بني أمية ، وقاتل بين يدي الحسين ( عليه السلام ) ، وقتل منهم وروح عدداً ، ولكنه قد تحوّل لنفسه منذ أول ساعة ، فأخفى فوسه داخل فسطاط بين البيوت ، وقاتل راجلاً بين يدي الحسين ، لتسلم له فوسه وليركبها ويفر بها إلى خارج ساحة المعركة ، ويهرب عن جند ابن زياد ، في اللحظة الحرجة التي لا بدّ له فيها من أن يختار أحد الأمرين .

فلما جدّ الجدُّ ، ذكر الإمام الحسين بإذنه له في الانصاف متى شاء ، ومتى لم ينفعه دفاعه عنه وقتاله من دونه ، فصدقه الحسين ، فركب فوسه وهرب من الآخرة إلى الدنيا .

إنّ هذا الرجل دقيق في تقدير المسافة التي يستطيع أن يسأير الحسين ( عليه السلام ) فيها ، يضبط حساباته في هذه الحركة بشكلٍ دقيق ، ويتحوّل للعودة إلى الدنيا عندما يصل إلى المقرّق الذي يؤثرُ عنده الدنيا على الآخرة .

يُشخّص المقرّق بدقة ، ويحدّد المسافة التي يسأير فيها الحسين بدقة ، ويتحوّل للعودة من الله إلى الدنيا في اللحظة المناسبة ، ويُبقي من ورائه . وهو يتحرك مع الحسين ( عليه السلام ) إلى الله . بابيض مفتوحين ، يرجع من خلالهما إلى الدنيا عندما يريد :

أحدهما : مُوافقة الحسين ( عليه السلام ) أن يكون في حلٍّ من أمره عندما يريد الانصاف إلى الدنيا .

## الصفحة 296

وثانيهما : فوسه التي احتفظ بها في فسطاط داخل البيوت ، عندما حاصر جيش بني أمية الحسين ( عليه السلام ) ؛ ليستطيع أن يركبها في اللحظة المناسبة من الآخرة إلى الدنيا .

ميوّة أخرى نويد أن ندرن . في هذه النقطة من البحث . بين الضحّاك وزهير .

كلّ منهما أقبلَ على الله تعالى مع الحسين ( عليه السلام ) .

الضحّاك دخل معوكة الطفّ إلى جنب الإمام ، وقاتل وجاهد بين يديه ، وزهير ( رحمه الله ) أقبل مع الحسين ( عليه السلام ) وجاهد وقاتل .

ولكنّ الفرق بين هذا وذاك ، أنّ الضحّاك أقبل على الله وأبقى الأبواب مفتوحة من خلفه ، بكلّ دقّة واحتياط ، وأبقى الجسور قائمة من ورائه إلى الدنيا ؛ ليعود إليها في اللحظة التي يريد .

وأما زهير ، فعندما قرّر الوفود على الله تعالى مع الحسين ( عليه السلام ) ، قطع كلّ ما كان بينه وبين الدنيا من جسور ، وأغلق كلّ باب بينه وبين الدنيا ، وقال لزوجته ( دلهم ) في عزم ووهة ويسر : ( الحقّي بأهلك ) .

وإنّنا نتابع تفكير الضحّاك ، وما أخذه الضحّاك من احتياط لنفسه في مثل تلك الساعة وتلك المعركة ، فزى أنّ هذه الدقّة في التقدير والضبط في الحساب ، والتحفّظ والاحتياط الشديدين ، جدير بالاحترام لو كان في علاقة الإنسان بنفسه ومحاسبته لها .

أمّا عندما يكون التعامل مع الله تعالى ، فمثل هذا التقدير والدقّة والاحتياط للعودة إلى الدنيا ، هو من الشحّ في العطاء ، ومن التردّد في العمل وفقدان العزم .

الجسر الذي مدّه الضحّاك إلى الدنيا من عمق ( الطفّ ) :

ولنستمع إليه مرّة أخرى :

## الصفحة 297

( لَمَّا رَأَيْتُ أَصْحَابَ الْحُسَيْنِ قَدْ أُصِيبُوا ، وَقَدْ خَلَصَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ سُوَيْدِ بْنِ عَمْرٍو الْحَنْفِيِّ ، وَبَشِيرِ بْنِ عَمْرٍو الْحَضْرَمِيِّ ، قُلْتُ لَهُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، قُلْتَ لَكَ : أَقَاتِلْ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ مَقَاتِلًا ، فَإِذَا لَمْ أَرَ مَقَاتِلًا فَأَنَا فِي حِلِّ مِنَ الْإِنصَافِ ، فَقُلْتَ لِي : ( نَعَمْ ) ؟! فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَكَيْفَ لَكَ النِّجَاةُ ؟ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَأَنْتَ فِي حِلِّ ) .

فأقبلتُ إلى فرسي ، وقد كنت حيث رأيت خيل ( أصحابنا ) (1) تُعقر ، أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطا

لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً... فلما أذن لي ، استخرجت الفرس من الفسطاط ، ثم استويت على متنها ، ثم صوبتها حتى إذا قامت على السنايك ، رميت بها عرض القوم ، فأفجوا لي ... ( 2 )

إنّ أمر الضحّاك لغريب في نوعه ، فهو يمدّ جسور الدنيا إلى عمق معوكة الطف ، وإلى داخل خيام الحسين ( عليه السلام ) ، حيث لا يوجد فيها غير الآخرة !

فهذه الفرس التي أخفاها الضحّاك في فسطاط لأصحاب الحسين ( عليه السلام ) بين البيوت يوم عاشوراء ، هي الجسر الذي مده الضحّاك لينقله إلى الدنيا .

وقدرأينا وسمعنا كثيراً عن امتداد الدنيا إلى أعماق النفس ، في مختلف مراحل الطريق إلى الله سبحانه ، ولكننا لم نرَ فيمارأينا ، ولم نسمع فيما سمعنا ، أن الدنيا تنفذ وتمتد وتكمن في نفس الإنسان إلى هذا الحد ، فيدخل الإنسان معوكة

( 1 ) يقول الضحّاك : خيل ( أصحابنا ) ، وهو عزم على مفارقتهم والانفلات من مصروهم ! وأيّ صُحبة يا رُؤى بعد أن فرقتهم وهجرهم إلى دينه وعياله ، ولحق بصاحبه مالك بن النضر الأرحبي !؟

( 2 ) تزيخ الطوي ، الطبعة الأوربية : ج 7 / ص 354 . 355 .

ونفس المَهموم ، للشيخ عباس القمي : ص 298 . 300 .

### الصفحة 298

الطفّ مع الإمام ، ويسقط أهل بيت الحسين ( عليه السلام ) وأصحابه صوعى بين يديه ، ويقا تل بين يديه ( عليه السلام ) ، ويدعو له الحسين ، وهو يرى الإمام واقفاً وحده بين يدي الأعداء ، ثم لم يفترقه حب الدنيا ونفوذ الدنيا ، وسلطانها على نفسه ، في هذه الراحل جميعاً .

إنّ التصاق الدنيا بنفس الإنسان لغريب ، ومن الخطأ أن يغترّ الإنسان بنفسه ، فيتصور أنه قد تحرر من

سلطان الدنيا ونفوذها ، ولم يعد بحاجة إلى معاناة وتركية وجهاد للنفس .

إنّ في نفس الإنسان خبايا عميقة وأعماقاً مجهولة ، يكمن فيها حبّ الدنيا ، ويبقى هذا التعلق يطلّود الإنسان في حركته إلى الله تعالى ، من حيث يعلم الإنسان أو لا يعلم ، حتّى إذا بلغ الإنسان نقطة الاختيار الصعب ، برز حبّ الدنيا من أعماق النفس المجهولة إلى السطح البارز للنفس ، وغير وجهّة الإنسان وحركته ، من الله تعالى إلى الدنيا .

إنّ حبّ الدنيا يلاحق الإنسان إلى هذه النقطة ، التي لا يكاد أن يبلغها الإنسان إلا بعد أن يخرج من مصفاة الابتلاء عشوات الموات ، ومع ذلك كلّ ، يبقى هذا الحبّ كامناً في نفسه .

إننا لا نريد أن نتهم الضحّاك في صدقه وحبّه للحسين ( عليه السلام ) ، وليس من سبب يدعوننا أن نتهم هذا الرجل الذي وقف هذا الموقف يوم عاشوراء من الحسين ( عليه السلام ) في نيّته وصدقه ، فلم يطلب الضحّاك من الدفاع عن الحسين ( عليه السلام ) ومن القتال بين يديه دنيا .

وهذا حقّ يجب أن نقول به ونعترف له به ، لكنّه مع ذلك كلّ ، لم يتحرّر من حبّ الدنيا ، ومن التعلق بالدنيا ، ومن تبعات الدنيا ، حتّى عندما ساقه التوفيق والسعادة الإلهية إلى هذه المعركة الحاسمة بين الحقّ والباطل

## الصفحة 299

في التاريخ ، ووضع الله تعالى في أشرف موقع يتصوره الإنسان ، وهو موقع الدفاع عن الإسلام إلى جنب ابن بنت رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) .

والآن ، بعد هذا التحليل النفسي لموقف الضحّاك بن عبد الله المشوقي ، يجب أن نوجز موه أحوى العناصر التي تدخل في تكوين هذا الموقف الغريب ، وأهمّ هذه العناصر هي :

**1 . حبّ الدنيا والتعلّق بها** : وهورأس هذه العناصر جميعاً ، وهو أول شيء اعتذر به الضحّاك إلى الحسين ( عليه السلام ) عن مسايرته ونصوته ، فلم يتخفّف ولم يتحرّر الضحّاك من الدنيا ، وهو في وسط هذه المعركة المصويّة ، كما تخفّف وتحرّر عنها ( زهير ) من قبل .

2. **شحة العطاء** : وهي غير نضوب النفس ، ففي حالة النضوب والجفاف ينقطع كل خير عن نفس الإنسان ، أما في حالة ( الشح ) ، فيبقى للإنسان عطاء محدود وشحيح ، وقد رأينا كيف وضع الضحاك نصوته للحسين ( عليه السلام ) ضمن مجموعة من الشروط ، ولم يبذل نصوته بَدلاً كما صنع سائر أصحاب الحسين ( عليه السلام ) ، ولم يُوطِن نفسه لقاء الله ، كما طلب الإمام الحسين من المسلمين في مكة المكرمة .

3. **التحرر عن الاتومات التي تفرضها الدعوة والجهاد** : والتحلل عن القيود والعهود التي يفرضها الولاء لله تعالى ، ولرسوله وللأئمة المسلمين .

وهذه العناصر الثلاثة تودّي إلى ظواهر سلبية كثرة في شخصية الإنسان ، من قبيل :

الخوف ، والجبن ، والخضوع ، والانقياد للطاغوت ، وانحسار سلطان الضمير عن حياة الإنسان وسلوكه .

### الصفحة 300

ولسنا نريد أن نقول : إنّ هذه العناصر كانت موجودة مجتمعة في موقف الضحاك بن عبد الله ، ولكننا نريد أن نقول : إنّ أمثال هذه المواقف يمكن أن تنحلّ إلى هذه المجموعة من العناصر السلبية .

وفي ختام هذه التأمّلات ، نعتذر من الضحاك بن عبد الله المشوقي ، إذا كنا قد أسأنا إليه ، وتناولنا موقفه من الحسين ( عليه السلام ) بالتحليل والنقد بهذه الصورة ، ولا نريد أن نبخسه حقّه ، فقد نال ما حوّمنا منه نحن ، من شوف القتال بين يدي الحسين ( عليه السلام ) ، ومن دعاء الحسين ( عليه السلام ) له ... ، وإنّما كنا نريد أن نجعل من نقاط الضعف في موقفه وسيلة لتقويم نقاط الضعف في مواقفنا وسلوكنا .



## الصفحة 301

### قيمة الوراثة في حياة الإنسان

\* تأملات في زيارة ورث

\* 1 . القيمة التكوينية للوراثة

واسة في الشريحة الحضريّة

الإطار الاجتماعي للشعائر الإسلاميّة

\* 2 . القيمة الإيحائيّة والتربويّة للوراثة

كوامة الأسرة وموقعها الاجتماعي

## الصفحة 302

## الصفحة 303

### قيمة الوراثة في حياة الإنسان

تأملات في زيارة ورث

تمهيد :

للوراثة في حياة الإنسان نوعان من التأثير ، لهما قيمة وفاعليّة كبيرة ، وهاتان القيمتان هما :

1 . القيمة التكوينية للوراثة .

2 . القيمة الإيحائيّة والتربويّة للوراثة .



وسوف نستعرض هذين النوعين من التأثير ، وما لهما من دور فاعل ومؤثر في حياة الإنسان .

فنتحدث أولاً عن القيمة التكوينية للوراثة ، ونقصد بها التأثير الطبيعي والتكويني الذي تتركه الوراثة في حياة الإنسان ، في مقابل التأثير التربوي والإيحائي للوراثة ، ونتحدث ثانياً عن الإحياءات التربوية التي تتركها الوراثة في حياة الإنسان ، وما لهذه الإحياءات التربوية من أثر فعال في حياة الإنسان .

## 1 . القيمة التكوينية للوراثة :

في ضوء دراسة النظرية الإسلامية من الترخ ، والارتباط السببي بين مراحل الترخ المختلفة ، نقول : إن الحضرة الواحدة امتداد واحد على مراحل زمنية

### الصفحة 304

مختلفة ، وكل مرحلة من هذه المراحل ترتبط بالمرحلة السابقة ، تحكيها وتوثها .

ولا يمكن من الناحية العلمية تفكيك المراحل المختلفة للحضرة الواحدة ، واعتبار كل شطر منها وحدة قائمة بالذات .

إنّ اليوم الحاضر مرآة للأمس الماضي ، وجزء لا يتجزأ منه ، ولا نستطيع أن نفهم اليوم إن لم نربطه بالأمس ، ولا نستطيع أن نفهم الشطر المعاصر من أية حضرة ، إذا لم نبحث عن جذورها ومكوناتها في المراحل السابقة من الترخ .

### دراسة في الشريحة الحضريّة :

إنّ كلّ شريحة حضريّة تعتبر حصيلة جهود طويلة لأجيال من أبناء هذه الحضرة ، في مراحل مختلفة من الترخ ، ووراثة لمراث الأجيال السابقة ، في العادات والتقاليد والأعراف ، والثقافة والتصورات ، والحبّ والبغض ... ، وعندما نقطع نحن هذه الشريحة المعاصرة ، أو هذا الجيل المعاصر من الحضرة عن جذوره وأصوله ، لا نكاد نستطيع أن نفهمه حقّ الفهم .

ومن السذاجة أن نتصور أنّ هذه الشريحة أو تلك من الشرائح الحضريّة قد تكونت بصورة عفوية ، وبمعزل

عن التريخ الذي ترتبط به .

يقول الدكتور محمد زكي العشوي ، في بحث له في مجلة ( عالم الفكر ) :

( ونحن مع إيماننا المطلق بحركة التطور التي لا تعرف النكوص أو الرجوع إلى الخلف ، فإننا نؤمن في الوقت ذاته ، بأن كل ما يدخره الإنسان ويختره من ماضي الحياة البشرية ليس حياة ميتة ، بل لا يمكن أن تموت ؛ لأنها جزء لا يتجزأ من الحياة الكوي التي لا تقنى ، والتي لا تهوم ولا تتركها الشيخوخة ) ( 1 ) .

( 1 ) مجلة ( عالم الفكر ) / المجلد الرابع / العدد الأول / ص : 13 / الحاضر ضمير المستقبل ، للدكتور

العشموي .

### الصفحة 305

البعد الأفقي والبعد العمودي لكل حضرة :

إن من الخطأ أن نفهم المجتمع والحضرة الإنسانية في البعد السطحي فقط ، وأن يغيب عنا البعد العمودي الذي يُعتبر المصدر والأساس لأية حضرة .

فليست الحضرة . بالتأكيد . هي مجموعة التفاعلات الاجتماعية التي تحدث على مقطع زمني خاص ، وعلى السطح العرئي من الحضرة فقط ، وإنما هناك من وراء هذا السطح العرئي من الحضرة الأعماق غير العرئية للحضرة .

وفي ضوء هذا الارتباط السببي بين الماضي والحاضر ، في المقاطع الزمنية المتعددة ، والتفاعل بين عناصر الحضرة الواحدة في المقطع الزمني الواحد ، نستطيع أن نفهم الحضرة .

التبادل والتفاعل بين عناصر الحضرة الواحدة :

ففي المقطع الزمني الواحد ، نجد أنّ عناصر المجتمع الواحد تتفاعل مع بعض في تأثيرٍ وحركة متبادلة .

فالمدرسة تُؤثر في العائلة تأثيراً قوياً ، كما أن العائلة تؤثر في المدرسة ، ولا نستطيع أن نفهم عناصر الحضرة الواحدة إذا لم نفهم هذا التأثير المتبادل والمتقابل بين عناصر الحضرة الواحدة ، وفي مقطع زمني واحد .

### الأعماق الحضريّة :

وبمقياس أقوى وأبلغ ، يكون تأثير الماضي في الحاضر في سلسلة مترابطة من الحلقات ، من الأسباب والعلل .

فمبعث رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مثلاً ، في القرن السادس الميلادي ، له تأثير بليغ وفوق

### الصفحة 306

حدود التصوّر ، في كلّ مراحل حضرتنا ، خلال القرون الأربعة عشر التي مرت على هذه الأمة .

ولا يمكن عزل هذا الحادث الكوني الكبير عن كلّ مراحل تليخنا وحضرتنا ، وليس من الممكن أن تكون أية شريحة من شرائح هذه الحضرة معزولة عن هذا السبب ، أو نفهم أية شريحة من حضرتنا بمعزل عنه .

والكلام نفسه يصدق في معوكة بدر ( يوم الفرقان ) ، ويوم الأخواب ، وفتح مكة ، ووقعة الطف ، وهكذا

...

إنّ لكل واحد من هذه الأحداث وغيرها نورا تأسيسياً في بناء هذه الحضرة ، وليس في الإمكان أن تتكون

هذه الحضرة ، بكلّ خصائصها القائمة فعلاً ، بمعزل عن العوامل التليخية التي ساهمت في بناء وتكوين

تليخنا ومجتمعنا .

وكلاً يزداد هذا العمق ، كلما ترداد قيمته الحضريّة في بناء المجتمع . فالمجتمع الذي تمتد جُذوره آلاف

السنين ، يتمتع بقوة وصلابة أكثر من المجتمع والحضرة التي تكوّنت في عدة مئات من السنين فقط .

ذلك أنّ العمق التليخي البعيد يُعتبر تراكما كُبراً من الأسباب والعلل من وراء المقطع الحضري الذي

نُعاصره .

فقد يكون من السهل أن يتجاوز الإنسان الظروف السياسيّة التي تكوّنت في عصره ، من الحبّ والبغض ، والولاء والرواة ، والأخلاق والسلوك والتصوّرات ، ولكن من الصعب جداً .ولا أقول من المستحيل . أن يتجاوز الإنسان الحبّ والبغض الذي تكوّن خلال ألف سنة من الزمان .

فإنّ مرور هذه الحقبة التاريخيّة الطويلة على هذه الحضرة ، يكسبها الكثير من الصلابة والثبات ، مما يجعل من الصعب جداً أن يتجاوزها الإنسان ، وهذا هو ( الموراث الحضري ) الذي نتحدثُ نحن عنه في الواسة .

## الصفحة 307

### عواقب الموراث الحضري :

كلّما يطول الزمن ، فالظاهرة الحضريّة تزداد تأصلاً وعواقباً وعمقاً في وجود الأمة ، وتتمتع بقوة وأصالة وقوة أكثر على مواجهة التحدّيات ؛ ولذلك فإنّ التريخ تراكم من العمل والجهد والتبنيّ .

وكلّما يكون التريخ أطول ، يكون الجهد والعمل المبذول في تبنيّ أية ظاهرة اجتماعية أكثر ، ونتيجة لذلك ؛ تكون الظاهرة الاجتماعيّة أقوى وأثبت ، وأكثر أصالة وعمقاً ومثابرة ، وأقوى على مواجهة التحدّيات .

ف ( الصلاة ) مثلاً ، ظاهرة حضريّة عميقة الجنور في التريخ ، وموراث حضري عويق في الأجيال ، تنتقل من جيل إلى جيل ، وكلّما يمرّ علينا زمن أطول تزداد أصالة وثباتاً وعمقاً في حياة الإنسان .

فالواقعة التي نجدها نحن في حياتنا اليوميّة للصلاة ، ليست حصيلة جهد وعمل فودي ، وفي مقطع زمنيّ خاصّ ، وإنما هي حصيلة جهود وأعمال كبيرة وكثيرة عبر التريخ ، في تبنيّ الصلاة وإقامتها ، والدعوة إليها وتأكيداتها وتوسيعها ، وهذه الجهود جميعاً تتمثّل اليوم في ( الصلاة ) التي نقيمها نحن في بيوتنا ومساجدنا .

و ( الحجّ ) ظاهرة حضريّة وموراث حضري ، ورثناه نحن من أبي الأنبياء إراهيم ، خليل الرحمن ( عليه السلام ) .

ولهذه الظاهرة الحضريّة عواقب وعمق خاصّ ، وأصالة في حياتنا ، وجاذبيّة خاصّة في نفوسنا ، فإذا حان وقت الحجّ ، توجه مئات الآلاف من المسلمين ، من كلّ فجّ عميق ، رجالاً وعلّى كل ضامر إلى البيت العتيق ؛

لأداء فريضة الحجّ .

يقول تعالى لعبده وخليئه إراهيم ( عليه السلام ) :

### الصفحة 308

( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) (1) .

التَّبَنِّي الجمعي والعمق الحضري لفريضة الصلاة والحجّ :

وما دُمنا نتحدّث عن ( الصلاة ) و ( الحجّ ) كمثالين للظواهر والمورث الحضريّة ، فلا بأس أن نقف وقفة قصرة عند هاتين الظاهرتين الرّبانيّتين في حياة الإنسان ، فنقول :

إنّ القيمة والفاعليّة والجاذبيّة التي تملكها هاتان الفريضتان في حياتنا ، تعود إلى أمرين اثنين :

**الجُهد الجمعي الكبير** المبذول في إقامة هاتين الفريضتين ، في المقطع الزماني الواحد ، في اجتماعات كبيرة وحاشدة .

ولا شكّ أنّ هذا الجهد والاهتمام الجمعي بهاتين الفريضتين ، من قبل الملايين من المسلمين ، ينعكس في الصلاة والحجّ بشكل واضح ، ويكسب هاتين الفريضتين هذه الجاذبيّة والتعاطف والقيمة والفاعلية في نفوس جماهير المؤمنين .

وإلى جنب هذا البعد ، هناك بعد آخر للصلاة والحجّ ، وهو **البعد التاريخي** الذي تحدّثنا عنه .

فإنّ الإقامة الطويلة للصلاة والحجّ ، والمؤرسة التاريخية الطويلة لهاتين الفريضتين عبر القرون ، تمنح هاتين الفريضتين قيمة كبيرة ، وفاعليّة وجاذبيّة خاصّة ، وهذا هو الذي نقصده من كلمة ( المراث ) .

ولهذا السبب ؛ يؤكّد الإسلام تأكيداً كبيراً على الاهتمام بالإطار الاجتماعي : ( البعد الأول ) ، وبالإطار

التاريخي : ( البعد الثاني ) للفرائض .

### الصفحة 309

#### الإطار الاجتماعي للشعائر الإسلامية :

ففي الإطار الاجتماعي ، وهو الإطار الأول ، يتفاعل الفرد . تفاعلاً قوياً . مع الجو الاجتماعي الذي تقام فيه الفريضة ، فإن الصلاة جماعة وجمعة لها تأثير متقابل في نفوس المصلين ، والفرد الذي يقيم الصلاة في وسط حاشد من جماعة المسلمين ، يكتسب من حضور الآخرين اندفاعاً وقوة وإقبالاً على فريضة الصلاة ، وتفاعلاً معها ، في الوقت الذي يكسب الآخرون بحضوره نفس الاندفاع والقوة والتفاعل والإقبال .

وهذا التعاطي والتبادل المتقابل من قبل المصلين ، يكسب الصلاة في نفوس الجميع أصالة وثباتاً ، وقوة وجاذبية .

ولعل الاهتمام بالجمعة والجماعة في الإسلام من هذا المنطلق .

ورغم أنّ الإنفواد والخلوة في ذكر الله تفيد الإنسان في الإقبال على الذكر كثيراً ، رغم ذلك تفضل الشيعة إقامة الصلاة جماعة على الصلاة فُأدى ، وتؤكدّها ، حتى روي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أنه قال : ( لا صلاة لمن لا يصلي في المسجد مع المسلمين ، إلا من علة ) (1) .

وروي عن الصادق ( عليه السلام ) : ( أنّ أناساً كانوا على عهد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أبطؤوا عن الصلاة في المسجد ، فقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ليؤشك قوم يدعون للصلاة في المسجد أن نأمر بحطّ بيوتهم على أبوابهم ، فتوقد عليهم نار ، فتحرق عليهم بيوتهم ) (2) .

## (2) التهذيب ، للشيخ الطوسي : ج 3 / ص 25 .

### الصفحة 310

والجماعة . بحكم هذا التأثير المتبادل الذي يتركه كل واحد من الجماعة في الآخرين . ليست كمية عددية فقط ، تسوي مجموعة الأواد ، وإنما يتحول هذا الكم إلى كيف خاص ، تعبر عنه الروايات بـ ( يد الله ) ، فالجماعة ليست فقط مجموعة الأواد ، وإنما تسوي ( مجموعة الأواد + يد الله ) .

يُدُّ اللهُ على جماعة المسلمين :

وقد روي عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( **يُدُّ اللهُ على الجماعة ، والشيطانُ مع من خالفَ**

**الجماعة** ) (1) .

ويُدُّ اللهُ هنا هي القوة والبركة والرحمة ، فعندما يجتمع جمعٌ من المؤمنين تنزل عليهم رحمة الله وبركاته ، ويمنحهم الله القوة والرحمة .

وهذا هو ما ذكرناه من أن الممارسة الاجتماعية للفرائض الإسلامية تمنح الفرائض الإسلامية كثراً من الجاذبية والقوة ، والصلابة والأصالة ، وتشدُّ الناس إلى هذه الفرائض شداً نفسياً وعاطفياً قوياً . وهذا هو بعض السرِّ في قوة وجاذبية فريضة الحج ، التي تجتذب الناس من كل فجٍّ عميق إلى هذا الوادي غير ذي الزرع حول بيت الله الحرام .

وبنفس الملاك ، يصحّ أن نقول : إنَّ هذه التجمعات القائمة على ذكر الله تعالى وتقوى الله ، تمنح الإنسان تقوى وعصمة ، وتعصم عن الشطط والزيغ والضلال ، وتعتبر الحصن الذي يحصن المؤمن من عنوان الهوى والشيطان .

فقد روي عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( **يُدُّ اللهُ على الجماعة ، فإذا اشتدَّ الشاذُّ منهم ، اختطفه**

**الشيطانُ ، كما يختطف الذئبُ ألسنة الشاذة من الغنم** ) .

## (1) كنز العمال : الحديث 1031 .

### الصفحة 311

وهذا هو الإطار الأول ( الاجتماعي ) ، ( الأفقي ) للصلاة والحجّ .

الإطار التاريخي للشعائر الإسلامية :

والبُعد الآخر للشعائر والفرائض الإسلامية هو : البعد التاريخي ( العمودي ) .

ولهذا البُعد تأثير كبير في تعميق مشاعر العبودية والإقبال على ذكر الله تعالى في حياة الناس ؛ ولهذا الأمر يهتم القرآن كثيراً بالبُعد التاريخي للصلاة ، والإيمان ، والدين .

يقول تعالى : ( شَوْعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَىٰ بِهِ تَوْحَا وَإِلَٰذِي أُوْحِينَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ) (1) .

( قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ) (2) .

( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَاقِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأُوْحِينَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَوَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) (3) .

وانطلاقاً من هذا التصوّر للتاريخ والمراث ، نقول : إن حجّ إِبْرَاهِيمَ ( عليه السلام ) له تأثير في حجنا ، وصلاة موسى وعيسى ( عليهما السلام ) لها تأثير في صلاتنا ، ودعوة فوح ( عليه السلام ) لها تأثير مباشر وغير مباشر على دعوتنا إلى الله تعالى .

وأنّ جهاد الحسين ( عليه السلام ) في كربلاء ووقعة الطّف له تأثير مباشر على مسورتنا ودعوتنا



( 2 ) البقرة : 136 .

( 3 ) الأنبياء : 72 . 73 .

### الصفحة 312

ومواجهتنا اليوم لطواغيت عصونا ، وأنّ أجزء هذه المسورة الواحدة . من آدم وفوح ( عليهما السلام ) ، إلى اليوم الحاضر . أجزاء مُترابطة متماسكة ، السابق منه يدعم اللاحق ، واللاحق منه يرث السابق . وعلى هذه المسورة تنتقل القيم والتراث ، والولاء والواعة ، والحبُّ والبغض ، والتصورات والأخلاق ، من جيل إلى جيل .

#### وحدة المسورة ووحدة المعاناة ووحدة الثواب :

ومن أروع ما في هذا التصور الإسلامي للمواث ، أنّ الأجيال اللاحقة لا تورث فقط المورث الحضريّة من الأجيال السابقة ، وإنّما تُشركها أيضاً في ثواب معاناتها وعنائها الطويل ، في صواعها مع الكفر والنفاق ؛ لإقامة هذه الفرائض الإسلاميّة وتثبيتها .

فقد تحمّل سلفنا الصالح على هذا الطريق الكثير من العناء والمعاناة في الصواع مع الطاغوت ؛ لإقامة هذه الفرائض وتثبيتها ، وتعبيد الإنسان لله .

ونحن ( الورثون ) ، لا تنتقل إلينا فقط هذه القيم والمورث . ( العبوديّة ، والإيمان ، والصلاة ) . من سلفنا ، وإنّما ينتقل إلينا أيضاً ثواب معاناتهم وصوهم وعنائهم ، دون أن يكون لنا فعلٍ وتحملٌ في هذه المعاناة والعناء .

والجسر العجيب الذي ينتقل عليه هذا الثواب والأجر . من نون معاناة وعناء ، ويُشرك أناساً في ثواب أناس آخرين سبقوهم . هو الولاء والحبّ .

وعجيب أمر الولاء والحبّ ! فهو يوحد أطراف هذه المسورة المتباعدة ، ويجعلها قطعة واحدة ، ويشرك اللاحق في ثواب السابق ، ويجعل السابق مورداً ومُعينا لللاحق . وهذا هو البعد الثالث ( المستقبلي ) لمسورة

الدعوة إلى الله .

روى الحكم بن عيينة ، قال : لما قتلَ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) الخوارج يوم

### الصفحة 313

النهروان ، قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، [ طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف ، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج ] ، فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) (1) : **(والذي فلقَ الحبةَ وبرأ النسمة ، لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله أباءهم ولا أجدادهم بعدُ )** ، فقال الرجل : وكيف يشهدنا قوم لم يُخلَقوا ؟ قال : بلى ، قوم يكونون في آخر الزمان ، يشركوننا فيما نحن فيه ، ويسلمون لنا ، فأولئك شركائنا فيما كنا فيه حقاً (2) .

وروى محمد بن سلمة ، رفعه ، قال : قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : **( إنما يجمعُ الناسَ الرضا والسُخط ، فمن رضي أمراً فقد دخل فيه ، ومن سخطه فقد خرج منه ) (3) .**

وعن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) ، قال : **( لو أنّ أهل السموات والأرض لم يُحيوا أن يكونوا شهداء مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، لكانوا من أهل النار ) (4) .**

وروى أبو جعفر ، محمد بن أبي القاسم الطوي ، في كتابه ( بشرة المصطفى ) ، عن عطية العوفي ، قال : **( خرجتُ مع جابر بن عبد الله الأنصلي زائرٍ قبر الحسين ( عليه السلام ) ، فلما أوردتنا كربلاء ، دنا جابر من شاطئ الوات ، فاغتسل ثم انترَ بزارٍ ولردي بأخر ، ثم فُتح صوتُ فيَّها سعدٌ ، فنشرها على بدنه ، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى ، حتى دنا من القبر ، قال : ألمسنيهِ ، فألمستهُ ، فخر على القبر مغشياً عليه ، فوششتُ عليه شيئاً من الماء ، فلما أفاق قال :**

يا حسين ، ثلاثاً . ثم قال : حبيبٌ لا يجيبُ حبيبه ، ثم قالَ : وأنى لك بالجواب ، وقد شخبتَ أوداجك على أثباجك ، وفرقٍ بين بدنك ورأسك ، فأشهد أنك ابن خاتم النبيين ، وابن سيد

—

(1) ما بين المعوفتين زيادة من المصدر .

(2) المحاسن : ص 262 .

(3) نفس المصدر .

(4) نفس المصدر .

### الصفحة 314

المؤمنين ، وابن حليف التقوى ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيدّ النقباء ، وابن فاطمة سيّدة النساء .

وما لك لا تكون هكذا ، وقد غَدَّتْكَ كَفَّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَبِيتُ فِي حَجَرِ الْمُنْتَقِينَ ، وَرَضَعْتَ مِنْ ثَدْيِ الْإِيمَانِ ، وَقُطِمْتَ بِالْإِسْلَامِ .

فطبت حياً وطبت ميتاً ، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لؤاّك ، ولا شاكاة في الآخرة لك ، فعليك سلام الله ورضوانه .

وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا .

ثمّ جال ببصوه حول القبر وقال :

السلام عليكم . الشهداء من أصحاب الحسين وأهل بيته . أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين ، وأناخت رحله ، وأشهد أنّكم أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين .

والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً ، لقد شركناكم فيما دخلتم فيه .

قال عطية : فقلت له يا جابر : كيف ولم نهبط وادياً ، ولم نعل جُبلاً ، ولم نضرب بسيف ، والقوم قد فرق

بين رؤوسهم وأبدانهم ، وأوتمت ولادهم ، ورُمّت أرواجهم !؟

فقال : يا عطية ، سمعتُ حبيبي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقول : ( **مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشُرَ مَعَهُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلِ قَوْمٍ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ** ) .

والذي بعثَ محمدًا ( صلى الله عليه وآله ) بالحق ، إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه ( عليهم السلام ) ( 1 ) .

### المورث الحضري والمورث المدني :

إن ما يُقال عن الظواهر الحضريّة كـ ( الصلاة ) و ( الحج ) و ( التقوى ) و ( الإيمان ) و ( العفاف ) ، يُقال عن الظواهر الماديّة للحضرة كـ ( المسجد ) و

( 1 ) بشرة المصطفى لشيعه المرتضى : ص 74 . 75 ، ط النجف 1383 هـ .

### الصفحة 315

( المنبر ) و ( المدرسة ) ، وغير ذلك من الظواهر والأنوات الماديّة للحضرة ، أو ما يطلق عليها أحيانا بـ ( المدنيّة ) ، في مقابل ( الحضرة ) .

فإنّ لهذه الظواهر الماديّة . أيضا . أبعادا اجتماعية وتاريخية ، كما للظواهر الحضريّة ، وكلما تتسع أبعادها الاجتماعيّة ، وتعمق أبعادها التاريخيّة ، تزداد أصالة وعمقا ورسوخا في ضمير الأمة .

فـ ( المساجد ) مثلاً ، تمتلك عمقا قيميا تاريخيا في حياة هذه الأمة ، وهذا العمق التاريخي يمنح ( المسجد ) قيمة خاصّة في حياتنا الاجتماعيّة ، ومركزا حساسا ، يجعل من الصعب تجلّزه أو تحديه من قبل أعداء الإسلام .

وهذه القيمة والأصالة والرسوخ في ضمير الأمة ، هي التي حفظت المساجد في تزيخ العنوان على الأمة وراثتها من اعتداء المعتدين .

وهكذا ( الحجاب ) للمرأة المسلمة ، يمتلك بفضل هذا العمق التاريخي قيمة كبيرة واحتراماً في ضمير الأمة ، كما يُضفي احتراماً خاصاً على شخصية المرأة .

وسوف نرى أنّ العمق التاريخي لهذه الظواهر المادية تجعل منها قلاعاً ، تحمي وتحصن الكثير من القيم الحضريّة في الأمة ، وتحميها من الاعتداء .

فالحجاب يحمي العفاف عند المرأة المسلمة ...

والمسجد والمنبر يحميان الصلاة ...

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يحميان الفرائض والحدود الإلهية ...

والحركة والنهضة يحميان النظام الإسلامي وسيادته ...

وللمحافظة على هذه القيم الحضريّة ، ينبغي أن نحافظ على الأنوار المادية لهذه الظواهر ، وأحياناً نحرس على إبقائها على شكلها وهندستها الخاصة .

فنحافظ على العملة التقليدية للمساجد ، وعلى التصميم التقليدي للمنابر ، وعلى الصورة التقليدية المعروفة للمصاحف في طباعة المصاحف .

## الصفحة 316

وبهذا الترتيب ، نحرس على المحافظة حتى على الوسائل المادية للحضرة الإسلامية . قدر الإمكان . ، على صورتها التاريخية التي تتمتع باحترام وتقدير خاص في ضمير الأمة (1) .

وهذا بعض سرّ قوة المورث الحضريّة في حياتنا .

وفشل أعداء الإسلام في إزالة هذه المورث من الحياة ، فليس الجهد الذي يبذله أعداء الإسلام في القضاء على الفرائض الإسلاميّة كالصلاة والحجّ باليسير ، وليس الجهد الذي بذلوه للقضاء على الشعائر والشعرات والأعراف الإسلاميّة ، كالحجاب ، ومجالس غناء الحسين ، والتحية والسلام ، بالشيء الهين .

فقد استخدم أعداء الإسلام كل الوسائل الممكنة ، من إغواء ، وإلها ب ، وتغيب ، في اجتثاث هذه الأمة من جنورها ، وتمييع أصالتها ومسح شخصيتها الحقيقية ، واستيراد الأفكار والتصورات والظواهر الحضريّة الشوقيّة والغربيّة ، من هنا وهناك .

ولكنّ هذه الأعمال كانت توء غالباً بالفشل ، ولا يجتني منها أصحابها إلا القليل .

لقد بذل (رضا خان بهلوي) في إيران ، و (مصطفى كمال أتاتورك) في تركيا ، جهداً ليس بالقليل في مكافحة الموروث الإسلاميّ ، كالصلاة والحجّ ، وحتى أن رضا بهلوي منع الحجّ ، بحجة أوّ بأخوى ، لعدة سنوات ، وحلب الحجاب ، وأزم النساء المؤمنات بالسفور ، وحلب شعائر الغواء الحسيني الذي يُمرسه

المسلمون

( 1 ) ينبغي ألاّ نسيء فهم هذه الجملة ، ونفسوها بما لا يريد الكاتب ، فإنني أقصد بهذا الكلام المحافظة على الصور التي تخونها ذاكرة الأمة ، وتتمتع باحترام وتقدير خاص في ضمير الأمة ، والاستفادة من هذه الصورة في تحصين وحماية القيم الحضريّة الإسلاميّة .

### الصفحة 317

الشيعة في كلّ أقطار العالم الإسلامي .

لكنّ بهلوي أخفق في تحقيق أكثر طموحاته ، واستعادت الأمّة رشدها ووعيها ، ولتباطها الرساليّ التريخيّ بالإسلام ، وسوّعان ما طهّرت ساحة البلاد من مخلفات بهلوي ونظامه .

ومن أسباب ذلك عواقب هذه الظواهر الحضريّة في تريخ الأمة .

مواقع الثورة والمناعة في حياة الأمة :

إنّ هذه النقاط ( الموروث الحضريّة ) ، تعتبر نقاط القوة ومراكز المناعة في حياة الأمة ، وتشبه تماماً الجذور العميقة التي تحفظ الشجرة الباسقة من السقوط .

إنّ هذه الجنور هي التي تمدّ الشجرة بالغذاء والماء ، وتحفظ الشجرة من السقوط ، كذلك الموروث الحضريّة ، تُعتبر الجنور والامتدادات العميقة ، التي تحفظ الأمة وتمنحها المناعة وتحصنها ضد الغزو الأجنبي . (1)

(1) روى أحد العلماء عن بعض السياسيين ، أن الانجليز كانوا مندفعين بقوة للقضاء على الإسلام في إيران ، وكانوا يعملون لاستبدال الحضرة الإسلامية في إيران . في عهد بهلوي . بالحضرة الغوبية ، وربط البلد بعجلة الحضرة الغوبية بشكل كامل .

ولمّا توفيّ السيّد أبو الحسن الأصفهاني (رحمه الله) . أحد كبار مراجع التقليد في النجف الأشرف . ، أحدثت وفاته هزة عميقة في كلّ إيران ، ولبست إيران الحداد أربعين يوماً لوفاة هذا العالم الجليل ، وأقيمت له مجالس الغناء على مساحة واسعة جداً في إيران ، فبدأ الانجليز وأجوعون حساباتهم من جديد ، في إمكانية القضاء على الإسلام بشكل كامل ، في بلد يهتزّ من أقصاه بهذا الشكل القوي العنيف ، لوفاة عالم من علماء الإسلام .

فكيف يُمكن القضاء على الإسلام ، واجتثاث جنوره من قلوب وصور هذه الأمة؟! .

يقول هذا السياسي . وكان من المرتبطين بعجلة الاستكبار الغوبي . : إن حادث وفاة السيّد أبو الحسن الأصفهاني (رحمه الله) أثّر في تخفيف الضغط المنوّى للإسلام من قبل الانجليز على إيران ، لفترة من الوقت .

### الصفحة 318

وفي تزيخنا السياسي المعاصر ، كلّما تحرك أعداء الإسلام لغزو المنطقة الإسلامية ، فكراً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، اصطدموا بواحد من هذه المراكز . (مراكز القوة والمناعة في حياة الأمة) . وتواجهوا أمامه .

فقد احتلّ العدو القلاع والحصون والقواعد العسكرية الضخمة ، ولكنه عندما اصطدم بالمسجد اضطر للتراجع والانسحاب . وقد احتلّ العدو الإذاعة والتلفزيون والصحافة ، وأخضعها جميعاً لحركة التغريب ، ولكنه

عندما اصطدم بصخرة المنير والحزات والمدرس الدينية ، والمساجد والأذان والصلاة ، ومجالس الغواء الحسيني ، اضطرّ للتراجع والانسحاب .

والسرّ كلّ السرّ في هذه القوة ، هو الامتداد التاريخي العميق لهذه الموروث الحضريّة والمدنية قي ضمير الأمة ، مما يجعل من الصعب جداً مدهمة هذه العواكر من قبل الأعداء واحتلالها والقضاء عليها .

### المحافظة على الموروث الحضريّة :

ومن هذا المنظور ، يجب علينا نحن الدعاة إلى الله تعالى ، المحافظة على هذه الموروث الحضريّة في حياة الأمة ، وحمايتها وتبنيها ؛ لتحسين شخصية الأمة وتثبيتها ، والمحافظة على أصالتها وعواقتها .

وبعكس ذلك ؛ فإنّ تعريض الموروث الحضريّة العريقة للإهداء والضياع ، يعرّض شخصية الأمة للمسخ والضياع .

ففي سورة مريم بعدما يستعرض القرآن الكريم شطراً من قصة إراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وإسماعيل ، وإدريس ( عليهم السلام ) ، يقول تعالى لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) :

( أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْدَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ )

### الصفحة 319

خَرُّوا سَجْدًا وَبُكْيًا \* فَخَلَفَ مَنْ بَعْدَهُمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (1) .

هؤلاء الخلف الذين يذمهم القرآن الكريم ، هم الذين أضاعوا الصلاة . موارث الآباء والسلف . واتبعوا الشهوات . ويُنفوهم القرآن الكريم بأنهم سوف يلقون غيًّا .

إنّ من الناس من يحفظ الأمانة في موروث السلف ، ويستلمها ويحافظ عليها من الضياع والدس والانحراف ، ثمّ يسلمها إلى الخلف الذين يلونهم من الجيل الجديد ، وهؤلاء هم الخلف الصالح للسلف الصالح ، وحملة الأمانة ، الذين يصلون الرجم ، ولا يقطعونه .



ومن الناس مَنْ لا يحفظون الأمانة والعهد ، وتضيع على أيديهم موريث السلف . هؤلاء هم الذين تَعْنِيهِم

الآية الكريمة : ( ... فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ... ) .

إنَّ من الناس مَنْ يكون جسواً بَيْنَ جِيلَيْنِ : جيل سابق عليه ، وجيل يلحقه ، ينقل موريث الصالحين من

الآباء والأسلاف إلى الجيل الذي يلي جيله ، هؤلاء هم الأُمَماء .

ومن الناس مَنْ يَشْكَلُ فجوةً وقطيعةً وحادِثاً بَيْنَ جِيلَيْنِ ، الجيل السابق والجيل اللاحق ، فيفصل هذا الجيل

عن ذلك الجيل ، ويقطع الخلفَ عن السلفِ ، وهذه القطيعة هي أبرز صور الخيانة ، والعقوق ، وقطيعة الرحم .

### السُّنَّةُ والبِدْعَةُ :

وقد ورد التعبير في النصوص الإسلاميَّة عن حالتي الارتباط بالسلف

(1) مريم : 58 . 59 .

### الصفحة 320

والقطيعة اللَّتَيْنِ تَحَدَّثُ عَنْهُمَا بالعمل بـ ( السنة ) و ( البدعة ) .

فالعمل بـ ( السُّنَّةُ ) هو : الارتباط السلوكي بالسلف الصالح ، وحالة الاقتداء والتبعية الواعية .

في مقابل ( البدعة ) وهي : حالة القطيعة عن السلف وقطع الجسور ، والانحراف عن مسورة السلف الصالح

إلى الأنماط الجاهليَّة المُستحدثة والقديمة .

إنَّ الاهتمام الكبير في النصوص الإسلاميَّة بمسألة السُّنَّةِ ، قد ينشأ من هذه النظرة ، ويعبرُ عَنِ اهتمام

الإسلام بربط الأجيال المتعاقبة بمرواث الأنبياء والموسلين من السلف الصالح ، وشدهم بالأنبياء والأولياء

والصالحين من سلفنا .

والقرآن الكريم يدعو المسلمين إلى التأسّي بالأنبياء والصالحين بشكل عامّ ، وبأبي الأنبياء إِبْرَاهِيمَ ( عليه

السلام ) ، وبخاتم الأنبياء رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) بشكل خاص :

( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ) (1) :

( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ) (2) .

( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) (3) .

وقد روي عن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) :

( عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سَنَةٍ ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بَدْعَةٍ ) (4) .

وعن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) :

(1) الممتحنة : 6 .

(2) الممتحنة : 4 .

(3) الأذباب : 21 .

(4) بحار الأنوار : ج 2 / ص 261 .



## الصفحة 321

( لا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِإِصَابَةِ السَّنَةِ ) (1) .

وعن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) قال : ( سمعتُ رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) يقول : عليكم بالسُّنَّةِ ، فَعَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سَنَةٍ ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بَدْعَةٍ ) (2) .

وعن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي فِي اخْتِلَافِ أُمَّتِي ، كَانَ لَهُ أَجْرُ مِئَةِ شَهِيدٍ ) (3) .

وعن عليّ بن مهزيار ، عن منصور بن أبي يحيى ، قال : سمعتُ أبا عبد الله ( عليه السلام ) يقول : ( صعدَ رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) المنبرَ فَتَغَيَّرَتْ وَجَنَّتَاهُ وَالتَّمَعَ لَوْنُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّمَا بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، ثُمَّ ضَمَّ السَّبَاحَتَيْنِ ) (4) .

ثم قال : يا معشر المسلمين ، إن أفضل الهدى هدى محمد ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ، وخير الحديث كتاب الله ، وشَرُّ الأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا . ألا وكل بدعة ضلالة ، ألا وكل ضلالة في النار ) (5) .

وعن رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( فِي الْقَلْبِ نُورٌ لَا يُضِيءُ إِلَّا مِنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَقَصْدِ السَّبِيلِ ، وَهُوَ نُورٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الْأَنْبِيَاءِ يُودَعُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ) (6) .

وعن ابن حميد ، رَفَعَهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ

(1) بحار الأنوار : ج 2 / ص 261 .

(2) المصدر السابق : ص 262 .

(3) المصدر السابق : ص 262 .

(4) السبّاحة : الإصبع التي تلي الإبهام .

(5) بحار الأنوار : ج 2 / ص 263 .

(6) بحار الأنوار : ج 2 / ص 265 .

### الصفحة 322

( السُنّة ) و ( البُدعة ) ، وعن ( الجماعة ) وعن ( الفُوقَة ) .

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : ( السُنّة ) ما سنّ رسول الله ، و ( البُدعة ) ما أحدث من بعده ، و ( الجماعة ) أهل الحقّ وإن كانوا قليلاً ، و ( الفُوقَة ) أهل الباطل وإن كانوا كثيراً ( 1 ) .

وعن موسى الكاظم ( عليه السلام ) : ( ثلاثُ موبقاتٍ : نكث الصّفقة ، وترك السنّة ، وفوق الجماعة ) ( 2 ) .

وفي النصّين الأخيرين تتبيّن أبعاد التلاحم العضوي الوثيق في بناء الأمة ، في الارتباط بمنابع التشريع ( السُنّة ) ، والارتباط بالقيادة ( البيعة ) ، والارتباط العضوي بالأمة ( الجماعة ) .

وروي عن رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) : ( رحمّ الله خلّفائي ، فقليل : يارسول الله ، ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحيون سنّتي ، ويعلمونها عباد الله ) ( 3 ) .

والارتباط بين الخلافة والسُنّة يلقت النظر في هذا الحديث ، فالخلافة تتحقّق باتّباع سنة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

وأيضاً عن رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) : ( أمّا بعد ، فإنّ خير الأمور كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمّد ( صلّى الله عليه وآله ) ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ) ( 4 ) .

(1) بحار الأنوار : ج 2 / ص 266 .

(2) بحار الأنوار : ج 2 / ص 266 .

(3) بحار الأنوار : ج 2 / ص 25 .

(4) سنن ابن ماجة : ج 1 / ص 17 / الحديث 45 .

### الصفحة 323

وعنه ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) : ( مَنْ أَحْيَى سُنَّةَ مَنْ سَنِّيَّ ، فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مِنْ عَمَلِ بِهَا ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ ابْتَدَعَ بَدْعَةً ، فَعَمِلَ بِهَا ، كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارٌ مِنْ عَمَلِ بِهَا ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئاً ) (1) .

وكأنّ الذي يبتدع في الدين ويقطع الأجيال اللاحقة عن اتباع السنة ، يتحمل وِزْر كل الدّين ينقطعون عن المسوأة والخط ، دون أن ينقص من أوزارهم شيء .

#### بين التقليد والثابت :

يُلاحظ كثراً : أن بعض علماء الاجتماع يضعون علامة الاستفهام أمام حالة النزوع إلى السنة ، ورفض البدع في الأديان ، وبشكل خاص في الإسلام ، ويفسرون هذه الحالة بالنزوع إلى القديم ، والميل إلى التقليد ، ورفض التجديد والتحرك .

ومن هذه الواوية يُدرجون المجتمعات الدينية في قائمة المجتمعات المحافظة ، التي ترفض التحرك والتجديد والتطور ، في قبال النوع الآخر من المجتمعات ، وهي المجتمعات التي تتسم بالحركية ، وترفض الجمود على القديم والركود والتقليد .

يقول الباحثان الاجتماعيان ( W. F. Ogburn ) و ( M. F. Nimkoff ) : ( المجتمعات الجامدة . بعكس المجتمعات الحركية . لا تستجيب للتولات الاقتصادية ، وترفض التجديد ، وتخضع الحياة في هذه المجتمعات لنظام ثابت تقريباً ، والسُنن والأعراف تتحكم في حياة الناس بصورة قاهرة . والإنتاج

## الصفحة 324

الاقتصادي يجري بصورة تقليدية .

ولا تتبدل التصورات والأفكار الدينية والسياسية والاجتماعية .

والموقع العائلي والطبقي والاجتماعي لأي شخص يحدد لوره الاجتماعي ، وموقعه في المجتمع ، وحتى زواجه وموته ، ويتحكم العرف والتقليد على الأخلاق ، ويندر الخروج على القواعد والأعراف والأساليب الحاكمة في المجتمع ، وإذا حدث شيء من ذلك ، يواجه رنود فعل قوية معاكسة .

والطاعنون في السنن يشكلون مصادر السنن والأعراف التقليدية ، ويتحكمون في حركة المجتمع .

إن البيئة الاجتماعية لا تملس أي تور تحريكي على الأواد ، ولا تدفعهم إلى الإبداع والتجديد ، ويجري كل شيء تقريبا بشكل تقليدي وثابت . حتى الوي واللباس والأكل ، يتحدد شكله بصورة مسبقة ، ولا أمل يساور أحداً في أن تتطور مثل هذه المجتمعات وتتحرك للأمام ، وتحري في جو قائم ثابت غير متطور .

هؤلاء الناس يعيشون للطموحات وللأفواح والمسوات الصغيرة في مسير حياتهم اليومية ، وسعداء من ناحية أخرى بالحياة الأبدية السعيدة التي ينتظرونها بعد الموت ( 1 ) .

مثل هذا التصور عن المجتمعات الخاضعة للسنن أمر شائع في الكتب الاجتماعية ، وعلماء الاجتماع . في الغالب . ينظرون إلى المجتمعات المرتبطة بالسنن والمورث الحضريّة بهذه النظرة السلبية والقائمة .

وبطبيعة الحال ، فإن هذا التصور يشمل المسورة الإلهية على وجه الأرض في التريخ ، فإن هذه المسورة مؤتبطة بسنن ثابتة ، تورثها جيلاً بعد جيل ، وتحكمها ضوابط وحدود ، وأعراف وقيم وأخلاق ثابتة وغير

متغيرة ، وتحرص أجيال هذه

—

## ( 1 ) نقلاً عن كتاب ( علم الاجتماع ) ، لـ أ . ج . آريان بور : ص 478 . 479 .

### الصفحة 325

المسورة أن لا تتحرف عن الخط والطريق ، وأن لا تستبدل المورث الحضري التي ورثها من السلف بالأعواف والقيم والتصورات الجاهلية التي استحدثها الناس ، ويعتبرون أي انحراف عن طويق السلف من البدعة المخرمة ، وكل اتباع لمسوة السلف الصالح من السنة الواجبة والمندوبة .

وهذا التصور في حساب هذه الفئة من علماء الاجتماع ، يدخل المجتمع ضمن التصنيف المذكور ، في عداد المجتمعات الجامدة وغير الحركية .

ولابد أن نشير هنا إلى المفارقة العلمية التي يقع فيها كثرا من الباحثين من هذا النمط . يختلط لديهم حساب الثابت القائمة في حياة الإنسان ، بحساب القديم وتقليد القديم والجمود على القديم ، وهذا الخلط هو سبب المفارقة التي يقع فيها هؤلاء .

إن في حياة الإنسان ثابت لن تتغير ، ولا تخضع لحسابات الزمن ، وهذه الثابت هي الأبعاد الرئيسية للإنسان ، والقيم الحقيقية لشخصية الإنسان ، وتجاوز هذه الثابت يؤدي إلى مسح شخصية الإنسان وتشويهه . وللمحافظة على شخصية الإنسان بأبعاده الحقيقية ، لابد من المحافظة على هذه الثابت ، وقد تكون هذه الثابت في المحوى فقط ، وقد تكون في المحوى والشكل معاً .

فالحاجة الجنسية من الحاجات الثابتة في حياة الإنسان ، وطريقة تصريف هذه الحاجة أيضاً من العناصر الثابتة في حياة الإنسان ، فلا يمكن أن يتجاوز الإنسان الحاجة الجنسية من حيث المحوى والمضمون ، كما لا يمكن أن يتجاوز الزواج وبناء العائلة من حيث الشكل .

ويصح أيضاً في حاجة الإنسان إلى المعاشرة الاجتماعية ، من حيث المضمون أحياناً فقط دون الشكل ، ومن حيث المضمون والشكل أحياناً

### الصفحة 326

ويصحّ أيضاً في الجانب الاقتصادي من حياة الإنسان .

وهذه المجموعة من الثوابت ، تُشكّل مجموعة كبيرة وواسعة من الحاجات الأساسية في شخصية الإنسان ، لا يجوز للإنسان أن يتجاوزها أو يستبدلها بشكل من الأشكال ، وأي محاولة لتخطّي هذه الحاجات ، تجرّ الإنسان إلى أن يتجاوز نفسه .

وهذه الأبعاد الأساسية الثابتة لشخصية الإنسان ، هي التي ترمزها الأديان الإلهية بالإجمال والتفصيل ، ويدعو إليها ويعمل بها الأنبياء والمرسلون ، وعباد الله الصالحون ( عليهم السلام ) ، وهي ما أسميناها بالثوابت والموروث والسُنن ، في مقابل البدع التي تعبر عن تجلوز الإنسان للسُنن الإلهية الثابتة في حياة الإنسان .

وإزاء هذه الحالة ( حالة الاتّواء بالثوابت الإلهية في حياة الإنسان ) ، هناك حالة أخرى ، وهي حالة التبعية والجمود على القديم ، والتهيب من تجاوز كل شيء قديم ، والتعصّب للآباء .

والقوان الكريم يذمّ هذه الطائفة من الناس :

( وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) (1) .

( قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَ نَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُون لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ) (2) .

( قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ) (3) .

( وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ

مُهْتَدُونَ \* قَالَ أُولُو جَنْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ . . . . .

( 1 ) الأعراف : 28 .

( 2 ) يونس : 78 .

( 3 ) الزخرف : 22 .



## الصفحة 327

قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ( 1 ) .

وهذه هي حالة الجمود والتبعية والتقليد غير الواعي ، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن حالة اتباع السنن الإلهية التي يأمر بها الإسلام ، والتي تُشكّل العمق الحقيقي للإنسان وأصالته ، والثابت الإلهية في حياته .

**الثوابت والفتوة والصبغة :**

وهذه الثوابت في شخصية الإنسان ، هي التي يُعبر عنها القوان الكريم بـ ( الفتوة ) ، كما يبدو :

( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ) ( 2 ) .

ويظهر من الآية الكريمة أنّ الفتوة هي : مجموعة الخصائص التي أودعها الله تعالى في الإنسان ( 3 ) ، والتي خلق الله الإنسان عليها .

وهذه الخصائص تُشكّل الجانب الثابت من شخصية الإنسان ، وتعقب الآية الكريمة على ذلك بقوله تعالى : ( لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ) ، أي : لا يمكن التلاعب والتغيير والتبديل في خلق الله بشكلٍ من الأشكال .

وإنّما ( الدين ) استجابة تشريعية لهذه الحاجات والأبعاد التكوينية الثابتة في شخصية الإنسان ، والإنسان عندما يستجيب لسنن الله التشريعية ، ومنهجه الذي

( 1 ) الزخرف : 23 . 24 .

( 2 ) الروم : 30 .

( 3 ) معنى الفتوة : الخلق والإبداع ، ومعنى الآية الكريمة على هذا تكون كما يلي : لا تبديل لخلق الله في الكيفية والشكل الذي خلق الله الناس وأبدعهم عليها .

## الصفحة 328

سلكه الأنبياء والمرسلون ، يستجيب لهذا الجانب الثابت من شخصيته .

وقد ورد التعبير عن هذه الثوابت في شخصية الإنسان في القرآن بـ ( صِبْغَةَ اللَّهِ ) : ( صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ) (1) .

وهو تعبير بديع عن الجانب الثابت في الإنسان .

فإن الله تعالى قد خلق الإنسان بلونه وصبغته الخاصة التي مزه بها ، وهذه الصبغة واللون الذي يتميز به الإنسان صبغة من صبغ الله ، صبغ بها شخصية الإنسان ، والدين ، هو الآخر ، الجانب التشريعي من هذه الصبغة ، الذي يتناسق مع الصبغة الإلهية في جانبه التكويني ، وهما معا صبغة الله ، أحدهما الوجه التكويني والأخرى الوجه التشريعي لها ؛ ولذلك فهما متناسقان متشجمان .

أما الأصباغ والألوان الجاهلية التي يصبغون بها حياة الإنسان ، في الأخلاق والأعواف والقوانين والتصورات والرؤى ، فهي لما كانت صبغة غير صبغة الله ؛ تأتي غير متناشقة لهذه الصبغة الإلهية التي صبغ الله تعالى شخصية الإنسان بها في التكوين .

روي عن رسول الله قال : ( يا عباد الله ، أنتم كالمريض ، ورب العالمين كالطبيب ، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب ، وتدبره به ، لا فيما يشتهي المريض ويقترحه ، ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين ) (2)

ويقول الإمام الصادق ( عليه السلام ) للمفضل بن عمر :

( 1 ) البقرة : 138 .

( 2 ) مجموعة ورّام : ج 2 / ص 117 .

( ولكنه خلقَ الخلقَ ، فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم ، فأحله لهم وأباحه ، تفضلاً منه عليهم ، لمصلحتهم ، وعلم ما يضرهم ، فنهاهم عنه وحرمة عليهم ) ( 1 ) .

## 2 . القيمة الإيحائية والتربوية للوراثة :

تُعطي التربية الإسلامية أهمية خاصة للوراثة في بناء شخصية الإنسان المسلم ؛ ذلك أن تعميق الإحساس بالوراثة للأنبياء والشهداء والصدّيقين ، والارتباط بهذه المسورة المباركة ، يمنح الإنسان حالة الاستعلاء على الحياة الدنيا وزخرفها ، والترفع عن الهوى والأنا والشهوات .

فإنّ الإنسان إذا عمق في نفسه الإحساس بالارتباط الأسوي ، لا يسمح لنفسه التزويط في ما أعطاه الله من المواهب والنعيم .

## كرامة الأسرة وموقعها الاجتماعي :

وهذا هو سرّ تأثير الوضع العائلي للإنسان في سلوكه ومعيشته ، فإذا شعر الإنسان بأنه يرتبط بأكرم أسرة في حضرة الإنسان ، وهي أسرة الأنبياء ( عليهم السلام ) ، وأنه خلف هذه الأسرة ، وحلقة الارتباط بين أجيال هذه الأسرة ، فليس من شك أنّ هذا الإحساس يبعث في نفسه قوة كبيرة على الترفع على المنكرات والموديات ، ويمنحه القوة على مكافحة الشهوات والأهواء ، ويضعه في موضع الاستعلاء على اللذات والشهوات التي حرّمها الله عليه .

إنّ الشعور بالبنوة والوراثة لأسرة التوحيد والارتباط بها ، يمنح الإنسان

( 1 ) وسائل الشيعة : كتاب الأطعمة والأشربة / ص 236 . عن المصدر السابق .

الصفحة 330

إحساساً قوياً بقيمته التلخيصية والحضارية ، فلا يفرط في قيمه وموقعه .

وهذا هو سرّ اهتمام الإسلام بالأساليب التي تشدّ الإنسان بهذا المحور الحضري الوبائي .

فالقآن الكريم يعتبر إراهيم ( عليه السلام ) أباً للمؤمنين : ( **مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ) .

ولاشكّ أنّ هذه البنوة ليست هي البنوة النسبية ، وإنما هي بنوة العمل ، وورثة العقيدة والرسالة .

وعن هذه النبوّة والانتماء يقول رسول الله ( صلّى الله عليه وآله ) لسلمان الفارسيّ : ( **سَلْمَانُ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ** ) .

(

وينفي القآن الكريم أن يكون ابن فوح ( عليه السلام ) من أهله : ( **إِنَّهُ لَيْسَ مَن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ) .

(

والأهليّة هنا تسوي العمل ، والعمل وحده هو الذي يرفع الإنسان ، ويضع الإنسان ، ويربطه بإبراهيم خليل  
الرحمان ( عليه السلام ) وأسوته من الأنبياء والأئمّة ( عليهم السلام ) ، ويقطعه عنهم ، ويجعله في امتداد هذه  
المسيرة المباركة ويَبُوّه عنها .

إذن ، فهناك تداعي مباشر بين الوراثة والعمل ، فالعمل يُحقّق الوراثة الصالحة ، والإحساس بالوراثة يعدّ  
الإنسان للعمل الصالح .

ومن هنا تأتي قيمة زيارة الأنبياء والأئمّة ( عليهم السلام ) بعد وفاتهم ، وخطابهم بالنصوص الواردة في  
الزوايا .

فإنّ السعي لزيارة الأنبياء والأئمّة ( عليهم السلام ) يعمّق في نفس الإنسان الإحساس بالارتباط بهم باستوار  
، ويغذي هذا الشعور بصورة مستمرة ، كما أن إحياء مناسباتهم يؤديّ تورا فعلاً في تحقّق هذه الصلة الروحية  
، بين الإنسان المؤمن وهذه المسيرة الحضريّة الوبائية المباركة .

### الصفحة 331

وبشكلٍ خاصّ ، تؤكد النصوص على زيارة الحسين ( عليه السلام ) ، سيما زيارة عاشوراء ، وفي كل يوم  
؛ للموقع الحساس الذي يحتله سيد الشهداء الحسين ( عليه السلام ) في هذه المعركة المصيرية بين معسكر

الرحمان ومُعسكر الشيطان ، ولأجل تعميق الصلّة بالموقف الحسيني الشامخ والصلب في كربلاء .

والذين يُحرّفون ويكافحون هذه الشعائر الإسلامية ، يفهمونها ويتعاملون معها بسطحية ظاهرة ، وباسم

الشريعة .

إنّ الارتباط بالأنبياء والمرسلين والأئمة والصالحين ( عليهم السلام ) ، بالوسائل والطرق المشروعة ، من

المسائل التي يتخذها الإسلام أداة للتربية ، وشدّ الإنسان المسلم بالمسورة الإسلامية الكورى في الترخ ؛ ولذلك

يُنكر القوان بقصص الأنبياء والصالحين ، وبصورة مكثفة ، وبتكرار وتأكيد بليغ .

ولاشكّ أنّ توفير هذا المناخ الحضري للإنسان المسلم ، والارتباط بهذا الجو ، منذ آدم ( عليه السلام ) إلى

رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، من أهم أهداف القوان الكريم في التذكير بقصص الأنبياء والصالحين .

والإحساس بالوراثة يُعمق شعور الإنسان بالمسؤولية ، بصورة مؤثرة وقوية ؛ ذلك أنّ الإنسان عندما يشعر

أنّه جزء لا يتجزأ من مسورة طويلة ، ذات جنور بعيدة في الترخ ، يستشعر بمسؤولية المحافظة على خط الآباء

والأسلاف ومكاسبهم وإنجزاتهم ، وتثمينها ودعمها ، ويشعر أنّ عليه مسؤولية نقل هذه الأمانة التي استلمها من

الجيل السابق إلى الأجيال التي تأتي من بعد ، وأنّه حلقة من حلقات هذه السلسلة الطويلة ، يربط الماضي

بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل ، والجسر الذي يمتد بين الأجيال ، يصل فيما بينها .

إنّ هذه المحاسبة في المورث تُعمق شعور الإنسان بالمسؤولية ، وتبعث في نفسه الغورة على مورث

السلف ، والوفاء لهم ، والحرص على الأجيال المقبلة ، وتشوّه أنه جزء لا يتجزأ من سلسلة طويلة ممتدة ،

وليس من حقّه أن يفترط في

### الصفحة 332

هذا المورث الكبير الذي ورثه من أسلافه وآبائه الصالحين .

وهذه الحالة تختلف كثيراً عما لو كان الإنسان يشعر أنه لوحده مشروع مستقل ، غير مرتبط بمن قبله ومن

بعده ، وهو كيان قائم بنفسه ، ولا يرتبط بمسؤولية تجاه الآباء ، ولا بمسؤولية تجاه الأبناء .

وشتان ما بين هذين الشعورين ، وما ينشأ عنهما من مواقف .

إنّ النمط الأوّل هو النمط المسؤول من الناس ، والنمط الثاني هو النمط اللامسؤول من الناس . والإحساس من النوع الأوّل هو الإحساس الذي يبني في نفس الإنسان الشعور العميق بالمسؤولية ، والإحساس من النوع الثاني يرفع الإحساس بالمسؤولية عن كاهل الإنسان .

والإحساس من النوع الأوّل يبني في نفس الإنسان شعوراً بأنه جزء من كل متّوابع ومتضامن على البعدين ، الزماني والمكاني . والإحساس من النوع الثاني يخلق في نفس الإنسان شعوراً بأنه شيء منفصل عن التاريخ ، وعن المستقبل ، ولا يحمل أيّ مسؤولية عن الماضي والمستقبل ، وإنما يعيش لنفسه ، وفي حدود إطار ذاته وشخصيته .

وهكذا نجد أنّ الإحساس بالارتباط بالسلف يحمي الإنسان عن سلطان الهوى والشهوات ، ويمنحه المناعة ويحصّنه ضد الشيطان ووساوسه ووسائله ومكّره ، ويعطي الإنسان قوة على الصمود والثبات أمام الضغوط التي يملسها الطاغوت على المؤمنين لحرفهم عن مسرة السلف .

ونذكر هنا بعض الشواهد التاريخية على هذه النقطة :

**موقف الحسين ( عليه السلام ) من البيعة ليزيد :**

لمّا مات معاوية ، أرسل يزيد إلى الوليد بن عتبة ، عامله على المدينة ، ليأخذ

### الصفحة 333

البيعة من الحسين ( عليه السلام ) ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الوحمان بن أبي بكر ، وعبد الله ابن الزبير .

فأرسل الوليد إلى الحسين ( عليه السلام ) وابن الزبير منتصف الليل ، فصار إليه الحسين ( عليه السلام ) في ثلاثين من مواليه وأهل بيته وشيعته ، شاكين الأسلحة ؛ ليكونوا على الباب فيمنعوه إذا علا صوته ، وبيده قضيب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

ولمّا استقرّ المجلس بأبي عبد الله ( عليه السلام ) ، نعى الوليد إليه معاوية ، ثمّ عرض عليه البيعة ليزيد ،

فقال له الحسين ( عليه السلام ) :

( مثلي لا يُباعُ سِواً ، فإذا دعوت الناس إلى البيعة ، دعوتنا معهم ، فكان أرواحاً ) .

فاقتنع الوليد منه ، لكنَّ مروان ابتدرَ قائلاً : إن تُركته وفرقت الساعة ولم يبايع ، لم تقدر منه على مثلها حتى تكثُرُ القتلى بينكم ، ولكن أحبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه .

فقال الحسين ( عليه السلام ) : ( يا ابن الزرقاء (1) ، أنت تقتلني أم هو ؟! كذبت وأثمت ) .

ثمَّ أقبل على الوليد وقال :

( أيها الأمير ، إننا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا يختم . ويزيد رجل فاسق شرب الخمر ، قاتل النفس المحترمة ، معان بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبحُ وتصبحون ، وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة ) .

( 1 ) نقل سبط ابن الجوزي في كتابه ( تذكرة الخواص : ص 218 ، ط النجف ) عن الأصمعي ، عن ابن إسحاق : أن أم مروان اسمها أمية ، وكانت من البغايا في الجاهلية ، وكان لها راية مثل راية البيطار تعرفُ بها ، وكانت تُسمَّى ( أم جَبَل الزرقاء ) ، وكان مروان لا يعوِّف له أب ، وإنما تُسبُّ إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص .

### الصفحة 334

فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الأصوات ، فهجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم ، وأخرجوا الحسين ( عليه السلام ) من منزله قهراً (1) .

والذي يتأمل في الحوار الذي جرى بين الحسين ( عليه السلام ) ومروان ، يلمس بوضوح خلفيات كلام كل منهما . أن مروان يتسلح بقوة الأمير ( الوليد ) ، وقدرته على السجن والقتل والبطش : ( ولكن احبس الرجل حتى يبايع ، أو تضرب عنقه ) .

وأما الحسين ( عليه السلام ) ، فهو يتحدث عن خلفيةٍ تليخية ذات جنورٍ راسخة وعميقة ، وأصالة ، ويقول

:

( إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبِوَةِ ) من بيت النبوة وأُسوة رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) .

( ومعدن الرسالة ، ومُختلف الملائكة ) والنبع الصافي .

وللرسالة والنبوة جنور عميقة في هذه الأسرة ، كما أن للمعدن جنور عميقة في الأرض .

( بِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا يَخْتَمُ ) وقد فتح الله تعالى الرسالة بهذه الأسرة ، وختمها بها .

ومن الأسرة أبو الأنبياء ( عليه السلام ) ، ومن هذه الأسرة خاتم الأنبياء ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) ، ثم يقول :

( وَيَزِيدُ شَرْبَ الْخَمْرِ ، قَاتِلِ النَّفْسِ الْمُحْتَرَمَةَ ، مَعْلُنِ الْفَسْقِ ) فالفاصلة بين هاتين الأسوتين كبيرة ، ولا

يمكن أن يُصافح الحسين ( عليه السلام ) يزيد ، أو يبايعه ويعترف بإمرته ، وهو الفاسق المعْلُن للفسق ، شرب

الخمير ، وقاتل الأنفس البريئة ، ( ومثلي لا يُبايع مثله ) .

الحسين ( عليه السلام ) في يوم عاشوراء :

وللحسين ( عليه السلام ) كلام آخر في يوم عاشوراء ، خاطب به جيش عُمر بن سعد ، ننقل منه الجملة

التي تُريد أن نستشهد بها فقط .

( 1 ) مقتل الحسين ( عليه السلام ) ، للسيد عبد الزاق المقوم : ص 127 . 128 . نقلاً عن ابن الأثير ،

الكامل : ج 4 / ص 6 . ومقتل الخوارزمي : ج 1 / ص 183 . والطوي : ج 6 / ص 189 . ومناقب ابن شهر

أشوب .

### الصفحة 335

( أَلَا وَأَنَّ الدَّعِيَّ قَد رَكَزَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : بَيْنَ السَّلَةِ وَالذَّلَةِ ، وَهِيَهَاتَ مِنَ الذَّلَةِ ، يَا بِيَّ اللهُ لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ



والمؤمنون ، وحُجُور طابِت وطهَرَت ، وأنُوف حَمِيَّة وتَفُوس أُبِيَّة ، مَن أن نُؤثِر طَاعَةَ اللئامِ على مَصْرَعِ

( الكرام ) ( 1 ) .

وما أروع الصورة التي يرسمها الحسين ( عليه السلام ) . وهو في قلب الأعداء يوم عاشوراء . لهذه المعركة

إنه يُشخِّصُ ولا العَدُوَّ تَشخِيسًا دَقِيقًا ، وَيَشخِّصُ مَوْضِعَهُ وَأصله ونبعُه ، أنه على وَجْه الدقة ( الدعِيَّ ابن

الدعِيَّ ) ، ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من هذا التشخيص والتوضيح ، ويصعق الطاغية بهذا الكلام أمام جنده

وهُؤَاتِه ، وهو في قبضتهم ، ويعلن أن الدعِيَّ ابن الدعِيَّ يَخُوهُ بِيْنِ ( الذلَّة ) ومبايعة يزيد بن معاوية الفاسق ،

وبين ( سِلَّة ) البطش والقتل .

ثمَّ يعلن موقفه من هذا الخيار الصعب : ( وهيهات منَّا الذلَّة ) .

يقول لهم : إنَّ هذا الموقف ليس موقفًا شخصيًا ، يمكن أن يتزلزل أو يخضع للإغواء والوعود ، أو للضغط

والإرهاب ، وإنما هو موقف يفرضه عليه ( الله ) و ( رسوله ) ، وهذا هو البُعدُ الأوَّل لموقف الحسين ( عليه

السلام ) يوم عاشوراء ، ينبع من الولاء ( لله ) و ( الرسول ) ، والإيمان بالله والرسول ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ )

ثمَّ يقول ( عليه السلام ) : ( والمؤمنون ) ، وهذا هو البُعد الثاني للموقف .

فالمؤمنون في كلِّ مكان يرفضون له الاستسلام والانقياد للفاسق يزيد بن معاوية ، ويطلبون منه الثبات

والصمود ، وعدم الخضوع للإغواء والإرهاب .

( 1 ) نقل الخطبة السيِّد عبد الرزاق المقوم في مقتله : ص 262 . 263 ، عن الأُهوف ، للسيِّد ابن طلوس :

ص 54 . وابن عساكر في ، تليخ الشام : ج 4 / ص 334 . والخوارزمي في ، المقتل : ج 3 / ص 6 .

ثمَّ يقول ( عليه السلام ) : **( وَحُجُورٌ طَابَتْ وَظَهَرَتْ وَأَنْوْفٌ حَمِيَّةٌ ، وَنَفُوسٌ أُبِيَّةٌ )** . وهذا هو البُعد التلريخي الثالث ، والجنور التلريخيَّة العميقة لهذا الموقف .

وكأَنَّ الحسين ( عليه السلام ) يريد أن يقول لجيش ابن زياد يومئذٍ : إنَّه ليس كسائر الناس ؛ خشبَةً عائمة على مجرى الماء ، يأخذه التيار حيث يتَّجه ، وإنمَّا هو جزء من بنيان كبير وعريق وأصيل ، يرتبط بالله ورسوله من جانب ، ويرتبط بالمؤمنين من جانب آخر ، ويرتبط بأسوة طاهرة نقيَّة ، أبيَّة للضيمِ رافضة للظلم من جانب ثالث ، فلا يمكن أن يختار طاعة اللئام على مصراع الكوام .

**محمد بن أبي عمير في سجون العباسيين :**

وأودَّ أن أذكر نموذجاً آخر من نماذج الصمود والثبات من تليخنا ، من المؤمنين الذين تعرَّضوا للفتنة ، فحماهم الله تعالى بمواقف آبائهم وإخوانهم الذين سبقوهم في الإيمان والابتلاء ، فلم يخضعوا للإرهاب والتعذيب ، وهو ( محمد بن أبي عمير ( رحمه الله ) ) .

كان من خيار أصحاب الإمام موسى بن جعفر ، والإمام الرضا ( عليّ بن موسى ) ، والإمام الجواد محمد بن عليّ ( عليهم السلام ) ، وقد أركهم جميعاً ، وروى عن الإمام الرضا والجواد ( عليهما السلام ) .

ذكر ابن بطَّة : أنَّ له رُبعاً وتسعين كتاباً (1) .

يقول النجاشي : ( رُوي أنَّه حبسه المأمون ، وقيل أن أخته دفنت كتبه في حالة اختفائه ، وكونه

( 1 ) معجم رجال الحديث ، لأية الله السيّد الخوئي : ج 14 / ص 281 .

### الصفحة 337

في الحبسِ رُبْع سنين ، فهلكت الكتب . فحدَّث من حفظه ، ومما كان سلفَ له في أيدي الناس ؛ فلهذا أصحابنا يسكنون إلى مواسيله . وقد صنَّفَ كتباً كثيرة ( 1 ) .

وقد كان (رحمه الله) طويل السجود ، كثير الذكر والعبادة .

روى الكشي عن الفضل بن شاذان ، قال : ( دخلتُ العواقَ فأيتُّ واحداً يعاتبُ صاحبه ويقول له : أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكسب عليهم ، وما آمن عليك أن تذهب عيناك لطولِ سجودك .

فلما أكثر عليه ، قال : أكثرتَ عليّ ، ويحك ، لو ذهبت عين أحد من السجود ، لذهبت عين ابن أبي عمير . ما ظنَّك ورجل سجدَ سجدة الشكر بعد صلاة الفجر ، فما يرفع رأسه إلا زوال الشمس ؟! ) (2) .

ويقول فضل بن شاذان : أخذ يوماً شيخي بيدي ، وذهب إلى ابن أبي عمير ، فصعدنا في غوفة وحوله مشايخ له يُعظِّمونه ويجلُّونه . فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : هذا ابن أبي عمير .

قلت : الرجل الصالح العابد ؟ قال : نعم (3) .

وقد ألقى هارون عليه القبض ( وضُوبُ ابن أبي عمير مئة خشبة ، وعشرون خشبة بأمر هارون . تولى ضوبه السندي بن شاهك . على التشيع ) (4) .

وروى الفضل بن شاذان قال : ( سعي بمحمد بن أبي عمير إلى السلطان ، أن يعرِّفَ أسامي الشيعة بالعواق

(1) رجال النجاشي : ص 229 ، الطبعة الحجرية .

(2) رجال الكشي : ص 494 ، طبعة النجف .

(3) المصدر السابق .

(4) المصدر السابق .

### الصفحة 338

فأمره السلطان أن يُسميهم ، فامتنع ، فجرد وعلق بين القفلين ، فضوب مئة سوط .

قال الفضل : فسمعت ابن أبي عمير يقول : لَمَّا ضُوبتُ فُبلغ الضوب مُئة سوط ، أبلغ الضوب الألم إلي ، فكذتُ أن أَسْمِي ، فسمعت نداء محمد بن يونس بن عبد الرحمان يقول : يا محمد بن أبي عمير ، انكر موقفك بين يدي الله تعالى ، فتَوَيَّتُ بقوله وصوت ، ولم أُخبر ، والحمد لله ( 1 ) .

والإنسان العامل ، عندما يشعر أنه جزء لا يتجزأ من مسورة متصلة ، بعيدة الأغوار في التزيخ ، ممتدة على امتداد الزمان ، لا يشعر بالفشل والانكسار والضعف .

فإنَّ الفشل يُصيب الإنسان ، إذا كان لوحده مشروعاً قائماً بالذات ، يموت العمل بموته ، ويعيش بحياته ، وينجح بنجاحه ويسقط بفشله .

وأما حينما يكون الإنسان جزءاً من مسورة مؤابطة متماسكة ، تمتد عبر الزمان ، فلن تتوقف المسورة إذا مات ، ولن تعقل إذا فشل ، ولن يكون الفشل إلا انتكاسة في المسورة ، سوعان ما تستطيع المسورة أن تتجاوزها ، وأن تجبر الخسلة .

إنَّ هذه المسورة قد جاوزت نمرود وفرعون ، وقوم عاد وثمود ، ومئات الجبارة والطغاة المشتكزين على وجه الأرض ، الذين كانوا يتحتون الأنبياء والمرسلين ( عليهم السلام ) ، فلم تتوقف المسورة ، وواصلت عملها وتقدمها .

ومن هذه الزاوية ، فليس في حساب هذه المسورة الفشل والهزيمة ، بالمعنى الذي يعرفه الناس ، وأكثر ما فيها انتكاسة ، أو كما يقول القوان الكريم : قوح ، قد أصاب العدو مثله أو أكثر منه .

وسوعان ما تتجاوز المسورة الانتكاسة ، ويندمل

( 1 ) تنقيح المقال في علم الرجال للعلامة المامقاني / ج 2 ، حرف الميم ، ص 62 .

العاملين في سبيل الله ، إذا أصابهم قرح في المعركة ، أو أصابتهم انتكاسة في ساحات القتال والصواع .

ولنتأمل هذه الآيات المبركات من سورة آل عمران :

( وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ \* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ) (1) .

لم تقول هذه الآيات بعد معركة ظاوة ، وبعد نشوة من نشوات النصر ، وإنما قلت بعد هزيمة نكسة أحد

بالذات .

بعد هذه النكسة المؤهية يقول الله تعالى للمؤمنين : ( وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ) .

وليس من موجب للإحساس بالوهن والحزن ؛ فإن ما أصابهم في أحد لُن يُزيد على أن يكون قرحا قد أصاب

العدو مثله .

( وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ) ، ومسورتكم هي الظاوة المؤيِّدة من عند الله ، والنصر لا يتجاوزكم .

وما أصابكم من قرح في ( أحد ) فهو لكم تمحيص وتطهير وتوكية ، ويريد الله أن يركبكم به ، ولن تدخلوا

الجنة ما لم يصبكم أمثاله ، وما لم يظهركم الله ويركبكم ويمحصكم به .

إنَّ الإنسان العامل الداعية إلى الله يشعر أنَّ هذه المسورة لن تبتدأ به ، ولن تختم به ، ولن يكون جهده وعمله

إلا جزءاً من المجهود الكبير المتواصل الذي تبذله

( 1 ) آل عمران : 139 . 142 .

وهذا المجهود عتيق ومُتَّصِل عبر الأجيال والزمان ، ولن ينقطع .

فإذا نصره الله خلال تحرّكه وعمله ، فسوف يُضيف على مكاسب السلف مكسباً جديداً ، وعلى إنجازاتهم إنجازاً جديداً في حساب النصر .

وإذا ابتلاه الله بؤح وانتكاسة ، فسوف يكون سبباً في تمحيصه وتمحيص المؤمنين ، وتمحيص المسورة جميعاً ، ويظهر المسورة والصف من نشوات النصر ، وما يلحق هذه النشوات من الغرور والبطر والرياء .

فلا موجب إذن للإحساس بالوهن والحزن ، ولا موجب للشعور باليأس والخوف .

إنّ الداعية عندما يندمج في المسورة ، ويتحوّل من مشروع مُستقل قائم بذاته إلى جزء من هذه المسورة ، لا يكاد أن يُساوره شعور بالخوف واليأس ، والوهن والضعف ، إلاّ عندما تنتابه حالات ضعف الإنسان ، فيتركه الله تعالى برحمته ونوره وقوّته ، ويبعث في نفسه الأمل والقوة والثقة بالله تعالى ، ويشوح صوره ويذهب عنه الخوف واليأس والشكّ .

ومما يُصيب العاملين في سبيل الله ، عندما ينهضون برسالة الله في أجواء الجاهلية ، الإحساس بالوحشة والغربة .

الغربة في كلّ شيء ، في التصورات والأفكار والعقائد ، والأعراف والمصطلحات ، والأخلاق والتقاليد ، والصلاة والصيام ونكر الله .

والشعور بالوحشة والغربة ، عندما يتعمّق في نفس الداعية ، يغوله ويرويه ، ويبعث في نفسه اليأس والوهن ، وأحياناً الخوف .

إنّه يتحرّك على عكس التيار ، وماذا تراه يستطيع أن يفعل في وسط هذا الجو الحاشد بمظاهر الجاهلية والفساد .



## الصفحة 341

وليس أضرّ على الدعاة من هذا الشعور ، ولا شيء يبعث في نفوسهم اليأس والخيبة أكثر من هذا الإحساس

أما عندما يرتبط الداعية نفسياً بأسرة التوحيد ، الضربة في أعماق التريخ والممتدة في أعماقه ، ويشعر بأنه عضو في هذه الأسرة المباركة ، وشوط من هذه المسورة الربانية على وجه الأرض ، وصدى لدعوات الأنبياء والمرسلين وامتداد لهم ؛ يشعر بالراحة والطمأنينة ، والثقة والإلفة والقوة .

وتتمكّن الثقة من نفوس الدعاة العاملين في سبيل الله ، عندما وُاجعون مراحل تريخ ومعاناة أسرة التوحيد في التريخ ، فيرون إلى جانب هذه المعاناة والتمحيص ، والمطرّدة والاضطهاد والتعذيب ، والتشهير والتسقيط الذي رُافق حياة هذه الصفة من الدعاة العاملين في سبيل الله .

يرون إلى جانب هذه الصورة الدامية ، وإلى جانب الدوع والدماء ، نصر الله تعالى لهذه العُصبة المؤمنة وتأييده ، ويرون يد الله القوية والقاهرة والرحيمة معاً ، في كل مراحل حياتهم ، كلما تولت بهم محنة ، وكلما حلّت بهم كلثة ، وكلما ضاقت بهم الأرض بما وسعت ، وكلما قست عليهم الظروف .

ويرون أنّ هذا النصر والتأييد الإلهي للعصبة المؤمنة العاملة في سبيل الله ليس صدفة ، ولا حادثاً طرئاً ، وإنما هو سنة من سنن الله الثابتة ، التي لا تتحول ولا تتبدل .

( وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ) (1) .

(1) القصص : 6 . 5 .

## الصفحة 342

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُودُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) (1).

( فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ) (2).

( وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ) (3).

( كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (4).

( لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بُدْرًا وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ ) (5).

( لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ) (6).

فيقول من نفوس الدعاة العاملين في سبيل الله كل شك وريب ، وكل يأس وخوف ، وتنشرح صدورهم بالثقة بالله تعالى ونصوه وتأبيده .

فمهما تطول معاناة المؤمنين ، ويطول عذابهم ، وتطول محنتهم ، فإن الله تعالى لن يتخل عنهم ، ولن يتركهم لوحدهم في مواجهة الظالمين والطغاة ، ولا بد أن ينصوهم الله ، كما نصر الله تعالى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ( عليهم السلام ) ، ورسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وكما نصر الله تعالى الصالحين من عباده .

وهذا الإحساس بمعية الله تعالى وتأبيده ونصوه لأئمة التوحيد ، يبعث في

(1) النور : 55 .

(2) الانشراح : 6 . 5 .

(3) الصافات : 173 . 171 .

(4) البقرة : 249 .



(5) آل عمران : 123 .

(6) التوبة : 25 .

### الصفحة 343

نفوس الدعاة إلى الله الثقة والأمل ، والطمأنينة والثبات ، ويدعم نفوسهم ويربط على قلوبهم ، ويشوح صدورهم ، ويزيل عنهم الإحساس بالوحشة والغربة في الطويق ، مهما قلَّ العاملون على الطويق .

يقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) :

( أيها الناس ، لا تستوحشوا من طريق الهدى لقله أهله ، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير ، وجوعها طويل ) (1) .

وإذا كانت الموائد التي تستقطب الناس شبعها قصير ، وجوعها طويل ، فما أحرى بالدعاة إلى الله أن يعقلوا هذه الموائد إلى المائدة الإلهية ، التي يجتمع حولها الأنبياء والدعاة إلى الله ، والصالحون من عباد الله :

( وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) (2) .

( وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) (3) .

ويكتب أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لأخيه عقيل ، وقد آثر الحياة الدنيا على أخيه أبي الحسن :

( وَلَا يَرِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عَوَةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً . وَلَا تَحْسِبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ

مُضْرَعًا مَتَحْشَعًا ، وَلَا مَقْوًا لِلضَّيْمِ وَاهِنًا ، وَلَا سَلْسَ الزَّمَامِ لِلقَائِدِ ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهَرِ لِلوَائِبِ الْمُتَقَعِدِ ) (4) .

وفي هذه المسورة عمل الآباء للأبناء ذكوى ودرس ، وخوة الآباء تنتقل إلى الأبناء كروس ، ولا يبدأ

الدعاة إلى الله عملهم من نقطة الصفر ، لا في العمل

(1) نهج البلاغة : خطبة 201 .

(2) الشورى : 36 .

(3) طه : 131 .

(4) نهج البلاغة : الكتاب رقم 36 .

### الصفحة 344

ولا في خوات العمل .

وإنما تنتقل خوات العمل من جيل إلى جيل ، وفي كل مرحلة يزداد العاملون في سبيل الله نضجا في العمل ، وخوة في أساليب الدعوة إلى الله ، وفي أساليب مواجهة الطغاة ، ووعياً للعقبات وصعوبات الدعوة إلى الله ، وفهماً لأساليب مواجهة هذه الصعوبات والعقبات .

والله تعالى يُعَلِّمُ نبيه ( صلى الله عليه وآله ) أن يتعلم الصبر ممن سبقه ، حتى أولي الغم من الأنبياء :

( فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ) (١) .

ويقصُّ الله تعالى على نبيه وعلى المؤمنين قصصاً من أنباء الرسل ؛ ليكون لهم عظةً وذكوى :

(وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبَ بِهِ فؤادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) .

(2) .

وبعد ، فهذه بعض الإحياءات التي يُعطيها الإحساس بالانتماء إلى أسوة إراهيم ( عليه السلام ) ، والشعور بوراثة الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله .

والحمد لله رب العالمين .

(1) الأحقاف : 35 .

### الصفحة 345

#### الأبعاد السياسيّة والحركيّة

#### لثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )

\* العامل السياسي

الخيار الثالث

\* العامل الحركي

التحذير من الخروج إلى الواق

### الصفحة 346

### الصفحة 347

#### البعاد السياسيّة والحركيّة لثورة الإمام الحسين ( عليه السلام ) :

حينما نستعرض كلمات الإمام الحسين ( عليه السلام ) ومواقفه ، حين تولّى ( يزيد ) الأمر بعد أبيه ( معاوية ) ، ودُعي الإمام من قبل عامل يزيد على المدينة إلى البيعة ، إلى أن هبط الإمام لرض كربلاء ، ووقف بها في مواجهة جيش بني أمية ، نجد عاملين اثنين كانا السبب الباعث على الخروج والثورة على الحكم الأموي ، والذي انتهى إلى استشهاد الإمام ( عليه السلام ) في وقعة الطف .

الأول : العامل السياسي .

الثاني : العامل الحركي .

لابدّ لنا من أن ندرس هذين العاملين في كلمات الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، في هذا المسير ( من المدينة إلى كربلاء ) ؛ لنستطيع أن نُقدِّم تفسيراً وأفياً ودقيقاً لحركة الإمام وثورته .

### العامل السياسي :

ونبدأ بوزارة العامل السياسي في هذه القضية .

كان أول شيء اهتم به يزيد بن معاوية بعد أن تولّى الخلافة من بعد أبيه ، هو فرض البيعة على الحرّمين الشريفيين . وكان الحرمان الشريفيان يُعتوان نقطتي النقل السياسي في إعطاء الشرعية ، أو سلب الشرعية من مركز الخلافة في الشام .

وأكثر ما كان يهَمُّ يزيد من أمر البيعة

### الصفحة 348

ثلاثة أشخاص : الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، وعبد الوحمان بن أبي بكر ، وعبد الله ابن الزبير .

ولذلك فقد كانت بيعة الحرّمين الشريفيين أول ما فكر فيها يزيد بن معاوية ، بعد أن تولّى الأمر في الشام .

ولا شكّ أنّ أمر الحسين ( عليه السلام ) كان يشغل بال الخليفة الجديد ومُستشاريه من بني أمية أكثر من أي شخص آخر . وكان معاوية قد سعى من قبل لأخذ البيعة من الحسين ( عليه السلام ) ولاية العهد لابنه يزيد فلم يفلح .

وكان من جواب الإمام الحسين ( عليه السلام ) له . حين دعاه إلى قبول ولاية العهد لابنه يزيد . :

(وهيئات هيئات يا معاوية ، فضح الصبحُ فحمةً الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجهفت ، ومنعت حتى محلت ، وجزت حتى جاوزت ، ما بذلت لذي حق من اسمٍ حقّه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل .

وفهمت ما ذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، تريد أن توهم

الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً ، أو تنعت غائباً ، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه ، من استقوائه الكلاب المهلشة عند التهersh ، والحمام السيق لأتوابهن ، والقيان نوات المعرف ، وضوب الملاهي ، تجده باصراً . ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية .

فو الله ما برحت تقدح باطلاً في جور ، وحنقا في ظلم ، حتى ملأت الأسقية . ما بينك وبين الموت إلا غمضة ، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ، ولات حين مناص ( 1 ) .

فلما مات معلوية وتولى يزيد الأمر ، كان أول ما فكر فيه أن يأخذ البيعة من

( 1 ) الإمامة والسياسة : ص 186 ، ط مصر . 1969 .

### الصفحة 349

الحسين ( عليه السلام ) ، فكتب في ذلك إلى عامله المدينة ( الوليد بن عتبة ) ( 1 ) ، فامتنع الحسين ( عليه السلام ) امتناعاً شديداً في قصة طويلة ، يذكرها الطوى ( 2 ) ، وابن أعثم ( 3 ) ، وغروهما من المؤرخين .

فقد قال الحسين ( عليه السلام ) لمروان ، وكان حاضراً ذلك المجلس ، وكان يحث الوليد ألا يترك الحسين حتى يأخذ البيعة منه في ذلك المجلس ، وإلا فيضوب عنقه ، فقال له الإمام الحسين :

( ويلي عليك يا ابن الزرقاء \* ، أتأمر بضرب عنقي؟! كذبت والله .

والله ، لورام ذلك أحد من الناس ، لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك ، فوم ضرب عنقي إن كنت صادقاً ) .

ثم أقبل الحسين ( عليه السلام ) على الوليد بن عتبة فقال :

( أيها الأمير ، إننا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومحل الرحمة ، بنا فتح الله وبنا

يختم ، ويزيد رجل فاسق ، شرب الخمر ، قاتل النفس المحترمة ، مغلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ) ( 4 )

وعندما خرج الحسين ( عليه السلام ) من عند الوليد ، لامه مروان على ذلك لوماً شديداً ، فقال له عامل

بزيد :

( ويحك ، أتشير عليّ أن أقتل الحسين ؟! فوالله ما يموتني أن لي الدنيا وما فيها ،

( 1 ) الفوح ، لابن أعثم : 5 / 10 . وتاريخ الطوي : 7 / 316 .

وقد ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : ( أن عامل المدينة حينذاك كان خالد بن الحكم ، كتب إليه يزيد

يطلب منه أن يأخذ البيعة من الحسين ( عليه السلام ) ) ، كتابه الإمامة والسياسة : ص 203 .

( 2 ) الطوي : 7 / 216 . 219 ، طليدن .

( 3 ) الفوح : 5 / 10 . 19 ، ط حيدر آباد . 1968 م .

( \* ) الزرقاء : هي جدّة مروان ، وكانت من البغايا المومسات نوات الرويات .

( 5 ) الفوح لابن أعثم : 5 / 18 .

### الصفحة 350

وما أحسب أنّ قاتله يلقي الله بدمه إلاّ خفيف المزان يوم القيامة ) .

فقال له مروان مستهزئاً :

( إن كنت إنّما تركت ذلك لذلك ، فقد أصبت ) ( 1 ) .

وقد كان موقف الإمام ( عليه السلام ) في الامتناع من البيعة لزيد موقفاً واضحاً ، لا يشك فيه أحد ،

وكلمات الإمام في مواقف متعدّدة . في مسرة من المدينة إلى كربلاء . توضّح هذه الحقيقة .

يقول الإمام ( عليه السلام ) لمحمد بن الحنفية ( أخيه ) :

( يا أخي ، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأً ولا مأوىً ، لما بايعتُ والله يزيد بن معاوية أبداً ) (2) .

وخطب الإمام يوم عاشوراء في جيش بني أمية فقال :

( ألا وأنّ الدعيّ بن الدعيّ قد ركزَ بينَ اثنتين ، بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة . يآبى الله ذلك لنا

ورسوله والمؤمنون ، وحجورٌ طابت وطهرتْ ، تؤثر مصراع الكوام على طاعة اللئام ) (3) .

وقال لأخيه عمر الأظرف ، عندما دعاه إلى أن يتجنّب مجاهدة يزيد :

( إنّي لا أعطي الدنية من نفسي أبداً ، وتلقين فاطمة أباهاً ، شاكية مما لقيت نريته من أمته ) (4) .

وعندما خرج الإمام ( عليه السلام ) يوم عاشوراء ، ليقاتل جيش ابن سعد بنفسه ، كان يرتجز ويقول :

---

(1) الإمامة والسياسة : ص 205 .

(2) الفوح ، لابن أعثم : 5 / 32 . والمقتل ، للخوارزمي : ص 188 . ومقتل المقوم : ص 134 ، ط 2

النجف 1956 م . ونفس المهموم ، للشيخ عباس القمي : 74 .

(3) إثبات الوصية ، للمسعودي : 142 ، ط النجف ، الحيرية .

(4) اللهوف : ص 15 ، ط صيدا .

---

### الصفحة 351

الموتُ أولى من ركوبِ العارِ . والعارُ أولى من دخولِ النارِ (1)

فلم يكن الإمام . إذن . ليبياع يزيد مهما يكن من أمر .

ومن طرف آخر ، لم يكن يزيد ليقرب الإمام ( عليه السلام ) من دون بيعة مهما تكن النتيجة .

وقد كان الإمام الحسين ( عليه السلام ) يُؤمن بهاتين القضيتين معاً ، فلا سبيل إلى بيعة يزيد مهما يكن من أمر ، ولا يمكن أن يتوكله يزيد من دون بيعة أيضاً ، وكانت النتيجة المترتبة على هذين الأمرين واضحة للإمام كلّ الوضوح ، لا يشكّ فيها لحظة واحدة .

وقال الإمام لأصحابه ، حينما رأوا الخروج من الحجاز إلى العراق : **( وأيم الله ، لو كنتُ في جُحر هامةٍ لاستخرجوني ) ( 2 ) .**

ولمّا علم عبد الله بن جعفر أنّ الحسين يريد الخروج إلى العراق ، كتب إليه يدعوهُ إلى البقاء ، فكتب إليه الحسين ( عليه السلام ) :

**( والله يابن عمّي ، لو كنتُ في جُحر هامةٍ من هوام الأرض لاستخرجوني حتى يقتلونني . والله يابن عم ، ليعدينّ عليّ كما عدتّ اليهود على السب ) ( 3 ) .**

وفي رواية أخرى ، يرويها الشيخ المفيد في الإرشاد عن الإمام ( عليه السلام ) بنفس المضمون :

**( والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ، فإذا فعلوا ، سلط الله عليهم من يذلهم ، حتى يكونوا أدلّ فرق الأمم ) ( 4 ) .**

---

( 1 ) نفس المهموم : ص 353 ، تحقيق الشيخ رضا أستاذي ، 1405 هـ . قم .

( 2 ) الطوي : 7 / 276 . الكامل لابن الأثير : 4 / 28 .

( 3 ) الفوح لابن أعثم : 5 / 116 . مقتل الخوارزمي ، ط المفيد . قم : 8 / 2 ، باختلافٍ يسير .

( 4 ) الإرشاد ، للشيخ المفيد : ص 206 . وفي رواية ابن الأثير في الكامل : 4 / 39 ( حتى يكونوا أدلّ من فوم المرأة ) أو ( الأمة في بعض الروايات ) .

وفوم المرأة : الخرقاة التي تستعملها المرأة في الحيض .



### الصفحة 352

إذا فلم يكن للإمام الحسين ( عليه السلام ) غير طويق واحد ، وهو الشهادة ؛ فإنَّ يزيد لا يقبل من الإمام بغير البيعة ، والحسين ( عليه السلام ) لا يعطي البيعة لزيد ، مهما تكن الأسباب ، فلا طويق للحسين إلا الشهادة ، ولا بدَّ أن يكون الحسين ( عليه السلام ) عزماً على الشهادة ، حين خرج من الحجاز إلى الواق .

#### الخيار الثالث :

وكان هناك طويق آخر ثالث ، اقترحه عليه بعض الناصحين ، رفضه الإمام رفضاً قاطعاً ، وهو : أن يبتعد عن ساحة المعركة ويعتزل الناس ، ويذهب بعيداً إلى اليمن ، أو إلى بعض شُعبِ الجبال ، ويحتجب عن الناس ، فيكون قد حقَّقَ الغاية ، وهو الامتناع عن البيعة لزيد ، دون أن يعرِّضَ نفسه وأهل بيته وأصحابه للأذى والهلاك من قبل يزيد وولاته وعماله .

يقول ابن الأثير : لما غزم الحسين ( عليه السلام ) على الخروج من الحجاز إلى الواق ، جاءه ابن عباس

فقال :

( يا ابن العمِّ ، إنِّي أتصبرُّ ولا أصبر . إنِّي أتخوفُّ عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال . إن أهل

الواق قوم غُدْرٌ ، فلا تقربنهم . أقم في هذا البلد ( مكة المكرمة ) ، فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن كان أهل

الواق يريدونك كما زعموا ، فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعوَّهم ثم أقدم عليهم ، فإن أبيت إلا أن تخرج ، فسر

إلى اليمن ؛ فإن بها حصوناً وشعاباً ، وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس في عزلة

( 1 ) .

وكان ممَّن يحمل هذا الرأي أخوه محمد بن الحنفية ؛ إذ جاء إلى الحسين ( عليه السلام ) ، لما غزم على

مغاورة المدينة بأهل بيته ، فقال له . كما يبوي ابن الأثير . :

(1) الكامل لابن الأثير : 4 / 38 . 39 ، دار صادر . بيروت 1965 .

### الصفحة 353

( يا أخي ، أنت أحب الناس إليّ ، وأعوهم عليّ ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك .

تَنَحَّ ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت ، وابعث رسلك إلى الناس ، فإن بايعوا لك ، حمدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك ، لم يُنقص الله بذلك دينك ولا عقلك .

قال الحسين ( عليه السلام ) : **فأين أذهب ؟** قال : انزل مكة ، فإن اطأنت بك الدار ، فبسبيل ذلك ، وإن نأت بك لحقت بالومال وشعب الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ) (1) .

وفي العواق ، اقترح الطوماح بن عدي على الإمام ، أن يمتنع عن جيش يزيد بن معاوية بمعاقل طي المنبوعة ، فقال للإمام : فإن أردت أن تتول بلداً يمنعك الله به ، حتى ترى من رأيك وتستبين لك ما أنت صانع ، فسر حتى أتوك مناع جبلنا ، الذي يدعى ( أجا ) . امتنعنا والله به عن ملوك غسان ، وحمير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر . والله أن دخل علينا ذلّ قط ، فأسير معك حتى أتوك القوية ) (2) .

إلا أن الإمام رد هؤلاء جميعاً من دون تردد ، لا لأنه كان يشك في صدقهم ونصحهم له ، ولا لأنهم كانوا موضع لتياب وشك عند الإمام ، ولكن ؛ لأن هؤلاء لم يكونوا يفهمون الإمام ورأيه وموقفه بالشكل الصحيح .

فلم يكن همّ الإمام فقط أنه لا يبايع يزيد ، وألا يرضع يده في يد ابن معاوية ، ولو كان الإمام يكتفي بهذا الحد ما كلفه ذلك كثيراً ، فما كان أيسر على الإمام أن يعتزل الناس ويغادر الحجاز إلى بلد ناء من هذه البلاد النائية ، التي نصحه بها أخوه محمد ، وابن عمه عبد الله بن عباس ، أو نصحه بها الطوماح بن عدي .

إلا أن الإمام لم يكن يكتفي

(1) الكامل لابن الأثير : 4 / 16 . 17 .

( 2 ) تزيخ الطوي : 7 / 304 . وكذلك كتاب نفس المهموم للشيخ عباس القميّ : ص 194 . وكذلك المقتل للسيد عبد الرزاق المقومّ : ص 200 . وكذلك بحار الأنوار : 44 / 369 ، دار إحياء التراث . بيروت ، 1983م

### الصفحة 354

بهذا الموقف السلبي في أمر خلافة يزيد بن معاوية ، ولم يكن هذا الموقف السلبي في رفض البيعة إلا وجهاً واحداً من وجهي الموقف ، أما الوجه الآخر ، وهو الأهم ، والذي كلف الإمام نفسه وأهل بيته وأصحابه وشيعته ، فهو إعلان هذا الرفض على الملأ من المسلمين .

وهذا الإعلان ، هو الذي أغضب بني أمية وأثرهم ، فقد اعتبروه تحدياً صريحاً لسلطانهم وحكمهم ، وخروجاً على حكمهم وسلطانهم ، ولم يكن بنو أمية يتحملون شيئاً من ذلك في أيام سطوتهم وسلطانهم زهوهم .

وكان الإمام الحسين ( عليه السلام ) يتوخى من هذا الإعلان مطلباً سياسياً ، لم يكن يتحقق لولا إعلان الرفض ، وهو : إسقاط شرعية خلافة بني أمية في نظر العامة من المسلمين .

فقد كانت الخلافة . رغم كلّ السلبات التي أحاطت بها إلى هذا الحين . تتمتع بالشرعية في نظر الأكثرية من المسلمين ، وكانت هذه الشرعية تُمكن بني أمية من رقاب المسلمين ، وتشلّ عمل ودور المعارضة ، وتعطي للنظام الأموي قوّة ومقاومة كبيرة .

وأخطر من هذا كلّهُ ، أنّ هذه الشرعية كانت تمكّن بني أمية من إدخال الانحرافات الجاهلية . التي جاء بها بنو أمية معهم إلى الحكم . إلى الإسلام ، فيمسّ الخطر عندئذ الإسلام ، وتكون مصيبة المسلمين مصيبتين : مصيبة في حياتهم ونظام أمرهم ، ومصيبة أخرى ، أكبر وأخطر ، في دينهم .

وكانت هذه النقطة الثانية تشغل بال سيد الشهداء أكثر من أي شيء آخر ، فقد بدأ هذا الانحراف يتسوّب إلى هذه النقطة بالذات . يُشير الإمام ( عليه السلام ) في كلامه مع مروان بن الحكم ، صبيحة الليلة التي خرج فيها الإمام من بيت الوليد ، رافضاً البيعة ، حيث التقى مروان بالإمام في الطريق فنصح الإمام بالبيعة ليزيد ، فقال

الإمام لمروان :

## ( على الإسلام السلام ، إذ بُليت الأمة راعٍ مثل يزيد . ولقد سمعت جديّ )

### الصفحة 355

رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) يقول : **الخِلافةُ مَحْرَمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سَفِيَانَ ( 1 )** .

إذن ، كان الإمام يخشى أكثر ما يخشى على الإسلام . بالذات . من أن يدخل عليه ما جاء به بنو أمية إلى الحكم ، من انحراف وفساد ، وإذا كان لا يُمكن إسقاط الخليفة وانواع السلطان منه ، فإنّ من الممكن انتواع الشوعيّة من الخلافة ، وتجريد الحكم الأموي من الشوعيّة التي كان يحرس عليها حكام بني أمية .

ومثل هذا الأمر يتطلّب موقفاً صريحاً معننا في رفض البيعة ، والامتناع عن قبول خلافة يزيد من جانب الإمام في وسطِ الرأْي العام الإسلامي حينذاك ، وهذا ما عمد إليه الحسين ( عليه السلام ) عندما رفض البيعة ، ورفض أن يُخفي موقفه السلبي هذا ، ويعتزل الوسط السياسي إلى بعض الشعاب والوديان والجبال ؛ ليسلم بنفسه وأهل بيته وأصحابه من ملاحقة حُكّام بني أمية .

لقد كان الإمام يُخطِّط ليجعل من موقفه هذا موقفاً سياسياً صريحاً ، واحتجاجاً في وجه حكام بني أمية ، وإعلاناً لسحب الثقة والشوعيّة من حكام بني أمية ، وإعلام الأمة كلّها بذلك ، وهذه بعض النماذج من كلمات الإمام ومواقفه الصريحة في هذا الصدد :

**وَلَا** : غادر الإمام المدينة إلى مكة ليلاً بجميع أهله ، وسار على الجادة التي يسلكها الناس ، فقال له ابن عمّه مسلم بن عقيل : ( لو عدلنا عن الطريق وسلطنا غير الجادة ، كما فعل عبد الله بن الزبير ( 2 ) ، كان عندي الرأْي ، فإنّنا نخاف أن يلحقنا الطلب . فقال له الحسين ( عليه السلام ) :

( 1 ) اللهوف للسيد ابن طولوس : 13 . والفوح لابن أعثم : 5 / 24 . مقتل الخوارزمي : 184 . 185 .

وليس في المصيرين الأخيرين عبارة ( ولقد سمعتُ جديّ رسول الله ) . ومقتل المؤمن : ص 130 .

( 2 ) تنكّب عبد الله بن الزبير عند مغاورة المدينة الجادة العامة التي يسلكها الناس . راجع : الطوي : 7 /

219 . 220 . وكذلك الإرشاد للمفيد : ص 203 ، مكتبة بصيرتي . قم .

### الصفحة 356

( لا والله يا ابن عمّ ، لا فرقت هذا الطريق أبداً ، أو أنظر إلى أبيات مكة ، أو يقضي الله في ذلك ما يجب <sup>و</sup> ويوضى ) ( 1 ) .

ثانياً : دخل الإمام مكة بصورة علنية ، متحدياً بنبي أمية . ويصف الخوارزمي نزول الحسين ( عليه السلام ) بمكة فيقول : ( وكان قد تزل بأعلى مكة ، وضرب هناك فسطاطاً ضخماً ، ثم تحوّل الحسين إلى دار العباس ، وحولها إليه عبد الله بن عباس ، فأقام الحسين مؤذناً يؤذنُ ، رافعا صوته ، فيصليُ بالناس ) ( 2 ) .

( دخل الحسين إلى مكة ففوح به أهلها فوحاً شديداً ، وجعلوا يختلفون إليه بكوة وعشية ، واشتد ذلك على عبد الله بن الزبير ؛ لأنه قد كان طمع أن يبايعه أهل مكة ، فلما قدم الحسين شق ذلك عليه ، لكنه كان يختلف إليه [ إلى الحسين ] ، ويصلي بصلاته ، ويقعد عنده ، ويسمع من حديثه ، وهو . مع ذلك . يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة والحسين بن علي بها ؛ لأنّ الحسين عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير ) ( 3 ) .

وكان عمرو بن سعيد الأشدق يومئذٍ عامل يزيد على مكة ، فهاب الحسين وهرب إلى المدينة ، وكتب إلى يزيد بأمر الحسين ، يقول الخوارزمي : ( وهاب ابن سعيد أن يميل الحجاج مع الحسين ، لما روى من كثرة اختلاف الناس إليه من الآفاق ، فانحدر إلى المدينة ، وكتب بذلك إلى يزيد ) ( 4 ) .

ثالثاً : تتفق المصادر التاريخية أنّ الحسين ( عليه السلام ) خرج من مكة إلى الواق

( 1 ) الفوح لابن أعثم : 5 / 34 . 35 . وكذلك مقتل الخوارزمي : ص 189 . وكذلك الطوي : 7 / 232 .

( 2 ) مقتل الخوارزمي : ص 190 .

( 3 ) الفوح لابن أعثم : 5 / 36 . 37 .

### الصفحة 357

يوم الثامن من ذي الحجة ( يوم التروية ) ، عندما كان الحجاج يتوجهون إلى عرفات ، استعدادا ليوم عرفة ، وقد أثار خروج ابن بنت رسول الله يوم التروية . من بين الحجاج . إلى الواق انتباه عامة الحجاج ، الذين كانوا قد أموا البيت الحرام من مختلف الآفاق ، فهذا ابن بنت رسول الله يحل من العبرة ، ويغادر مكة في وقت يتوجه فيه الحجاج إلى عرفات لأداء الحج .

ولا نحتاج إلى تأمل طويل لنكشف أن طريقة الحسين ( عليه السلام ) في الخروج من المدينة إلى مكة ، ثم مقامه في مكة ، ثم مغادرته لها إلى الواق ؛ كان بهدف التعبير والإعلان عن رفضه للبيعة .

ولو كان الإمام يريد أن يتجنب البيعة فقط ، دون تنبيه وإفادات الرأي العام الإسلامي لهذا الموقف السياسي ؛ لما احتاج إلى كل هذه الخطوات التي كلفته ، وكلفت أهل بيته وأصحابه كثيرا ، وأثرت عليه سخط بني أمية وغضبهم .

ولقد كان بنو أمية يكتفون من الحسين ( عليه السلام ) . في أغلب الظن . أن يحتجب ويتعد عن الرأي العام ، ويخرج إلى ثغر بعيد من ثغور المسلمين ، بعيداً عن الأجواء السياسية ، لكن الحسين أبى أن يبايع إباء قاطعاً ، وأبى أن يخرج إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ويترك الساحة السياسية والاجتماعية ومسؤوليته الشرعية ، وإليك النص الذي يبيّن اتجاه هذه الساحة :

هناك نص يرويهِ الطوي عن عقبة بن سمان بهذا الشأن ، وعقبة هذا كان قد رافق الحسين ( عليه السلام ) من المدينة إلى كوفلاء ، ولم يفته شيء من كلمات الإمام وإشرااته ومواقفه .

يقول ابن سمان : ( صحبتُ حسينا ، فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى الواق ، ولم أفرقه حتى قُتل ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ، ولا في الطريق ، ولا بالواق ، ولا في عسكر ، إلى يوم مقتله ، إلا وقد سمعتها .

لا والله ، ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما زعمون ، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ،

## الصفحة 358

ولا أن يسيروه إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين ، ولكنه ، قال : ( دعوني ، فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس ) (1) .

الخيارات الثلاثة :

إذن ، كان أمام الإمام الحسين ( عليه السلام ) خيارات ثلاثة :

الأول : أن يبائع يزيد بن معاوية .

الثاني : أن يغادر الساحة السياسية ووسط الرأي العام إلى ثغرٍ ناءٍ من ثغور المسلمين . حتى لا يكون خطراً على الحكم الأموي .

ونكتشف من كلمة عقبة ابن سمعان أنّ هذا الخيار كان أيضاً مما يطوحه عليه بنو أمية ، على شكل الإبعاد والإقصاء ، كما فعل عثمان بن عفان بأبي ذرٍّ من قبل .

وهذه الطريقة من الإقصاء عن الساحة السياسيّة ؛ لتعطيل المعرّضة وإفشال دورها ، كان معولاً بها في تلك الأيام . وكلمة عقبة بن سمعان واضحة أيضاً في ذلك : ( أن يسيروه إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين ) .

وأما الناصحون للإمام ، فكانوا يقترحون عليه أن يختار هذا الشقّ ، ويختار الجهة التي يعتزل فيها الساحة السياسيّة ، دون أن يسيروه إليها .

ومهما كان من أمر ، فقد رفض الإمام هذا الخيار من بني أمية ، ومن محببته ، ورفض أن يتوك الساحة ويعتزلها ، ولم يقتصر في أمر رفض البيعة على هذا الحدّ السلبي ، الذي كان لا يرفع التكليف الشعري والمسؤولية عن عاتقه .

فقد كان الإمام يُصرُّ على أن يتوك لشأنه ليذهب . كما يقول عقبة بن سمعان في كلمته . في هذه الأرض العريضة مُعلنًا عن رأيه في يزيد ، ورفضه لبيعته ، وعاملاً بتكليفه الشعري في الحكم الأموي ، وهذا ما كان يرفضه بنو أمية رفضاً قاطعاً ، وقد عبر -

( 1 ) تزيخ الطوي : 7 / 314 .

### الصفحة 359

الإمام عن ذلك لأصحابه ، حينما أراد الخروج من الحجار إلى الواق بقوله :

( والله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني ) ( 1 ) .

الثالث : هو خيار المواجهة والشهادة . وقد اختاره الإمام . بالذات . من بين هذه الخيارات .

ومن كلمات الإمام في كربلاء ، أمام جيش ابن سعد :

( لا والله ، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفرّ وار العبيد ) ( 2 ) .

فلا يُعطيهم يده للبيعة ، إعطاء الذليل ، وهو الخيار الأول الذي تحدثنا عنه ، ولا يفرّ وار العبيد ، وهو

الخيار الثاني الذي أقترحه عليه بنو أمية ، لإلغاء دوره وتعطيل موقفه ، عن خبث ومكر ، واقترحه عليه بعض

الناصحين له عن عدم وعي .

وهذا هو العامل الأوّل لثورة الإمام الحسين ( عليه السلام ) .

### العامل الحركي :

العامل الثاني لحركة الإمام وخروجه وثورته هو : ( الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ) ؛ لتحريك الأمة

وتوعيتها ، وكسر حالة الركود والجمود والاستسلام في الأمة .

وقد بيّنّا . فيما مرّ . كيف عمل حكام بني أمية على نشر الإهابة والفساد في المجتمع ، وقد تمكنوا فيما

رأوا من تمييع المجتمع الإسلامي ، والقضاء على



(1) الطوي : 7 / 276 . وكذلك الكامل : 4 / 38 .

(2) مقتل المُقَوِّم : 256 ، وقد أُورد النصّ بعضُ رُبابِ المقاتل بصيغة (ولا أقرّ لكم إقرار العبيد) .  
وكذلك مثير الإخوان : 62 ، ط النجف . الحيريّة ، 1386 .

وفي رأينا أنّ النصّ الأوّل رجحَ وأوفق إلى موقف الإمام .

### الصفحة 360

روح المقاومة والثورة والتمرد في المسلمين ، ونشر روح الاستكانة والاستسلام لواقع الفاسد .

وأبرز دليل على انتشار هذه الحالة السلبية في المجتمع الإسلامي . يوم ذاك . هو أن يتولّى يزيد أمور المسلمين ، ثمّ لا توتفّع صرخات الاستكثار والاحتجاج في العالم الإسلامي ، إلّا ما كان هنا وهناك ، من اعتراضات ضعيفة ومبتورة للمعلّضة ، لا يسمعها ولا يدعمها أحد .

وكان لأبدّ من حركة قوية في وسط العالم الإسلامي ، تهزّ ضمائر المسلمين هزةً عنيفة ، وتبعث في نفوسهم الحياة والإحساس بالمسؤوليّة ، وتكسر عنهم طوق الخوف والرعب الذي كان يملأ نفوسهم آنذاك ، وتعيد إليهم ثقتهم بالله ، ثمّ بأنفسهم .

لقد كان لأبدّ من تضحية عزيزة نادرة ، تهزّ ضمائر المسلمين من الأعماق ، وتعيد إليهم شخصيتهم وإرادتهم التي انتزعتها النظام الأموي منهم ، وتشعروهم بعمق المأساة ، وعمق المسؤولية .  
وإنّ للدم والتضحية والفداء من الأثر في تحريك النفوس ، وكسر حاجز الخوف ، وإعادة الثقة إلى النفوس ، والتحسيس بالمسؤوليّة ، ما ليس لغوه من عوامل التحريك .

فإقدام الإمام على الخروج والثورة على النظام الأموي ، والمواجهة والمجابهة ، لم يكن فقط لغرض رفض البيعة ، وإعلان هذا الرفض ، وإنّما كان أيضاً لتحريك المسلمين ، وتحسيسهم بالمسؤوليّة ، وإعلان الموقف الشرعي ، ودعوة المسلمين إلى المواجهة والمجابهة والمعلّضة ، والتمرد على النظام والسلطة الأموية .  
والإنكار بالعمل والتضحية والقوة ، من أهمّ شُعبِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد رُوى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ( مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَثْوًى ، فَلْيَنْكُرْ بِيَدِهِ إِنْ اسْتَطَاع ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، فَحَسْبُهُ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ



## الصفحة 361

أنه لذلك كله ( 1 ) .

وروي عن عليّ ( عليه السلام ) أنه قال في صفين :

( أيها المؤمنون ، إنه من رأى عنواناً يعمل به ، ومنكواً يدعى إليه ، فأنكوه بقلبه ، فقد سلم وپوى ، ومن

أنكوه بلسانه ، فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكوه بالسيف ، لتكون كلمة الله العلياً ، وكلمة

الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ) ( 2 ) .

والخروج والثورة لإنكار المنكر والأمر بالمعروف ، ولتحريك المسلمين وتبئهم ، من أوضح مصاديق (

الإنكار باليد ) ، وأقوى عوامل التحريك والتوعية في صفوف المسلمين ، وعندما نستعرض كلمات الإمام في

مسوره من المدينة إلى كربلاء ، نجد أن مسألة رفض البيعة ، وإعلان الرفض كموقف سياسي ضد النظام الحاكم

، لا تُعبر عن كل أبعاد حركة الحسين ( عليه السلام ) وثورته ، فهناك بعد آخر لهذه الحركة هو : الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لتحريك المسلمين لمواجهة الطاغية ومجابهته وإسقاطه .

وعنصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنصر بارز في حركة الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، كما

نقواً في زيارته ( أشهد أنك قد أقيمت الصلاة ، وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ) ( 3 ) .

يقول أصحاب السير : إن الحسين ( عليه السلام ) لما تهيأ لمغاثرة المدينة ، زار قبر جدة رسول الله ( صلى

الله عليه وآله ) ، وصلى ركعتين ، ثم قال : ( اللهم إن هذا قبر نبيك محمد ، وأنا ابن

(1) وسائل الشيعة : 6 / 407 ، دار إحياء التراث ، بيروت . 1391 هـ ، عن تفسير الإمام العسكري .

(2) وسائل الشيعة : 6 / 405 . وكذلك روضة الواعظين للفتال النيسابوري : 2 / 364 . 365 ، المطبعة

الحيوية النجف . 1386 هـ . ق .

## الصفحة 362

بنت محمد ، وقد حضوني من الأمر ما قد علمت .

اللهم إنِّي أحبّ المعروف ؛ وأكره المنكر ، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام ، بحق هذا القبر ومن فيه ، إلا ما اختوت من أمري هذا ما هو لك رضى ( 1 ) .

وعندما نستعرض كلمات الإمام في مسيرته من المدينة إلى كربلاء ، نجد أن الإمام يؤكد كثيرا في حركته هذه على عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في الكثير من المواقف ، ويُعلن للمسلمين أن خروجه على بني أمية لم يكن من أجل أن ينال سلطانا أو ملكا ، وإنما ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وفي وصيته ( عليه السلام ) التي أودعها عند أخيه محمد بن الحنفية ، قبل الخروج من المدينة إلى مكة ،

يقول :

( إنِّي لم أخرج أشرا ولا بطرا ، ولا مفسدا ولا ظالما ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد )  
صلى الله عليه وآله . أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي محمد ، وسيرة أبي  
علي بن أبي طالب ( 2 ) .

وفي مكة ، كتب الإمام نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس بالبصرة ، جاء فيها :

( وأنا أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، وأن البدعة قد أحييت ، وإن تسموا

قولي وتطيروا أمري ، أهدكم سبيل الرشاد ) ( 3 ) .

( 1 ) الفوح لابن أعثم : 27 / 5 . وكذلك بحار الأنوار : 328 / 44 . مقتل الخوارزمي : 186 / 1 .

وكذلك مقتل المقوم : 130 . وكذلك نفس المهموم : 73 .

( 2 ) مقتل الخوارزمي : 188 / 10 . وكذلك الفوح لابن أعثم : 33 / 5 . وكذلك نفس المهموم :

74 . وكذلك معالم المدرستين : 61 / 3 . وكذلك بحار الأنوار : 329 / 44 .

(3) الطوي : 7 / 240 . وكذلك مقتل الموقم : 142 . 143 . وكذلك نفس المهموم : 90 .

### الصفحة 363

وفي متول ( البيضة (\*) ) ، في طريق العواق ، خطب الحسين ( عليه السلام ) في أصحابه وأصحاب الحرّ ، فقال :

( أيها الناس ، إن رسول الله قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطّوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، واحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحقّ من غير ) (1) .

وفي متول ( ذي حسم ) ( بالقوب من كوبلاء ) ، خطب الحسين ( عليه السلام ) بعد أن حمد الله وأثنى عليه قائلاً :

( إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وأنّ الدنيا قد تغيّرت وتكرّرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت جذاً ، فلم يبقَ منها إلاّ صباية كصباية الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون أنّ الحق لا يعملُ به ، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه ؟! لوغب المؤمنُ في لقاء الله محقاً ، فإني لأرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً ) (2) .

ومما يؤكدُ غم الإمام على الخروج والثورة ، أن الإمام صادر أموالاً كان قد بعثها عامل يزيد على اليمن إلى يزيد ( بالتنعيم ) بالقوب من مكّة المكمّمة . يقول الطوي :

(\*) البيضة : ما بين واقصة إلى عذيب الهجانات ، وهي أرض واسعة لبني يروع بن حنظلة .

(1) تريح الطوي : 7 / 300 . وكذلك نفس المهموم : 190 . وكذلك مقتل الموقم : 197 . 198 .

وفي بحار الأنوار . رواه باختلاف يسير ، بعنوان كتاب بعثه الإمام من كوبلاء إلى أشرف الكوفة . : 44 /

381 . 382 . وكذلك الفوح لابن أعثم : 5 / 143 . 144 .

( 2 ) الطوري : 7 / 300 . 301 . وكذلك بحار الأنوار : 44 / 381 . وكذلك نفس المهموم : 191 .

### الصفحة 364

( ثمَّ أنَّ الحسينَ أقبلَ حتَّى مرَّ بالتَّعظيمِ ، فلقى بها عيرا قد أقبلَ بها من اليمنِ ، بعثَ بها مجير بن ريسان الحموي إلى يزيد بن معاوية ، وكان عامله على اليمنِ ، وعلى العيرِ الورس والحلَّ ، ينطلقُ بها إلى يزيد ، فأخذها الحسينُ ، فانطلقَ بها . ثمَّ قال لأصحاب الإبلِ : ( لا أُوهكم ، من أحبَّ أن يمضي معنا إلى الواقِ أوفينا كِواءه ، وأحسناً صُحبته ، ومن أحبَّ أن يفارقنا من مكاننا هذا ، أعطيناها من الكِواءِ على قدر ما قطعَ من الأرضِ ) ( 1 ) .

\* \* \*

وعليه ، فإنَّ حركة الإمام ( عليه السلام ) . كانت ذات بُعدينَ : سياسي ، وحركي .

في البُعدِ الأوَّلِ ، كان هدف الإمام الحسين ( عليه السلام ) رفض البيعة ، وإعلان هذا الرفض على المجتمع الإسلامي . يوم ذاك . والاستفادة من الجانب الإعلامي للرفض .

وفي البُعدِ الثاني ، كان الإمام يُخَطِّطُ للخروج على النظام الحاكمِ ، وما يسمَّى اليوم بـ ( الثورة المسلَّحة ) ، والجهاد المُسلَّحَ ؛ بهدف تحريك المجتمع ضدَّ الظلم ، وإيقاظ الأمة ، وبعث روح الجهاد ومقاومة الظالم في نفوسهم ، ودفع الناس للثورة على الظالم وإسقاطه ، وكسر حاجز الخوف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذان البُعدان واضحان من كلمات الإمام ومواقفه في مسوِّه من المدينة إلى كِوبلاء ، كما رأينا طَوْفاً من ذلك في هذه الواسة .

وقد كان الإمام خلال هذه الحركة السياسيَّة الجهادية على بينة من أمرين اثنين ، لابدَّ أن نشيرُ إليهما ؛

لنتمكن من رسم الصورة الكاملة للمسورة الحسينية :

( 1 ) تزيخ الطوي : 7 / 277 . كذلك راجع : الكامل لابن الأثير : 4 / 40 . والبداية والنهاية : 8 / 166 . ومقتل الخوارزمي : 1 / 220 . ونفس المهموم : 171 . 172 . ومقتل المقوم : 181 .

### الصفحة 365

**الأمر الأول :** إنّ هذه الحركة . ببُعديها السياسي ، والحركي . غير قاوة على إسقاط النظام الأموي ، فقد كان النظام الأموي قوياً موهوب الجانب ، قد أعدّ له معلوية كل أسباب القوة والمنعة ، من مال وقوة عسكرية ، وإعلام ، وإلهاب ، وإدارة ، ولم يكن الإمام ( عليه السلام ) بقادر . بما كان يتهيأ له يوم ذاك من أنصار . أن يُقاوم قوة الشام المركزية ، بصورة أكيدة .

كما أنّ النظام الأموي استطاع خلال هذه المدة أن يخمد جنوة الثورة في نفوس الناس ، وأن يقنع الناس بأن من الخير لهم أن يؤثروا السلامة والعافية على الثورة والتورّد على النظام ، وأن يخلوا إلى الهوء والسكينة والسمع والطاعة ، ولا يُفكروا في شيء من أمور الدولة ونظامها ، ولا يبقوا لدعوات دعاة المعرضة . وقد أفلح معلوية بشكل خاصّ في تدجين الناس للنظام ، وتثبيت رهبة النظام وسطوته في نفوس الناس ، وتعويدهم على الاستسلام والوضوح .

وكان الإمام الحسين ( عليه السلام ) يعرف هذا جيداً ولا يجادل فيه ، ولم يكن يأمل أن يجد في العواق جيشاً قوياً ، يدعمه في موقفه ضد سلطان بني أمية ، ويتبنى دعوته لإسقاط النظام ، ويقف إلى جانبه ويثبت ، وكان يعلم جيداً أنّ هؤلاء الناس الذين تجمعوا لدعوته وبيعته وكتبوا إليه ، سوعان ما ينقشعون أمام قوة الشام والحكومة المركزية ، ولا يبقى معه غير قلة قليلة من شيعته ، الذين دبّ فيهم التفكك والضعف ، وروح الاستسلام والانهاضية .

ولقد كان الإمام ( عليه السلام ) يعرف ذلك أيضاً معرفة جيدة . ولم يكن خروج أخيه الحسن ( عليه السلام ) لقتال معلوية ، وما أصاب جيشه من التفكك والخيانة ، واضطراب الإمام الحسن لإيقاف القتال ، ببعيد عنه ، ولم يكن الإمام الحسين ( عليه السلام ) يتوقّع أن تنهي له من الظروف السياسية والقتالية أفضل مما توفرت لأخيه الحسن ( عليه السلام ) من قبل .

## الصفحة 366

### التحذير من الخروج إلى العواق :

ولم يكن يغيب عن الإمام الحسين ( عليه السلام ) ما كان راه ، ويُذكَرُه به الكثير من شيعته والناصحين والمُحِبِّين له ، ممن كان الإمام لا يتهمُ نصحهم وصدقهم ، وفهمهم لساحة العواق .

يقول ابن أعثم في ( الفوح ) ، والخورزمي في ( المقتل ) : ( قدم ابن عباس إلى مكة ، وقد بلغه أن الحسين ( عليه السلام ) غزم على المسير ، فأتى إليه ودخل عليه مُسَلِّماً ، ثم قال له : جعلت فداك ، إنه قد شاع الخبر في الناس ، ولرجفوا بأنك سائر إلى العواق . فقال : **( نعم ، قد رُمعتُ على ذلك في أيامي إن شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم )** ، فقال ابن عباس : أعيذك بالله من ذلك ، وأنت تعلم أنه قد قتل فيه أبوك ، واغتيل فيه أخوك ( 1 ) .

ودخل عليه عمر بن عبد الرحمان بن هشام المخزومي ، فقال : يا بن رسول الله ، إنني أتيتُ إليك لحاجة رُيدُ أن أذكوها ، فأنا غير غاشٍ لك فيها ، فهل لك أن تسمعها ؟ فقال الحسين : **( هات ، فوالله ما أنت عندي بسيء الوأي ، فقل ما أحببت )** .

فقال : قد بلغني أنك تريد العواق ، وإنني مشفق عليك من ذلك ، أنك تود إلي قوم فيهم الأبراء ، ومعهم بيوت الأموال ، ولا آمن عليك أن يُقاتلك من أنت أحب إليه من أبيه وأمه ؛ ميلاً إلى الدينار والروهم ، فقال له الحسين : **( جزاك الله خيراً يا بن عم ، فقد علمت أنك أمرت بنصح . ومهما يقضي الله من أمر فهو كائن ، أخذت وأيك أم تركته ) ( 2 )** .

ولم يكن الإمام يُكذِّب هؤلاء ، أو يتردد في كلامهم ، وقد كانوا يؤكِّنون للإمام

( 1 ) مقتل الخورزمي : 1 / 216 . وكذلك الفوح لابن أعثم : 5 / 111 . 112 .

( 2 ) الفوح لابن أعثم : 5 / 110 . 111 . وباختلاف يسير ، مقتل الخورزمي : 1 / 216 .



## الصفحة 367

أنَّ أهل العواق لا يثبتون طويلاً أمام جيوش الشام ، وأنَّ العاقبة لن تختلف عن عاقبة الجيش الذي صحب أخاه الحسن ( عليه السلام ) من قبل .

كان الإمام يتقبَّل كلَّ ذلك ويُصدِّقه ، من دون مناقشة أو تردد .

يقول الخوارزمي : إنَّ الإمام عندما بلغ ( ذات عرق ) ، في خروجه إلى العواق ، لقيه رجل من بني أسد ، يُقال له بشر بن غالب ، فقال له الحسين ( عليه السلام ) : ( **ممنَّ الرجلُ ؟** قال : من بني أسد .

قال : **فمن أين أقبلت ؟** قال : من العواق .

**قال : فكيف خلَّفت أهل العواق ؟**

فقال : يا بن رسول الله ، خلَّفت القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية .

فقال له الحسين : **صدقت يا أبا بني أسد . إنَّ الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ( \* )** .

وفي الطريق في متول ( الصفاح ) ، لقي الإمامُ الغزديّ بن غالب ( الشاعر ) ، فوافق حسينا فقال له : ( أعطاك سؤلك ، وآملك فيما تحبّ . فقال له الحسين ( عليه السلام ) : **بيِّن لنا نبأ الناس خلفك** ، فقال له الغزديّ : من الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ... والقضاء يقول من السماء ، والله يفعل ما يشاء .

فقال له الحسين ( عليه السلام ) : **صدقت ، لله الأمر ، ويفعل ما يشاء ، وكلّ يوم ربّنا في شأن ( 1 )** .

ولمّا بلغ عبد الله بن جعفر سفر الحسين ( عليه السلام ) إلى العواق ، أرسل إليه كتاباً مع ولديّة ، عون ومحمّد ، يُخوِّره بأنه خائف عليه من الوجه الذي يسير إليه

( \* ) مقتل الخوارزمي : 1 / 220 . 221 . وكذلك مثير الأخوان لابن نما : 31 . وكذلك المقتل للمقوم :

( 1 ) تزيخ الطوي : 7 / 277 . 278 . وكذلك بحار الأنوار : 44 / 365 . وكذلك إرشاد المفيد : 218 .  
وكذلك مقتل المقوم : 182 . والكامل : 4 / 40 . وكذلك الفوح لابن أعثم : 5 / 124 .

وبين النصّ الأول وبين النصوص اختلاف يسير .

### الصفحة 368

( العواق ) ( 1 ) ، فلم يثنّ الإمام عن غومه .

ومع هذه التأكيدات التي ذكرنا طرفاً منها هنا ، فإنّ من غير المعقول أن يغيب عن الإمام ما كان يعرفه هؤلاء الناس ، الذين لم يكن الإمام يشكّ في نصّهم وصدقهم وحبهم له .

فلم يكن الإمام . إذن . يطمح في إسقاط نظام بني أمية بهذه القوة التي تطوّعت له في العواق ، وكلّ القوائن التزيخية التي رافقت خروج الإمام تنفي هذا الاحتمال من الأساس .

إذن ، لم يُفكّر الإمام في خروجه إلاّ بتوعية الرأي العام ، وإثارة سخط الناس ضدّ حكم بني أمية ، وتثوير المجتمع الإسلامي وتحريكه ضدّ سلطان بني أمية ، دون الإسقاط المباشر .

**والأمر الثاني :** إنّ الإمام ( عليه السلام ) كان مُصمّماً على الشهادة ، عالماً بأنّ غاية خروجه هذا هي الشهادة في سبيل الله ، وكلّ القوائن التي رافقت حركة الإمام ( عليه السلام ) تؤكد هذه الحقيقة .

فلم يكن من الممكن أن يترك بنو أمية الحسين ( عليه السلام ) مُعلنارفضه للبيعة ، خرجاً على بني أمية في رفضه وامتناعه عن البيعة ، ولم يكن الإمام يقبل بالتزلزل عن رفضه للبيعة وإعلانه لرفضه ، وخروجه على يزيد ، مهما بلغ الأمر ، في وقت لم تكن له قوّة تحميه .

فليس بُدّ . إذن . من الشهادة ، إلاّ أن يتنزل الحسين ( عليه السلام ) عن رفضه للبيعة والخروج على يزيد ، وينتقل بيعة يزيد ، أو يعرقل الساحة السياسية إلى بعض شعاب الجبال أو الوادي ، وهو ما كان يرفضه الإمام رفضاً قاطعاً وأكيداً لا يقبل المناقشة ، وكلمات الإمام في هذه المسورة صريحة أيضاً على غومه الأكيد على

الإقدام على الشهادة .

ونذكر فيما يلي بعض النصوص :

( 1 ) الكامل : 40 / 4 . وكذلك الطوي : 279 / 7 . وكذلك الفوح لابن أعثم : 5 / 115 . وكذلك الإرشاد للمفيد : 219 ، مكتبة بصوتي . قم .

### الصفحة 369

وَأولاً : كان الإمام الحسين ( عليه السلام ) قد وعد أخاه محمد بن الحنفية ، بأن ينظر في رأيه في الإغراض عن الواق ، فلما غادر ( عليه السلام ) مكة متوجهاً إلى الواق ، جاءه محمد بن الحنفية ، وأخذ يرمم ناقته ، واستخذه الوعد ، فقال :

يا أخي ، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟! ، قال : بلى . قال : فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال : أتاني رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بعدما فارقتك ، فقال : يا حسين ، اخرج ، فإن الله شاء أن يراك قتيلًا .

فقال محمد بن الحنفية : إننا لله وإننا إليه راجعون ، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك ، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟! .

قال : فقال لي ( صلى الله عليه وآله ) : إن الله قد شاء أن يراهن سبأيا .

فسلم عليه ومضى ( 1 ) .

ثانياً : لما عزم الإمام على الخروج من المدينة ، أتته أم سلمة رضي الله عنها . فقالت : ( يا بني ، لا

تخرني بخروجك إلى الواق ، فإنني سمعت جدي يقول : يُقتل ولدي الحسين بروض الواق ، في أرض يقال لها

كربلاء .

فقال لها : يا أمّاه ، أنا والله أعلم ذلك ، وأنّي مقتول لا محالة ، وليس لي من هذا بدءٌ ( 2 ) .

ثالثاً : في الليلة الثانية ، أو الثالثة ، من دعوة الوليد الإمام إلى البيعة ، ذهب الإمام إلى قبر جدّه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وقضى الليل كلّهُ في الصلاة والدعاء ، حتى إذا كان في بياض الصبح ، وضع رأسه على القبر ، فأغفى ساعة ، فأوى النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) قد أقبل في كوكبة من الملائكة ... حتى ضم الحسين ( عليه السلام ) إلى صوره ، وقبّل بين عينيه ، وقال : ( يا بُنيّ يا حسين ، كأنّي عن قريب رَأك مقولاً مذبوحاً برّض كرب وبلاء

( 1 ) الملهوف : 56 . وكذلك بحار الأنوار : 44 / 364 . وكذلك نفس المهموم : 164 . 165 . وكذلك مقتل الموقّم : 174 .

( 2 ) بحار الأنوار : 44 / 331 .

وقريباً من هذا المضمون ، في إثبات الوصية : 141 . ونفس المهموم : 77 . ومقتل الموقّم : 135 .

### الصفحة 370

من عصابةٍ من أمّتي ، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى ، وظمآن لا تروى ، وهم مُع ذلك يرجون شفاعتي ، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة ( 1 ) .

رابعاً : روي أنّ الإمام الحسين ( عليه السلام ) لما غزم على الخروج إلى العواق من مكّة ، قام خطيباً فقال : ( الحمد لله ، وما شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، وصلى الله على رسوله وسلم .

خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي ، اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات ، بين النواويس وكربلاء ، فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً ، وأجربة سغباً ، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم .

رضا الله رضانا أهل البيت . لن تشدّ عن رسول الله لُحمته ، وهي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقرُّ

بهم عينه ، وتنجز لهم وعده ، مَنْ كان فينا باذلاً مهجته ، موطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فإني راحل مُصباحاً إن شاء الله تعالى ) ( 2 ) .

خامساً : يقول الإمام الصادق ( عليه السلام ) : ( لَمَّا مضى الإمام متوجّهاً ، دعا بقروطاس وكتب فيه إلى بني هاشم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، إلى بني هاشم .

أما بعد ، فإنه من لحق بي منكم استشهد ، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ

( 1 ) الفوح لابن أعثم : 5 / 27 . 28 . وقد أورد هذه الرواية آخرون :

كالمقتل للخوارزمي : 1 / 186 . 187 . والمجلسي في البحار : 44 / 328 . وكذلك نفس المهموم : 72 .  
73 . وكذلك مقتل المقوم : 130 . 131 . ورؤيت الرواية أيضاً في معالم المدرستين : 2 / 185 . 186 . ط 1  
، 1405 هـ .

( 2 ) بحار الأنوار : 44 / 366 . 367 . وكذلك اللهوف : 52 . 53 . وكذلك نفس المهموم : 163 .  
وكذلك معالم المدرستين : 2 / 199 . وكذلك نواعج الأشجان للسيّد محسن الأمين ، مكتبة بصوتي : 63 .  
وكذلك الوثائق الرسمية لثورة الحسين : 77 و 78 ، دار التعارف للمطبوعات .

## الصفحة 371

الفتح والسلام ) ( 1 ) .

سادساً : كتب الإمام من كويلاء إلى أخيه محمد بن الحنفية :

( بسم الله الرحمن الرحيم .

من الحسين بن علي ( عليه السلام ) ، إلى محمد بن عليّ ، ومن قبله من بني هاشم .

أما بعد ، فكأن الدنيا لم تكن ، والآخرة لم تزل ، والسلام ) ( 2 ) .

فالإمام إذن ، كان قد خرج بدافع إعلان رفض البيعة ، وإعلان الثورة على يزيد ، ولم تكن لدعوة أهل العواق أثر في مسوأة الحسين ( عليه السلام ) وحركته ، إلا بقدر ما يتعلق بتحديد الجهة في حركة الإمام وسيره .

ولما تبيّن الإمام أن القوم قد انقلبوا عن رأيهم وموقفهم ، عندما اعترضه الحرُّ بن يزيد الرياحي بجيشه ، عرض عليهم الحسين أن ينصرف عنهم إلى حيث يشاء من الأرض ، على أن يختار هو ( عليه السلام ) الجهة التي يريدونها ، لا أن تُفوض عليه من قبل ابن زياد .

وقد عرض الإمام ( عليه السلام ) هذا الأمر على الحرِّ موتين يوم اللقاء ، موة بعد صلاة الظهر ، وموة بعد صلاة العصر (3) .

وليس في كلام الإمام هذا إشارة إلى أنه إن انصرف عن العواق فسوف يكفّ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودعوة الناس للثورة ضدّ سلطان

(1) اللهوف : 57 . وكامل الزيارات : 75 . والمقتل للمقوم : 48 . ونفس المهموم : 75 .

وفي الروايات اختلاف يسير في النصّ .

(2) كامل الزيارات : 75 ، المطبعة المتضوية في النجف ، 1956 . وكذلك مثير الأخوان للجواهري :

. 48

(3) الفوق لابن أعثم : 5 / 135 . 137 . وكذلك الإرشاد للمفيد : 224 . 225 . ونفس المهموم : 188 .

. 190

إلا أن رواية الإرشاد حدّدت الموتين ، قبل صلاة الظهر وبعد صلاة العصر من نفس اليوم ، واتبعه في ذلك الشيخ عبّاس القميّ في نفس المهموم .

بني أمية ، أو يحتجب وأيه وموقفه السلبي تجاه بني أمية في بعض شعاب الجبال أو ثغور المسلمين .

ولم يتعهد الإمام للحزب يوم ذاك بشيء من هذا ، وإنما طلب منه أن يتنحى عنه ، حتى ينصرف إلى حيث يشاء من أرض الله الواسعة . وقد ذكرنا قبل هذا كلمة عقبة بن سمعان . التي رواها الطوي . في امتناع الحسين ( عليه السلام ) من أن يضع يده بيد يزيد ، أو يعقل الناس في ثغر ناء من ثغور المسلمين .

إذن ، كان الحسين ( عليه السلام ) مقدماً على إعلان الخروج على يزيد على كل حال ، وكان يبحث عن الفرصة التي تهيئ له هذا الإعلان ، ووجد في دعوة أهل العواق وبيعته هذه الفرصة ، وكان على يقين أن هذا الموقف السياسي والثوري سوف يكلفه نفسه ، والنخبة الصالحة من أهل بيته وأصحابه ، ولم يكن من ذلك بد ، ولذلك فقد قدم الإمام على الشهادة ، راضياً مظمناً ألبال .

وكان هناك من شيعة الإمام الناصحين له من كان يحمل رأياً آخر ، يختلف عن رأي الإمام ، ويعتقد أن الإمام إذا خرج وقتل ، انتهكت بقتله حرمة الإسلام ، ولا يحترم بعده بنو أمية أحداً من وجوه المسلمين وأعلامهم ، ومن هؤلاء ابن عمه عبد الله بن جعفر ، وكان ممن لا يشك الإمام في صدقه ونصحه .

رُسل إلى الإمام كتاباً مع ولديه ، عون ومحمد . كما أسلفنا . ، والإمام في طريقه إلى العواق ، يقول فيه

للإمام :

( فإني مشفق عليك من هذا الوجه ، أن يكون فيه هلاكك ، واستئصال أهل بيتك .

إن هلكت اليوم ، أطفى نور الأرض ، فإنك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير ، فإني في

أثر كتابي ( 1 ) .

( 1 ) الكامل : 4 / 40 . وكذلك الطوي : 7 / 279 . والبداية لابن كثير : 8 / 163 . وكذلك الإرشاد

للمفيد : 219 . وكذلك بحار الأنوار : 44 / 366 . وكذلك مقتل المومّم : 174 . 175 . وكذلك مقتل

الخورزمي : 1 / 218 . وكذلك لواعج الأشجان : 77 و 78 .

### الصفحة 373

ومنهم عبد الله بن مطيع العنوي ، التقى الإمام في الطريق إلى العواق ، على ماء من مياه العوب ، فقال

للإمام :

( بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ، ما أقدمك ؟ فقال له الحسين ( عليه السلام ) : ( كَتَبَ إِلَيَّ أَهْلُ الْعَوَاقِ ،

يَدْعُونِي إِلَى أَنْفُسِهِمْ ) . فقال له عبد الله بن المطيع : أَدْرَكَكَ اللَّهُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَحُرْمَةُ الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَنَهَكَ

... فَوَ اللَّهُ لئن طَلَبْتَ مَا فِي أَيْدِي بَنِي أُمِيَةٍ لَيَقْتُلَنَّكَ ، وَلئن قَتَلْتُوكَ لَا يَهَابُونَ بَعْدَكَ أَحَدًا أَبَدًا ) ( 1 ) .

وكان الإمام ( عليه السلام ) يرى على خلاف هؤلاء ، أن الشهادة هي الفتح ، وأن هذه الأمة لا يمكن

تحريكها ، ولا يمكن أن تُبْعَثَ فيها الحياة والحركة والغرم من جديد إلا بشهادته ، وشهادة النخبة الطاهرة من أهل

بيته وأصحابه . وقد كتب بذلك إلى أخيه محمد بن الحنفية :

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ لَحِقَ بِي اسْتَشْهَدَ ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يَبْرِكْ الْفَتْحُ ، وَالسَّلَامُ ) ( 2 ) .

وليس من الممكن الإجابة بأفضل من هذا الجواب ، فمن لحق بالحسين ( عليه السلام ) لا بد أن يستشهد ،

ومَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِ فَاتَتْهُ الشَّهَادَةُ ، وَهِيَ الْفَتْحُ الَّذِي لَا يَشُكُّ بِهِ الْحُسَيْنُ ؛ عِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا فِي امْتِدَادَاتِهَا الْبَعِيدَةِ ،

وَالنَّتَائِجَ الَّتِي تُحَقِّقُهَا فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ .

فولاً شهادة الحسين ( عليه السلام ) ، والنخبة المؤمنة التي خرجت معه إلى العواق ،

( 1 ) الطوي : 7 / 290 . وكذلك بحار الأنوار : 44 / 371 . وكذلك نفس المهموم : 179 . وكذلك

معالم المرستين : 2 / 202 . وجاء في المصدر السابق : 3 / 63 ( لا يهابون بعدك أحداً أبداً ) .

( 2 ) كامل الزيارات لابن قولويه : 75 / الباب الثالث والعشرون . وكذلك اللهوف : 57 . وكذلك مقتل



### الصفحة 374

والهوّ العميقة التي أحدثتها في وجدان الأمة وضمورها ... لمضى بنو أمية فيّ غيهم وطيّشهم ، وعبثهم بمقورات الأمة ورسالتها .

بيد أن شهادة الحسين ( عليه السلام ) أعادت الأمة إلى وعيها ورشدها ، وأحستّها بمسؤوليتها الشرعية في مواجهة طغيان بني أمية وضلالهم .

يقول الشيخ جعفر التّستوي ( رحمه الله ) في كتابه القيمّ ( الخصائص الحسينية ) :

( فلو كان الحسين يُبايعهم [ بني أمية ] تقيّةً ، ويسلمّ لهم ، لم يبق من الحق أثرٌ ، فإن كثرا من الناس اعتقوا أنّه لا مخالف لهم في جميع الأمة ، وأنهم خلفاء النبي ( صلى الله عليه وآله ) حقا .

فبعد أن حاربهم الحسين ( عليه السلام ) ، وصدر ما صدر إلى نفسه ، وعياله وأطفاله ، وحرم الرسول ، تنبّه الناس لضلالتهم ، وأنهم سلاطين الجور ، لا حجج الله وخلفاء النبي ( صلى الله عليه وآله ) ( 1 ) .

وقد سأل إراهيم بن طلحة بن عبد الله الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) ، عن الغالب في معركة الطفّ ، حين الرجوع إلى المدينة ، فقال الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) :

( إذا دخل وقت الصلاة ، فأذن وأقم ؛ تعرف الغالب ) ( 2 ) .

وجواب الإمام السجاد ( عليه السلام ) دقيق متين ، لمن يتمكّن أن ينفذ من ظواهر الأحداث وسطحها إلى الأعماق ، وعندما يتمكّن الإنسان من رؤية الامتدادات والنتائج البعيدة للأحداث .

( 1 ) الخصائص الحسينية للشيخ جعفر التستوي : 44 ، المطبعة الحيدرية في النجف . 1956م .

( 2 ) مقتل المقّم : 48 . عن أمالي الشيخ الطوسي : 66 ، مكتبة الدلوري . قم .

## الصفحة 375

### عاشوراء (ودّ) و (قنوة)

\* ودّ يقذفه الله في قلوب المؤمنين ،

وقنوة في حياتهم

\* عصمة الإمام

\* شهادة رسول الله والأمة الشاهدة

## الصفحة 376

## الصفحة 377

### عاشوراء (ودّ) و (قنوة)

**ودّ يقذفه الله في قلوب المؤمنين وقنوة في حياتهم :**

إنني ألمس في تفاعل الجماهير مع (عاشوراء) أمرين ، لا أشكّ فيهما مهما شككت في شيء :

ألمس يد الله عزّ وجلّ في هذا التلاحم العجيب بين الجماهير وعاشوراء ، فلا يكاد يتم هذا التلاحم والتعاطف

والتفاعل بصورة عفوية ، وصدفة ، ويوم ويستمرّ بهذه الترجة من القوة ، لو لم تتدخلّ الإرادة الإلهية في

تحريك جماهير المؤمنين باتجاه عاشوراء ، وربط عواطف جمهور المؤمنين ومشاعرهم بهذا اليوم .

**الودّ الذي يجعله الرحمان للذين آمنوا :**

إنّ حبّ الصالحين ومودتهم ، أمر يقذفه الله تعالى في قلوب عباده ، ولا يمكن أن يصنعه الناس ، أو ينزّعه

والأساليب الإعلامية المتطورة قد تحرك عواطف الناس باتجاه معين ، وتخلق موجة من العواطف والأحاسيس تجاه شخص ، وتوقع شخصاً من حالة الخمول إلى قمة المجد أياماً أو سنين ، وتحيطه بهالة من العواطف والمشاعر والأحاسيس .

ومن الممكن أن تخدع وسائل

### الصفحة 378

الإعلام عواطف الناس وأحاسيسهم ، ولكن ذلك شيء يختلف اختلافاً كبيراً وكثيراً عن حالة التعاطف والتفاعل الوجداني العميق ، المستنورة والثابتة في قلوب المؤمنين ، كما كانت تختلف عصا موسى ( عليه السلام ) عما كان يصنعه سحرة فعون ، عندما حاولوا أن يعرضوا معجزة موسى ( عليه السلام ) بسحورهم .

وهذا هو الودّ والحبّ الذي يجعله الله للصالحين في قلوب عباده :

( **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ) (1) :

وهذا الودّ المتميز هو مما يجعله الله تعالى في قلوب عباده ، وليس للإنسان دور في ذلك ، إلا أن يعد نفسه لذلك إعداداً ، ويجعل نفسه في موضع نزول الرحمة الإلهية .

وقد كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يعلم علياً ( عليه السلام ) أن يقول في دعائه ( **اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي في قلوب المؤمنين وداً** ) (2) .

فإن الله تعالى يتصوّف في قلوب عباده كما يشاء ، وقد ورد في الرواية : أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمان (3) .

ولا شك أن للقلوب جذباً ودفعاً ، فقلوب الصالحين تتجذب للصالحين وتحبّ الصالحين ، وتتفر من الفاسدين وتوأم منهم ، والقلوب الفاسدة تتجذب لأمثالها ، وتتفر من الصالحين . وهذا الجذب والدفع من خلق الله تعالى وصنعه .

ونحن نعلم ، علم اليقين ، أنّ الله تعالى يتصوّف في قلوب عباده كما يُحِبُّ وَيُشَاءُ ، ويبعث فيها ما يشاء من حُبِّ ونفور ، وإقبال وإدبار ، واستجابة وإعراض ، كما يصنع الله تعالى في سائر ملكه وسلطانه .  
والتعبير القوّاني دقيق ورقيق في هذا المجال .

(1) مريم : 96 .

(2) تفسير المizan : 14 / 115 ، ط بيروت .

(3) ( قد سمعت هذه المأثرة كثيراً . ولم أعرّ عليها في مظانّها من كتّاب الحديث .

### الصفحة 379

( ... وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ... ) (1) .

ولكلّ امرئ ما يشتهيهِ ويكرهه ويحبهُ ويبغضه ، وهذا قوام شخصية ( الإنسان ) ، والحبُّ والبغض ،  
والوغبة والنفور ، من فعل القلب ...

ومع ذلك ، ومع هذا الالتصاق الشديد بين ( المرء وقلبه ) فإنّ الله تعالى ( يحولُ بين المرء وقلبه ) .

ولأعرف تعبيراً أبلغ من هذا التعبير في نفوذ سلطان الله تعالى على القلوب ، وانقياد القلوب ورضوخها  
لمشيئة الله تعالى وصنعه وفعله .

وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة ، عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) : أنّ الإنسان قد يشتهي شيئاً  
بسمعه وبصره ، فإذا أراد أن يَغشى شيئاً منه أنكوه قلبه (2) .

ومهما أنعم الإنسان النظر ، فلا يكاد يبلغ عمق هذا التعبير القوّاني ، في نفوذ سلطان الله تعالى ومشيئته على  
القلوب .

فهذه القلوب . التي يقول عنها الإمام الصادق ( عليه السلام ) : ( زالة الجبال أهون من زالة قلب عن

**موضعه ( 3 )** . تستجيب هكذا ، طائعة ومُنقادة لمشيئة الله تعالى ، وينفذ فيها أمر الله تعالى نفوذاً مطلقاً ، في الحُبِّ والبغْض ، والإقبال والإدبار ، والاستجابة والإعراض ، والرغبة والكراهية . ويصنع الله تعالى فيها ما يشاء وما يُحبُّ ، كما يصنع في سائر ملكه وسلطانه .

وليس من مؤمن صالح ، أو مُتكبِرٍ طالح ، إلا كان قلبه تحت نفوذ سلطان الله تعالى ، وأمره المباشر .

(1) الأنفال : 24 .

( 2 ) ( بحار الأنوار : 58 / 70 ) أوردت الرواية بالمضمون ، ونصّ الرواية : ( يشتهي الشيء بسمعه وبصره ولسانه ويده ، أما أنه لا يغشى شيئاً منها ، وإن كان يشتهيهِ ، فإنه لا يأتيهِ إلا وقلبه منكراً ، لا يقبل الذي يأتي ، يعرف أنّ الحقّ ليس فيه ) .

(3) بحار الأنوار : 197 / 78 .

### الصفحة 380

وقد حكى لنا القرآن الكريم كيف جعل الله عزّ وجلّ في قلب فُوعن حبّ موسى ( عليه السلام ) ، منذ أن التقطه من البحر ، وكيف ألقى الله عزّ وجلّ حبّ موسى ( عليه السلام ) على قلب عدوه فُوعن (1) .

ولست أشكّ أنّ هذا الالتحام والتفاعل ، الذي يشدّ جَمهور المؤمنين بيوم عاشوراء ، شيء من أمر الله تعالى ، وإرادة الله تعالى ، هيأ له أسبابه .

**عاشوراء قُوة للجَمهور في حركته إلى الله :**

والأمر الآخر الذي ألمسه في هذا الانشداد والتفاعل الجمعي العجيب هو : أنّ الجَمهور يجد في ( عاشوراء ) شيئاً يتفاعل مع ضميره وعقله وقلبه ، ويجد في هذا اليوم بُغيته التي يطلبها في حركته ومسيرته .

فإنّ الناس يحتاجون في حركتهم الشاقّة إلى الله في الحياة الدنيا إلى ( توجيه ) وإلى ( مثال ) ، يقتنون به ،

ولا يكفي التوجيه وحده . والإنسان يحتاج دائماً إلى مَنْ يرشده ويعلمه ، وهذه ضرورة لا نقاش فيها . ولكنه يحتاج أيضاً إلى مَنْ يتقدمه ليمشي خلفه باطمئنان وثقة .

وهذا الاطمئنان والثقة في الحركة ، لا يصنعه التوجيه والإرشاد وحده ، وإنما يصنعه الذي يتقدم المسيرة بنفسه ، ويكون قوة ومقياساً ومعيلاً عينياً متجسداً ، في حركة واقعية على طريق العاملين .

والناس في مسيرة الحياة ، كما ( يطلبون المعلم ) والموجه ، يطلبون ( القوة ) والمثال أيضاً ، فإن الحركة إلى الله تعالى شاقّة وعسيرة وكادحة ، وعندما تكون الحركة شاقّة وكادحة ، لا يكفي التوجيه وحده ، وإنما يحتاج الإنسان إلى قُوة أمامه ، يضع خطاه في موضع خطاه ، ويسير من خلفه .

إنّ الحركة الكادحة إلى الله ، تختلف عما يتلقاه الطلبة في المعاهد والمدارس من

(1) طه : 39 .



## الصفحة 381

العلم ؛ فإن العلم لا يحتاج إلى أكثر من ( المعلم ) ، وأما السير والحركة إلى الله ، واجتياز عقبات ( الهوى ) و ( الطاغوت ) ، واقتحام أهوال الطريق ، فلا يُؤدِّي فيه ( المعلم ) إلا نورا ناقصا ، ولابد من قُتوة ومثال على الطريق ؛ ليعث الثقة والطمأنينة والشجاعة في نفوس العاملين .

إنَّ الحركة إلى الله تتطلب الكثير من الإخلاص والوعي واليقين ، والتضحية والعطاء والقيم ، ولابد من أن يتجسّد كل ذلك في ( القنوة ) بصورة عينية وحقيقية ، وماثلة أمام أعين العاملين .

ولابد أن يروا ( القنوة ) من الشك ، والضعف والزلل والآنكسار ، والهزيمة النفسية أمام العقبات وأهوال الطريق . ولابد أن يتجسّد في القنوة كلما تتطلبه هذه الحركة من قوة رُوحية وثقة عالية بالله ، تمكن الإنسان من مواجهة وتحدي العقبات ومتاعب الطريق .

إنَّ ( القنوة ) في هذه الحالة ، تكون له قيمة توجيهية وحركية عالية في تحريك الأمة ، ويعتبرُ عاملا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في حركة المجتمع .

إنَّ في نفوس الناس خرا وشوا ، وقوة وضعفا ، وإيمانا وشكا ، وثقة وقلقا ، وشجاعة وجبنا ، وإقداما وتراجعا ، وتختلط هذه المعاني في نفوس الناس ب درجات مختلفة ، ونقاط الضعف هي العقبات الداخلية في نفوس العاملين ؛ ولكي يتغلّبوا على نقاط الضعف هذه في نفوسهم ، لابد لهم من صور مثوقة متكاملة ، تخلص من نقاط الضعف هذه .

وعندما لا يجد الإنسان هذه الأمثلة على ساحة الحركة ، يلجأ إلى التجريد والتخيل ؛ لتكتمل الصورة ، تماما كما يعمل الإنسان لتكميل النقص الواقع في قوس الدائرة في خياله ، فيلجأ إلى التجريد الخيالي لإواز هذه الصورة التي يحتاجها في حركته .

وهذا هو الدور الذي يقوم به الشعر والفن ، في رسم الصورة التجريدية للقنوة

## الصفحة 382

التي يحتاجها الإنسان في حركته وعمله .

وهذه الحاجة ، ما دامت حاجة حقيقية في حركة الإنسان المسلم إلى الله ، فلا بد أن يكون له موضع مشخص وواضح في المنهاج الإلهي لهداية الإنسان وحركته .

ولا يمكن أن تُهمل العناية الربائية حاجة أساسية للإنسان في الحركة مثل هذه الحاجة ، وهو سبحانه يقول :  
( الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) (1) .

فلا يمكن أن يخلو منهج الخلق والهداية من عنصر أساسي وضروري في حركة الإنسان .

### عصمة الإمام :

وهذا هو أحد المنطلقات العقلية للقول بعصمة الأنبياء والأوصياء ( عليهم السلام ) .

إنَّ العصمة هي الصورة الواقعية المتكاملة للإنسان ( القوة ) ، والتي يحتاجها الناس في حركتهم وكدهم إلى الله في ساحة عملهم ، ولأمرٍ ما ، جعل الله ( عزَّ وجلَّ ) الأنبياء والأئمة معصومين في مسورة حركة الإنسان ، وفي ساحة حياته وعمله ، وجعل منهم قنوات للتأسي والافتداء ؛ ليكونوا أمثلة عينية وواقعية ومتحركة في واقع الحياة .

### لن يكون الظالم إماماً للناس :

وبعد أن منَّ الله تعالى على عبده وخليله إراهيم ( عليه السلام ) ، فجعله إماماً للناس ، طلب إراهيم ( عليه السلام ) من الله تعالى أن يجعل الإمامة في نريته ، فاستثنى الله تعالى من نويته الذين تلبسوا بالظلم ، فلا يمكن أن ينالهم عهد الله تعالى ، ولا يمكن أن



يكونوا أئمة للمسلمين .

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ ) ( 1 ) .

فالإمام لا بُدَّ أن يكون قنوة للناس ، يقتدي به الناس في حياتهم ، ومن يتلبس بالظلم على نفسه أو على الآخرين ، لا يستطيع أن يكون مثلاً يتقدم الآخرون ، ويقتدي به الناس .

الدعوة إلى الاقتداء بالصالحين :

وتكتمل هذه الصورة في المنهاج الإلهي ، في تربية الناس وتوجيههم بالآيات التي تدعو الناس إلى أن يجعلوا من أنبياء الله ورسله قنوة لهم ، وأسوة في العمل والحركة والقول والفعل . يقول تعالى لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) وللمؤمنين . بعد أن يذكر أسماء جملة من الأنبياء والمؤسّلين بتفصيل . : ( **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ**

**فَبِهَدَاهُمْ أَخْتَدُهُمْ...** ) ( 2 ) .

ويدعو الله تعالى المؤمنين أن يجعلوا من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أسوة حسنة لهم :

( **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ) ( 3 ) .

ويدعونا الله تعالى أن نجعل من إبراهيم ( عليه السلام ) ومن معه من المؤمنين الصالحين قنوة وأسوة :

( **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...** ) ( 4 ) .

( 1 ) البقرة : 124 .

( 2 ) الأنعام : 90 .

( 3 ) الأزاب : 21 .

### الصفحة 384

#### العناصر الثلاثة الضرورية في الحركة :

ولكي تكتمل هذه الصورة التي رسمناها لموضع القوة في حركة الناس إلى الله تعالى ، نقول :

إنَّ الحركة إلى الله تتطلب ثلاثة عناصر أساسية ، يولاهها الله تعالى ، ويعدها للناس في أنبيائه ورسله ، ومن يختلهم الله تعالى ويحببهم أئمةً للمسلمين ، وهي :

**وَأَوَّلًا :** الهداية والتوجيه ، والتركيب والتعليم . وينهض الأنبياء في هذا الأمر بِنور المُعلِّمِ والمُرَبِّيِّ ، لتركيب الأمة وتربيتها وتعليمها .

( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) (1) .

( لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) (2) ؛

**ثانيًا :** القيادة والولاية والإمامة . وهذه مهمة أخرى ، تختلف عن المهمة الأولى ، ضرورة وأساسية قي توجيه المجتمع وحركته إلى الله ، فلا تتم هذه الحركة من دون قيادة وطاعة .

( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ) (3) .

( مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ... ) (4) .

(1) الجمعة : 2 .

(2) آل عمران : 164 .

(3) المائة : 55 .

(4) النساء : 80 .

### الصفحة 385

(وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) (1) .

(... وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ...) (2) .

ثالثاً : القنوة والأسوة . وهو العنصر الضروري الثالث في هداية الإنسان وحركته ، والتي يقولها الله تعالى ويُعدّها لعباده في أنبيائه ورسله ، ومن يختار ويجتبي لعباده من الأئمة . ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ) (3) .

وهذه الثلاثة لأبدٍ منها جميعاً ، وفي إطار واحد ؛ ليكُمّل بعضها بعضاً ، ولْيؤدّي جميعها مهمة توجّيه الإنسان إلى الله .

### شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأمة الشاهدة :

وإلى هذا المعنى يُشير القرآن الكريم ، حيث يتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهيداً على هذه الأمة ، ويتخذ هذه الأمة شهيدة على الناس أجمعين ، يقول تعالى :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (4) .

وفي الآية الكريمة يتخذ الله تعالى الرسول (صلى الله عليه وآله) شاهداً على هذه الأمة ، كما يتخذ هذه الأمة شاهدة على الناس .

والشاهد هنا بمعنى : القنوة (5) ، بقريئة السياق ، فإنّ شهادة الأمة على الناس لا تستقيم إلا بهذا المعنى

الذي ذكرناه ، وشهادة الرسول (صلى الله عليه وآله) على الأمة تأتي

(1) النساء : 69 .

(2) النساء : 59 .

(3) الأخاب : 21 .

(4) البقرة : 143 .

(5) راجع من التفاسير : تفسير نمونه : 1 / 355 . والمنار : 2 / 5 .

### الصفحة 386

بنفس السياق (1) .

فهذه الأمة . بمجموعها . قنوة للناس جميعا ، حيث جعلها الله تعالى أمةً وسطاً ، لا تقيط فيها ولا إفاط ، ولا تجنح إلى اليمين ولا إلى اليسار ، ولا تحكم فيها الزعة المادية البحتة ، ولا الزعة الروحية الخالصة .

والخطاب للأمة ككل ، وليس إلى أفراد الأمة ، والأمة بهذه الصفة وفي هذا الموقع الوسط من حضرة الإنسان ، مؤهلة من جانب الله تعالى لأن تكون قنوة وشاهدة على الناس جميعا ، وأن يجد فيها الناس مثالا عينيا واقعيًا ، للاعتدال والاستقامة على منهج الله في الحياة .

كما أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قنوة لهذه الأمة المسلمة ، في علاقته بالله تعالى ، وفي علاقته بالناس ، وفي سلوكه وحركته وعمله وقوله وفعله .

الأمة الشاهدة معيار للقياس :

والتعبير بالشهادة عن القوة ، من التعبيرات القوانية المتميزة الخاصة بالقوان ، وكأن هذه الأمة في موقعها الحضري الوسط ، تصلح أن تكون معياراً لتشخيص الموقع الحضري الصحيح في الحياة ، وشاهدة على ألوان الانحرافات الحضريّة في حياة الإنسان .

فكلما يتقدم هذا الموقع الحضري الوسط ، فهو انحراف ، وكلما يتأخر عن هذا الموقع الوسط ، فهو من

الانحراف ، والشاهد على هذه الانحرافات هو : الموقع الوسط الذي أحلّ الله تعالى فيه هذه الأمة ، تماماً كما

تشهد الوحدة القياسية

( 1 ) تفسير السيّد الطباطبائي في الميزان : 2 / 320 . 323 ، ط بيروت .

الشهادة هنا بمعنى : تلقّي الشهادة وأداءها إلى الله يوم القيامة ، كما يقرب من هذا المنحى الشيخ البلاغي في

( آلاء الرحمن ) : 133 ، مطبعة العرفان ، صيدا . 1933 م . وتفسير الكاشف : 1 / 124 و 5 / 353 .

### الصفحة 387

بالزيادة والنقصان في الكمّيّات التي تقاس بها ، فإننا لا نستطيع أن نفهم بالنظرة الأولى الزيادة والنقصان في الكمّيّات بشكل دقيق ، ولكن عندما نقيس هذه الكمّيّات بالوحدات القياسية ، نستطيع أن نشخص الزيادة والنقصان ( بشهادة ) هذه الوحدات القياسية بشكل دقيق .

وكذلك هذه الأمة في موقعها الحضري الوسط ، تصلح أن تكون شاهدة على انحرافات الناس ، وأداة لتشخيص هذه الانحرافات ، ومقياساً للتصحيح والتعديل ، والتهديب والإصلاح .

ولابدّ في هذا الخضمّ الهائج ، من الأفكار والاتجاهات ، والأهواء والزاعات ، من وجود أمة فيّ موقع حضريّ وسط على وجه الأرض ، يقيس الناس أنفسهم بها ، وتشهد على الناس في انحرافاتهم وزيفهم وشطّطهم .

وأقول : أمة ولا أقول أواداً وجماعات ؛ ففي هذه الأمة أيضاً من الانحراف والزيف الشيء الكثير ، ولكن من الصحيح أيضاً أن نقول : إنّ هناك أمة مؤمنة في هذا البحر الهائج المضطرب ، في الموقع الحضري الوسط المعتدل ، وأنّ هذه الأمة معيار ومقياس دقيق للتشخيص والتمييز لسائر الناس ، وقنوة لسائر البشر ، وحركة عينية واقعية إلى الله ، بين هذه الحركات المضطربة والقلقة في واقع حياة الناس .

وكما تتطلب رحمة الله تعالى بعباده وجود أمة مؤمنة في هذا الموقع الحضري الوسط على وجه الأرض ؛

لتكون قوة للناس ، كذلك تتطلب الرحمة الوبانية أن تكون هناك قوة للمؤمنين من أنفسهم ، ولهذه الأمة منها ؛ ففي هذه الأمة . كما ذكرنا . الكثير من الويغ والانحراف الذي يختلط بالكثير من الحق والصواب ، ومن مجموعها تتكوّن هذه المسورة الإلهية .

فلا بُدّ من وجود قُوّة

### الصفحة 388

لهذه الأمة ولهذه المسورة أيضاً ، كما كان لا بدّ من قوة للناس أجمعين .

وإذا كانت هذه الأمة هي الصفة من البشرية ، التي اجتباها الله تعالى لتكون قوة للناس ، فإن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) هو صفة الصفة في هذه الأمة ، اتخذها الله تعالى قوة لهذه الأمة ؛ ليكون مقياساً ومعياراً للاستقامة والاعتدال ، والسلوك والحركة إلى الله ، وليقاس المؤمنون أنفسهم به ، ويجتنبوا فيه مثلاً كاملاً للإنسان العامل الكادح إلى الله .

ولنفوا هذه الآية المباركة من سورة الحج :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) (1) .

يدعو الله تعالى في هذا النداء عباده المؤمنين . والخطاب هنا خاصّ بالمؤمنين . : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .. ) . ، يدعوهم إلى إقامة الصلاة ، وإلى عبادته ، ويدعوهم إلى فعل الخيرات والجهاد في الله ، حقّ الجهاد ؛ فإنّ الله تعالى قد اجتباهم وأحلّهم في هذا الموضع الوسط من حضرة الإنسان ، واختلّهم لهذا الموقع الخطير من الأرض ومن حياة الناس .

( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) ° وسماهم المسلمين من قبل ، في حياة إبراهيم ( عليه السلام ) ، وفي الكُتب السابقة على القوان ، ( وفي هذا ) وفي القوان ، فشرفهم الله تعالى بهذه

(1) الحجّ : 77 . 78 .

### الصفحة 389

التسمية ( مِنْ قَبْلَ وَفِي هَذَا ) ، وجعلهم امتداداً لإبراهيم ( مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ) ، وجعلهم أسرة واحدة ممتدة على وجه الأرض وفي التاريخ .

كلّ ذلك من دون أن يكلفهم في هذا الاجتباء شدة وضيقة لا يطيقونه ( هُوَ اجْتِبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) .

كلّ هذا النداء والدعوة إلى إقامة الصلاة ، وفعل الخير ، والجهاد ، وكلّ هذا الاجتباء والاختيار والتشريف لهذه الأسرة الإبراهيمية ، والتسمية ... كل ذلك ( لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) .

كلّ ذلك لإيجاد تيار معتدل مستقيم نظيف ، في وسط هذه التيارات المتضاربة والمنحرفة ؛ ليكون قوة للناس ، وليكون معلماً على طريق الناس إلى الله ، معلماً محسوساً عينياً في حياة الناس ، وليس من قبيل الأفكار والنظريات ، معلماً رآه الناس ، ويحسونه ، ويعيش معهم في السراء والضراء ( وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) .

ثمّ بعد ذلك ، ليكون في وسط هذا التيار قوة ، هو صفة الصفة ، للسائرين في هذا التيار ومن هذه الأمة ؛ ليكون شاهداً عليهم وعلى المسورة والحركة ، ويكون مقياساً لتشخيص حالات الضعف والعجز والتخلف ، وباعثاً على تلافي نقاط الضعف والتخلف ، وقوة في المسورة والحركة ، ومعلماً على طريق العاملين والسائرين إلى الله ، يضعونه نصب أعينهم ، ويضعون أقدامهم مواضع خطاه ( لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ) .

فلا يمكن أن تستقيم حياة الناس وحركتهم من دون وجود هذا التيار في وسط الناس ، ولا يمكن أن تستقيم حركة هذا التيار من دون وجود قوة صافية نقية في قلب هذا التيار .

### الصفحة 390

ولنعدُّ إلى حيث كنا من حديث ، قلتُ: إنني ألمس في التحام الناس بعاشوراء ، وتعاطفهم مع قضية الحسين ، أن الناس يجدون في هذا اليوم ، وفيما جرى فيه من أحداث ، وفيما يستبطنه هذا اليوم من القيم والمعاني ، شيئاً يتفاعل مع ضمائرهم وقلوبهم وعقولهم .

إنَّ الناس يبحثون في حركتهم الشاقَّة والعسوة إلى الله تعالى عن الصور الصافية والنقية لهذا الكدر وهذه الحركة ، الصور التي تخلص من كل كدرٍ وِغشٍ ، وتسلم من كل نقصٍ وضعف ، ليضعوا أمامهم هذه الصور الحيَّة المتحرِّكة .

ففي خِصَمِ الحياة ، وخِصَمِ الصَّواعِ ومتاعب الحركة ، يلتقي الإنسان . في نفسه وفي واقع الحياة . الكثير من الضَّعف ، والشكِّ والجبن ، والحسدِ والطمعِ والجشع ، وحب الذاتِ والاستئثارِ والظلم ... ، فيجد نفسه بحاجة إلى هذه الصورة النقية الصافية من الإيمان بالله ، واليقين والإخلاص لله تعالى ، والثقة والتوكُّل على الله ، والقوة والشجاعة والإيثار ، ونُكران الذاتِ والإخلاص ... ، فيجد كلَّ هذه العناصر ، التي يبحث عنها ، والتي تتطلبها الحركة ، مُتجسِّدة متحرِّكة في ساحة الطف ، في يوم عاشوراء ، في هالة من النور .

وفي مقابل هذه القمَّة السامقة من القيم والأخلاق الربانية المتجسِّدة في الحسين ( عليه السلام ) وأصحابه ، يجدُ حضيضاً من الدناءة واللؤم ، والاستئثار والتعلق بحطام الدنيا ، وحب الذات والكروياء ، والشكِّ والجبن ، والحسد والطمع والجشع ، في الجانب الآخر من المعركة .

وكما تتجمَّع القيم وتتكامل ، وتشكُل قمة سامقة وهالة من النور في الجانب الأول ، يتجمع اللؤم ، والمكر ، والكيد ، والظلم في الجانب الثاني بشكلٍ صلوخ .

وهذا من خصائص الصواع والمواجهة .

### الصفحة 391

فإنَّ الصواع يبرِّر كل طرف على حقيقته ، ويكشف حقيقة كل طرف ، وكل القيم والمسئول التي يستبطنها الإنسان ويتستتر عليها ، أو يشوهها ويعلن عنها ؛ فإنَّ الصواع بطبيعته كشافٌ .

وأكثر ما ينكشف الإنسان ويظهر على حقيقته ( يَوْمَ تَبْلَى السَّوَاتِرُ ) ( ١ ) ، وساعات المواجهة والصواع .



فيجد الجمهور أمامه طرفين مُتصلعين يوم عاشوراء ، يُمثِّلُ أحدهما قمةَ القيم والأخلاق ، ويمثِّلُ الآخرَ حضيضَ اللؤم والسقوط ، فيتعلَّقُ بذَا وينفر من ذاك .

ويجد في يوم عاشوراء كلِّما يطلبه ويحتاجه من القيم والمثل والأخلاق ، والإخلاص والشجاعة ، والثقة والإقدام .

وهذا في رأيي ، هو الذي يشدُّ الجمهور إلى عاشوراء ، ويدعوه إلى التفاعل والتعاطف مع هذا اليوم بمثل هذه الدرجة من القوَّة والعُمق .

فإنَّ أكثر ما يحتاج الإنسان إلى القوَّة في حياته في ساحات الصراع والمواجهة ، ومن ساحات الصراع والمواجهة ؛ ذلك أنَّ الإنسان لا يحتاج إلى أن يستجمع كلَّ عزمه وقوَّته وعقله وإيمانه وثقته بالله ، كما يحتاجه في ساحات المواجهة وساحات الصراع ، ولا يهتزُّ الإنسان ويتزلزل ، ويتعرَّض للزلزل والهزَّات ، كما يتعرَّض لها في ساحات المواجهة والصراع .

فمن السهل أن يُحافظ الإنسان على اوائه وتعقله ، ودينه وثقته بالله ، في أيام اليسر والوفاه ، وعندما يعقُل المجتمع والعمل ، أمَّا عندما يتزلزل إلى ساحة العمل والمواجهة ، ويتعرَّض للزلزل والهزَّات والأعاصير ، من داخل نفسه ومن الخرج ، فسوف يجد نفسه بحاجة شديدة وماسَّة إلى أن يلتمس لنفسه أمثلة ، وشواهد وقنوات ،

(1) الطارق : 9 .

### الصفحة 392

على الطويق ومن ساحة الصراع ، تُثبِّتُه على أرض المعركة ، وتبعث في نفسه الإيمان واليقين ، والثبات والثقة والصبر .

ولابدَّ أن تكون هذه الأمثلة والقنوات في الساحة الساخنة بالصراع ، لتطمئن إليها قلوب العاملين .

وهذا بالذات ما يجده المؤمنون في حركتهم ومسيرهم إلى الله ، وفي مواجهتهم الحامية للهوى والطاغوت في

(رحاب عاشوراء ) ، فإنّ مسورة التزيخ مسورة حافلة بالصواع والمواجهة والفتن والابتلاء ، وخلال هذه المسورة يجد المؤمنون في ( عاشوراء ) النموذج والقنوة ، لكلّ القيم التي يتطلّبها الصواع ، ويحتاجها المؤمنون في حركتهم وعملهم ، فينشّون إليها بقوة ، ويتعاطفون ويتفاعلون معها بهذه الصورة القوية والمؤثرة .



## الصفحة 393

### الفهرس

5	مُقدِّمة المؤلف
	عاشوراء في مرآة التاريخ
9	عاشوراء في وعي الجمهور ووعي النُخبة
11	موقف السلاطين والحُكَّام من عاشوراء
13	عاشوراء مرآة للتاريخ
23	كلُّ رُضٍ كربلاء وكلُّ يومٍ عاشوراء
	ثأر الله
29	رؤية قرآنية للنصر والهزيمة
29	الجنور اللغوية للثأر
30	المعنى الاجتماعي للدم
32	الثأر في أسوة التوحيد
33	ثأر الله
35	موقف الثأر في الصراع الحضري بين التوحيد والشرك
36	كربلاء الساحة النموذجية للصراع بين الحقّ والباطل
38	الضمانة الإلهية لدم الشهيد
40	معنى النصر والهزيمة
43	القيمة الذاتية للشهادة
43	رحلة الإنسان إلى الله
46	رواسة للمنطلق والغاية في حركة الإنسان
46	1 . المنطلق

47	أ . الشهوات والغوايز والأهواء
47	ب . المغريات والمنورات
47	مُثلثُ الابتلاء في القرآن الكريم
48	أ . الهوى
50	ب . الفتنة

### الصفحة 394

51	ج . الشيطان
52	أعاضُ التعلقُ بالدنيا في نقطة الانطلاق
54	2 . الغاية
55	الطاعة والتسليم والذكرُ والرجاء والرغبة والحبّ
57	كيف يأخذ الإنسان ويُعطي بالله ؟
58	3 . الحركة من ( الأنا ) إلى ( الله )
59	( التقوى ) و ( ذكر الله ) في شطوي الحركة
60	التقوى للتحرُّر من الهوى
61	المقلنة بين الهوى والطاغوت
61	الصيغة الإيجابية للتقوى
62	الشوط الثاني من حركة الإنسان
64	ذكر الله للفرح إلى الله
67	المنهج الأخلاقي في حركة الإنسان إلى الله
68	واستعينوا بالصبر والصلاة
68	ضوية الحركة إلى الله
69	الشهادة اختزال للحركة من الأنا إلى الله
70	نقلة الحرِّ ( رحمه الله ) من مجور الطاغوت إلى محور الله

71	نقطة زهير ( رحمه الله ) من ولاية الطاغوت إلى ولاية الله
74	القيمة الحركية للشهادة
74	وقفه عند اشتقاق كلمة ( الشهيد )
75	الشهيد مقياس للتقييم
77	هذه الأمة شهيدة على سائر الأمم
78	ورسول الله شاهد على هذه الأمة
78	عودة إلى مُصطلح ( الشهيد )
79	التوجيه بـ ( التثقيف ) و ( القنوة )
80	القنوة والأسوة على طويق ذات الشوكة
82	الشهيد قُدوة
84	الوعي والعطاء
85	ضحايا انعدام الوعي
87	العطاء
90	التخلف في الوعي والعطاء
91	الطاقة الحركية لدم الشهيد
94	دم الشهيد يُوسّع رقعة التضحية داخل الأمة
94	دم الشهيد يحسم الخلاف ويقطع التردد

### الصفحة 395

97	الإمداد الغيبي والضمان الإلهي لدم الشهيد
99	رحلة الشهادة في القرآن الكريم في ( التوبة ) و ( آل عمران )
99	آية ( التوبة )
100	البيع والشراء
101	النقطة الكاملة

- 101 أمثلة عن النقلة الكُبرى في حياة المسلمين الأُولى
- 104 تكريم الإنسان بالبيع والشراء
- 105 البيعة
- 106 البيعة : التجرد الكامل عن الأنفس والأموال
- 107 البيعة : ميثاق ( الدعوة ) والدولة
- 108 البيعة : طاعة وتضحية
- 108 آية البيعة
- 110 رُبع بيعات في حياة رسول الله ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ )
- 111 البيعة الأُولى
- 111 البيعة الثانية
- 112 البيعة الثالثة
- 112 البيعة الرابعة
- 113 ( يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ )
- 114 حَتْمِيَّة القتال في مسرة الدعوة
- 115 المواجهة المصوريَّة بين الإسلام والجاهليَّة
- 116 العلاقة العضويَّة بين أطراف الجاهلية
- 117 شراسة الجاهلية في صواعها مع الإسلام
- 117 الإيمان بالله يسوي التخلّي عن الأنفس والأموال
- 118 وثيقة البيع
- 121 والتمن هو الجَنَّة
- 121 الفوزُ العظيم
- 123 صفة الَّذِينَ باعوا أنفسهم لله
- 125 آية ( آل عمران )
- 126 الحياة الطيِّبة

128

أعلى درجات القُرب من الله

130

(يُرْزَقُونَ)

### الصفحة 396

132

(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ...)

132

(... وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ...)

134

لا خوف ولا حُزن

136

رحلة الشهادة في السنة الشريفة

136

باقة عطرة من الحديث الشريف في قيمة الشهيد

149

خطابُ الاستنصار الحسيني

149

الاستواض والدلالات

الاستنصار الحسيني

151

أ. الاستواض

151

نماذج من الاستنصار الحسيني

151

في المدينة

151

1. وصيته التي يستنصر فيها المسلمين

152

2. واستنصر الحسين عبد الله بن عمر بن الخطاب في مكة

152

3. كتاب الحسين إلى رؤساء الأخماس

156

4. خطاب الحسين عشية خروجه من مكة

157

5. في الحاجر

159

6. في زرود

161

7. في قصر بني مقاتل

163

8. في منزل شراف

163	9 . في مقتل البيضة
164	10 . في كربلاء
166	11 . وفي كربلاء كتب الحسين إلى أشراف الكوفة
166	يوم عاشوراء
166	12 . الاستتصار الأول يوم عاشوراء
169	13 . الاستتصار الثاني في يوم عاشوراء
170	14 . الاستغاثة الأخوة للحسين ( عليه السلام ) يوم عاشوراء
172	15 . استتصار زهير ( رحمه الله ) يوم عاشوراء
174	ب . الدلالات
174	الدلالات الأربع لخطاب الاستتصار الحسيني

### الصفحة 390

174	1 . المضمون السياسي لخطاب الاستتصار الحسيني
175	2 . المضمون الحركي لخطاب الاستتصار الحسيني
175	1 . رفض البيعة لزيد
176	2 . إعلان الرفض
177	3 . الخروج والنهرة
180	المؤامرة الأموية على دم الحسين ( عليه السلام )
182	عودة إلى الدلالة الحركية للخطاب الحسيني
183	3 . المضمون الولائي لاستتصار الحسين ( عليه السلام )
183	1 . البعد العمودي من شبكة الولاء
183	2 . البعد الأفقي من شبكة الولاء
184	الصيغة التوحيدية في شبكة الولاء
184	مقومات الولاء في البعد الأفقي
185	الولاء والإيمان الحق



186	خصائص وآثار شبكة الولاء
186	السلام والعصمة في شبكة الولاء
186	معنى السلام
187	معنى العصمة
188	علاقة النصر بشبكة الولاء
190	استتصوان للحسين ( عليه السلام ) في قصر بني مقاتل
192	الاستتصار لإتمام الحجة
193	وقوع الخطاب الحسيني
194	4 . المعنى الشمولي لخطاب الحسين ( عليه السلام )
196	التلبية
197	حركتان في التريخ ( النصر والثأر )
199	تفسير وتحليل جملة من المضامين الواردة في خطاب الاستتصار الحسيني
209	الولاء والوادة في مرآة عاشوراء
209	توحيد الولاء
210	عناصر الولاء
212	قيمة الولاية
213	الولاية ومسألة الحاكمية والسيادة
214	الرواة والمفاصلة

### الصفحة 398

215	المواصلة والمفاصلة في المجتمع الإسلامي
217	التوحيد والشوك في الولاء
218	مصدر الحاكمية في حياة الإنسان هو الله
220	التحدّي والصواع

- 221 الاستضعاف والاستكبار
- 221 خصائص الصواع
- 226 عاشوراء مسوح للمولاء والوادة
- 227 عاشوراء يوم الفرقان
- 228 الفاصل الحضري بين المعسكرين في عاشوراء
- 232 وحدة المولاء والوادة في زيارة (ورث)
- 233 مشاهد المولاء في زيارة (ورث)
- 234 السلام في ( النفس ) و ( المجتمع )
- 235 الشهادة للحسين ( عليه السلام ) بإمامة المسيرة
- 238 الموقف
- 240 معكم ، معكم
- 240 الوادة
- 242 ولاء ( الأور )
- 245 الطوائف الثلاث الملعوننة
- 246 الطائفة الثالثة ( الشويحة الواضية )
- 248 عاشوراء ( يوم الفرقان )
- 249 أبعاد وامتدادات المواجهة ليوم الفرقان
- 251 يوم الفرقان الثاني في تريخ الإسلام
- 251 يوم الفرقان الثالث في تريخ الإسلام
- 252 انتصار الثورة الإسلامية مُطلقاً ثوري وقيمة حضرية
- 254 تراكم من ( الفعل والانفعال )
- 255 محاولات لأقلمة الثورة
- 256 التفاعلات التي كانت تحوي في الأعماق غير الموثية لهذه الأمة
- 258 المولاء والوادة بعد الثورة

259	حتمية الصواع
260	والعاقبة للمتقين
262	ليُحقَّ الحقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين
263	تداول النصر والهزيمة في ساحة المعركة
265	تمحيص وتهذيب المسورة في المجتمع

### الصفحة 399

266	متى يتخذ الله الشهداء في هذه الأمة قيمين على المسورة
267	التمحيص والتهذيب داخل النفوس
267	ورجات المؤمنين في الجنة على قدر معاناتهم في الدنيا
268	دولة الوطنيين
273	المتخلفون عن ثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )
273	الضحاك بن عبد الله المشوقي
275	الصواع في مرحلتَي التتوِيل والتأويل
276	شريحة المتخلفين عن الصواع
278	خبر الضحاك بن عبد الله المشوقي
280	تأملات في خبر الضحاك
281	النقطة الأولى ( الاعتذار )
283	وجها الحياة الدنيا
	كيف تتحوّل العوائق إلى منطلقات
284	مقرنة بين زهير بن القين ( رحمه الله ) والضحاك
286	النقطة الثانية ( الاستجابة )
288	العلاقة بين العمل والخواء

- 288 طائفتان من الناس
- 292 النقطة الثالثة ( التَّحَلُّلُ والالتوَام )
- 293 ( التوَام ) و ( حِلَّ )
- 296 الجسر الذي مده الضحاك إلى الدنيا من عمق ( الطف )
- قيمة الوراثة في حياة الإنسان
- 303 تأملات في زيارة ورث
- تمهيد
- 303 1 . القيمة التكوينية للوراثة
- 304 واسة في الشريحة الحضريّة
- 305 البُعد الأفقي والبُعد العمودي لكل حضرة
- 305 التبادل والتفاعل بين عناصر الحضرة الواحدة
- 305 الأعماق الحضريّة
- 307 عَواقب المورث الحضري
- 308 التبنّي الجمعي والعمق الحضري لفويضتي الصلاة والحجّ
- 309 الإطار الاجتماعي للشعائر الإسلاميّة

## الصفحة 400

- 310 يدُ الله على جماعة المسلمين
- 311 الإطار التاريخي للشعائر الإسلاميّة
- 312 وحدة المسورة ووحدة المعاناة ووحدة الثواب
- 314 المورث الحضريّة والمورث المدنيّة
- 317 مواقع الثورة والمناعة في حياة الأمة
- 318 المحافظة على المورث الحضريّة
- 319 السُنّة والبدعة

323	بين التقليد والثابت
327	الثواب والفِطْرَة والصِبْغَة
329	2 . القيمة الإيحائية والتربوية للوراثة
329	كرامة الأسرة وموقعها الاجتماعي
332	موقف الحسين ( عليه السلام ) من البيعة لزيد
334	الحسين ( عليه السلام ) في يوم عاشوراء
336	محمد بن أبي عمير في سجون العباسيين
	الأبعاد السياسيّة والحركة لثورة الإمام الحسين ( عليه السلام )
347	العامل السياسي
352	الخيار الثالث
358	الخيارات الثلاثة
359	العامل الحركي
366	التحذير من الخروج إلى العواق
	عاشوراء ( ودّ ) و ( قنوة )
377	ودّ يقذفه الله في قلوب المؤمنين وقنوة في حياتهم
377	الودّ الذي يجعله الرحمان للذين آمنوا
380	عاشوراء قنوة للجمهور في حركته إلى الله
382	عصمة الإمام
382	لن يكون الظالم إماماً للناس
383	الدعوة إلى الإقتداء بالصالحين
384	العناصر الثلاثة الضرورية في الحركة
385	شهادة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) والأمة الشاهدة
386	الأمة الشاهدة معيار للقياس
393	الفهرس

